المملكة الأردنية الهاشمية

حولية دائرة الآثار العامة

المجلد (٤٩)

عمّان
٢٠٠٥

رئيس التحرير
د. فواز الخريشه

هيئة التحرير
د. رافع حراحشه
قمر فاخوري
هنادي الطاهر
سامية الخوري

قام بمراجعة النصوص الانجليزية
سمانثا دنيس

الاشتراك السنوي:
١٥ دينار أردني (داخل المملكة الأردنية الهاشمية)
٥٠ دولار أمريكي (خارج المملكة شاملاً البريد)

الآراء المطروحة في المقالات لا تمثل رأي دائرة الآثار العامة بالضرورة

تقبل المقالات حتى ٣١ أيار من كل عام حسب التعليمات الواردة في هذا المجلد وتُرسل باسم سكرتير التحرير على العنوان التالي:

حولية دائرة الآثار العامة
ص.ب: ٨٨
عمان ١١١١٨ - الأردن
فاكس: ٤٦١٥٨٤٨-٦-٩٦٢+

تعليمات نشر البحوث في حولية دائرة الآثار العامة

تعنى **حولية دائرة الآثار العامة** بالبحوث المختصة بالتراث الحضاري للأردن والمناطق المجاورة، بما في ذلك تقارير التنقيبات الأثرية ونتائجها.

ترسل البحوث في موعد أقصاه ٣١ أيار (مايو) من كل عام للنشر في مجلد العام نفسه إلى العنوان التالي: حولية دائرة الآثار العامة، ص.ب ٨٨، عمان ١١١١٨ - الأردن (هاتف ٤٦٤٤٣٣٦).

ويمكن الاستفسار عن طريق الفاكس رقم ٤٦٥٨٤٨-٦- (٩٦٢) أو البريد الإلكتروني
Publication.doa@nic.net.jo

- **لغة البحث:** العربية أو الإنجليزية.
- **مسودات البحوث:** يجب ألا تتجاوز مسودة البحث ١٥,٠٠٠ كلمة (٣٠ صفحة تقريباً) ولا يشمل هذا قائمة المراجع، والمواد التوضيحية (الأشكال) . ويرجى تضمين اسم الباحث (أو الباحثين) وعنوانه في نهاية المسودة، ويكون ترتيبها كالآتي:
  ١- عنوان البحث واسم الباحث (الباحثين).
  ٢- النص الكامل للبحث.
  ٣- عنوان الباحث (الباحثين).
  ٤- قائمة المراجع.
  ٥- الهوامش إن وجدت.
  ٦- قائمة شروحات الأشكال.
- **تسليم النصوص:** يُسلم النص على قرص حاسوب، إضافة إلى نسخة مطبوعة تباعد الأسطر فيها مزدوجاً، والرجاء إضافة نسخة محفوظة على شكل Rich Text Format على قرص الحاسوب. كما يجب أن تكون المسودة بشكلها النهائي دون إجراء تغييرات كبيرة لاحقاً.
- **الصور والرسومات والمخططات:** يجب أن ترفق مع النسخة الأصلية عند التقديم. ويجب الإشارة إلى جميع المواد التوضيحية سواء كانت صوراً أم رسومات أم مخططات باستخدام مصطلح (الشكل) في متن النص، وترقيمها حسب تسلسل ورودها في النص (الشكل ١، الشكل ٢، ... الخ.). ويجب ألاّ يزيد حجم الشكل عن ١٧×٢٢سم. وبالإمكان تقديم الأشكال إلكترونياً jpg (ولا تقبل الأشكال المحمولة على Word)، بحيث تكون حجومها ٢٥٠ pixels/in للصور الفوتوغرافية و ٦٠٠ pixels/in للرسومات والمخططات.
- **الهوامش:** يفضل الابتعاد عن الهوامش قدر الإمكان. وتوضع مصادر البيبلوغرافيا بين قوسين ضمن المتن، مثلاً (الفلاحات ٢٠٠١: ٦٥-٦٧) أو (Brown 1989: 32-35) للمراجع الأجنبية.
- **قائمة المراجع:** يجب أن تكون ضمن جدول في نهاية البحث وحسب التسلسل الأبجدي. واتباع النموذج الآتي :

١- في حالة المقالات المنشورة في دوريات:

النوافلة، سامي

٢٠٠٠ تقرير عن حفرية الجي (جايا) في وادي موسى / ١٩٩٩. حولية دائرة الآثار العامة ٤٤: ١٧-٢٤.

Zayadine, F. and Farés - Drappeau, S.

1998 Two North -Arabian inscriptions from the Temple of Lat at Wadi Iram. ADAJ 42: 255-258.

٢- في حالة المقالات المنشورة في مجلدات:

الدوري، عبدالعزيز

٢٠٠١ فترات التاريخ العربي، نظرة شاملة. ص ٤٣-٥٩ في **أبحاث ودراسات في التاريخ العربي، مهداة إلى ذكرى مصطفى الحياري ١٩٣٦-١٩٩٨**. تحرير صالح الحمارنه. عمان: الجامعة الأردنية.

Gabel, H.G.K. and Bienert, H.-D

1997 Ba'ja: A LPPNB Regional Center Hidden in the Mountains North of Petra, Southern Jordan. Results from the 1997 Investigations. Pp. 221-262 in H.G.K Gebel, Z. Kafafi and G.O. Rollefson (eds.), The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997. Berlin: ex oriente.

٣- في حالة الكتب:

عباس، إحسان

١٩٩٠ **تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي**، ٦٠٠-٦٦١. عمان: لجنة تاريخ بلاد الشام.

Peacock, D.P.S.

1988 Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach. London and New York: Longman.

- **المستلات:** يتسلم الباحثون ٢٥ مستلة (نسخة) عن كل بحث ينشر لهم، وبالإمكان طلب المزيد من النسخ بسعر التكلفة.

- **الملكية الفكرية:** من حق الباحثين.

الفهرس

متحف الآثار الأردني، النواة الأولى للمتاحف الأثرية في الجامعات الأردنية
عائدة نغوي ٧
تل الساخنة/ الأغوار الشمالية
جهاد هارون ١١
التنقيبات الأثرية في خربة شويكة/ الموسم الثامن لعام ٢٠٠٤(تقرير أولي)
مروان أبو خلف ١٥
كتابات كوفية من منطقة الديسة ورم
سليمان الفراجات وسامي النوافلة ٢٩
مسرح بيت راس الأثري
وجيه كراسنة وسلامة فياض ٣٩
تاريخ اليمن السياسي في العصر العباسي الأول
صالح خلف الحمارنة ٤٧
كنيسة البازليكا الغربية في خربة ياجوز
لطفي خليل ٥٣
تواصل حركة بناء المساجد في العصر الأيوبي في ضوء المساجد الباقية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية
(دراسة أثرية مقارنة)
عبد العزيز صلاح سالم ٦٥

متحف الآثار الأردني
النواة الأولى للمتاحف الأثرية في الجامعات الأردنية

عائدة نغوي

يعتبر متحف الآثار الأردني المقام على جبل القلعة هو المتحف الرئيس في المملكة وهو بمثابة الأم لكافة المتاحف الأثرية في كل المحافظات. وكان له الدور الأكبر في تكوين النواة الأولى لمتاحف الجامعات الأردنية التي أنشئت مع بدايات تأسيس هذه الجامعات لتكون منارة علم لطلبة أقسام الآثار ولإجراء التطبيق العملي لمساقات علم الآثار وفن المتاحف التي تعطى لهؤلاء الطلبة.

وقد تركز دور متحف الآثار الأردني في مجالين رئيسيين الأول: رفد المتاحف الحديثة النشأة وإعارتها قطعا أثرية متنوعة من حيث المواد المصنعة منها والأشكال والاستخدامات والعصور التي تمثلها. أما مصادر هذه القطع فكانت بشكل رئيسي من التنقيبات الأثرية التي أجريت في كافة المواقع الأثرية المنتشرة في أرجاء المملكة الأردنية الهاشمية بضفتيها سابقا وضمن مواسم متعددة للموقع الواحد، تليها قطع الشراء وهي القطع التي تم شراءها من قبل دائرة الآثار العامة بعد صدور قانون منع الاتجار بالآثار عام ١٩٧٦، تليها القطع المصادرة والمعروف أماكنها الأصلية كقطع غور الصافي. وقد مثلت هذه القطع المعارة كافة العصور التاريخية التي مرت على الأردن بدءا من العصور الحجرية القديمة ومرورا بالعصور البرونزية والحديدية والكلاسيكية وحتى العصور الإسلامية ضمن قوائم ومستندات إخراجات رسمية أعيرت القطع الأثرية للمتاحف إعارة دائمة إلا أنها ما زالت من ممتلكات دائرة الآثار العامة إذ يحق لها المطالبة بها حينما تشاء.

١. طالبات قسم الآثار في الجامعة الأردنية لعام ١٩٧٢-١٩٧٣ مع الدكتور عدنان الحديدي مدرس مادة فن المتاحف وأمناء المتحف السيدان إبراهيم الحاج وزيدان كفافي أمام مبنى متحف الجامعة الأردنية.

المجال الثاني: الاستعانة بخبرات موظفي دائرة الآثار العامة ومتحف الآثار الأردني للقيام بأعمال أمين المتحف كتوثيق القطع وتسجيلها وإعطاؤها أرقاما متحفية جامعية إضافة للرقم المتحفي الأردني ولتصويرها وعرضها داخل خزائن أعدت خصيصا لها وتزويدها بالشروحات اللازمة المتضمنة التعريف بالقطع ومصادرها وتأريخها، ومثال على هذه الخبرات السيد ابراهيم الحاج حسن الذي عمل في متحف الجامعة الأردنية منذ تأسيسه ١٩٦٧-١٩٧٤ والسيد إمصيطف سليمان الذي عمل أيضا في نفس المتحف من عام ١٩٧٨-١٩٨٣ (**الشكل ١**).

يتناول البحث ثلاثة متاحف جامعية كان لمتحف الآثار الأردني الدور الرئيس في تكوين نواتها الأولى وإعارتها القطع الأثرية التي عرضت بها وهي

١. متحف الجامعة الأردنية

في عام ١٩٦٧ قرر عميد كلية الآداب في الجامعة الأردنية إنشاء متحف أثري تعليمي لطلبة قسم الآثار داخل الحرم الجامعي في غرفة صغيرة من الطابق الثاني من العمارة أ من مبنى كلية الآداب ليساعدهم في التطبيق العملي، لم يكن أمامه إلا الاستعانة بدائرة الآثار العامة التي لم تتردد في تقديم المساعدة للجامعة وذلك بتزويد متحف الجامعة بالعديد من القطع الأثرية الموجودة في متحف الآثار الأردني كالأواني الفخارية والزجاجية والمسكوكات والتماثيل والأدوات المعدنية والنقوش والحلي الذهبية وقطع عظمية وأدوات صوانية وأواني من الألباستر وغيرها من اللقى المكتشفة في الحفريات والتنقيبات الأثرية التي أجريت في المواقع الأثرية المختلفة سواء بالضفة الشرقية أو الغربية من الأردن. واستمر تزويد المتحف بالقطع الأثرية على فترات وفي الأعوام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ نقل موقع متحف الجامعة إلى مبنى صغير على تل في الجهة الغربية من الجامعة، وفي عام ١٩٨٥ خصص مبنى القبول والتسجيل ليكون متحفا أثريا تم تزويده بالقطع الحجرية الكبيرة كالتوابيت والتماثيل والتيجان والنقوش.

وعند مراجعة سجلات متحف الآثار الأردني لمعرفة ماهية القطع المعارة والسنوات التي تمت الإعارة فيها تبين انه تم إعارة ما يزيد على ٨٨٠ قطعة أثرية تعود لمختلف العصور والاستعمالات علما أن بعض الأرقام المتحفية الأردنية تتضمن ٥-٩ قطع أثرية إضافة لبعض القطع الحجرية الكبيرة التي

كانت موجودة في حديقة المتحف ولم يتوفر لها أرقاما أردنية، ولدى حصر كافة البيانات المتوفرة في السجلات والقوائم المحوسبة في المتحف تبين ما يلي

أ. عام ١٩٦٧ تم إعارة ما مجموعه ١٢٧ قطعة أثرية (**الشكل ٢**). اختيرت من ١٨ موقعا أثريا تم التنقيب فيها وعلى مواسم وفيما يلي أسماء المواقع وسنوات التنقيب سحاب ١٩٤٥، مقابلين ١٩٤٦، الحصن ١٩٤٥، قلعة عمان ١٩٤٧، ١٩٥٩، الجوفة ١٩٤٨، جرش ١٩٥٩، ١٩٥٠، عمان شارع الأمير طلال ١٩٥٠، جرش (**الشكل ٣**) ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٣، ١٩٥٣، ١٩٣٤، الغسول ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣٢، ١٩٥٨، تل الخليفة ١٩٣٩، ١٩٤٠، البتراء ١٩٣٦، عرقوب الظهر ١٩٥٢، أريحا ١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٤، ١٩٥٥، تل الفارعة ١٩٥٠، ١٩٥١، الجيب ١٩٥٠، سيلة الظهر ١٩٤٩، كفر قدوم ١٩٥٩، أم قيس ١٩٥٤.

ب. عام ١٩٧٢ تم إعارة ما مجموعه ٥٥٦ قطعة منتقاة من ستة مواقع أثرية أهمها قويلبة ١٩٥٩ التي أعير منها ٥١٣ قطعة من المجموع الكلي لقطع الحفرية البالغ ٧٧٠ أي بنسبة ٧٠٪، وباقي القطع تم اختيارها من مواقع أخرى هي الحصن ١٩٤٧، الجوفة الغربي ١٩٤٩، أريحا ١٩٥٢، القلعة ١٩٦٠، القدس ١٩٥٩.

ج. عام ١٩٧٣ تم إعارة ما مجموعه ٧٦ قطعة من ستة مواقع أثرية وهي جرش ١٩٣٣، ١٩٤٩، الغسول ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٨، أريحا ١٩٥٢ - ١٩٥٧، تل الفارعة ١٩٥٠، ١٩٥١، قمران ١٩٥٩ والكرك ١٩٦٣.

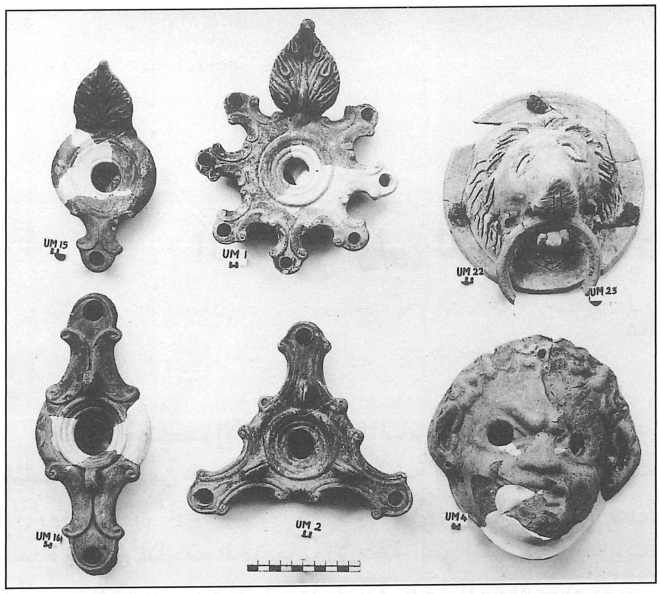

٣. قطع متحف الجامعة الأردنية.

د. عام ١٩٨٥ تم إعارة ما مجموعه ٦٥ قطعة ٣٩ من حفريات سحاب ١٩٦٨ والباقي منتقاة من حديقة المتحف (**الأشكال ٤، ٥**).

٢. متحف الآثار والأنثروبولوجيا / جامعة اليرموك

لقد كان لدائرة الآثار العامة ومتاحفها الدور الأول في تكوين نواة متحف معهد الآثار والأنثروبولوجيا عام ١٩٨٤ فقد تم إعارة العديد من القطع الأثرية العائدة لمختلف المواقع

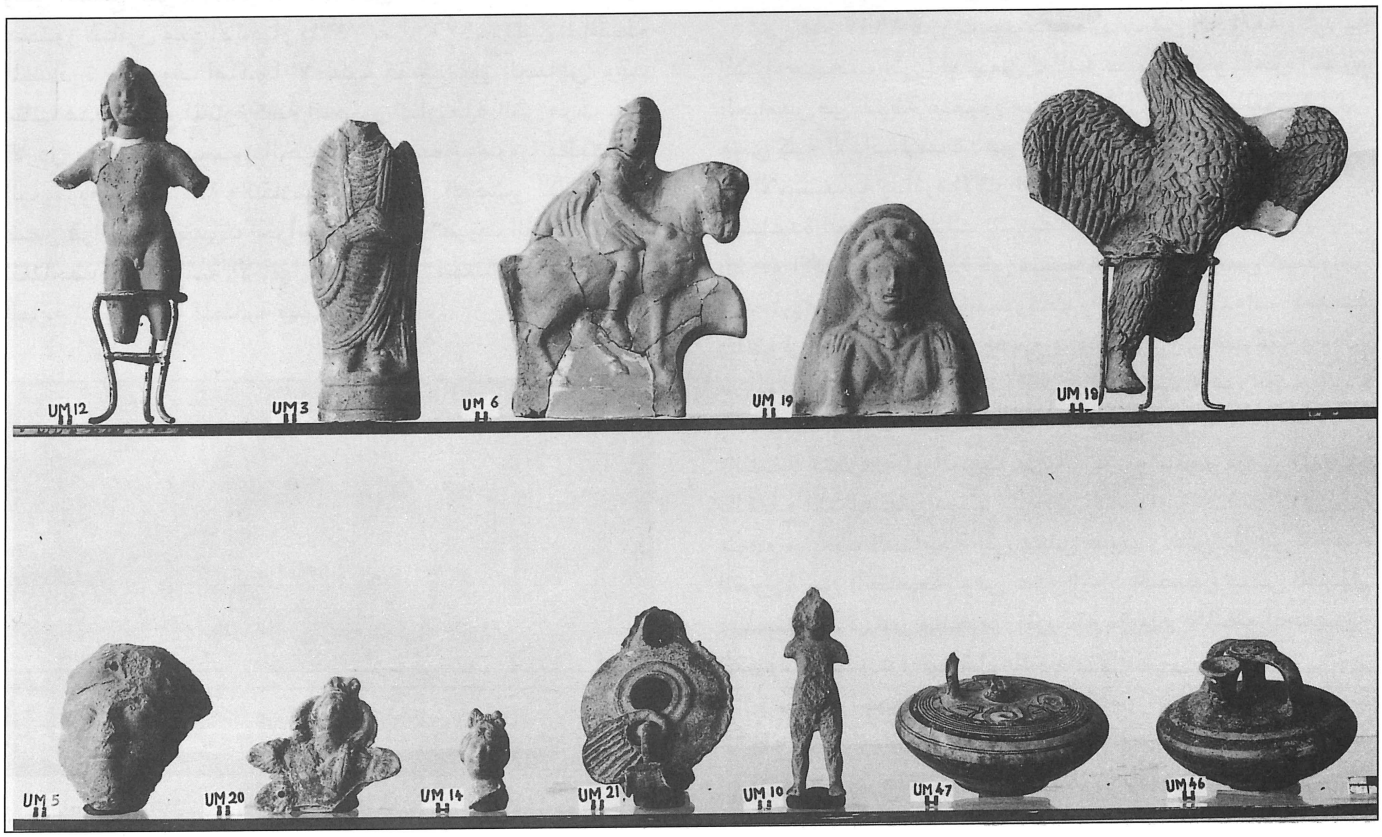

٢. مجموعة من القطع الأثرية / متحف الجامعة الأردنية.

والعصور من مختلف المتاحف التابعة لدائرة الآثار العامة وبالنسبة لمتحف الآثار الأردني فقد رفد المتحف بما ينوف على ٤٦٠ قطعة أثرية من تنقيبات أثرية، إضافة لبعض القطع المشتراة التي تمثل عصورا محددة. ففي عام ١٩٨٧ تم اعارة ٤٣٤ قطعة أثرية كان لقطع حفريات سحاب النصيب الأكبر إذ بلغت ٢١٦ قطعة وكذلك الحال لقطع حفرية مطار الملكة علياء لعام ١٩٧٨ (**الشكل ٦**) والبالغ عدد قطعها ٩٣ قطعة أعير منها ٨٩ للجامعة بالإضافة إلى قطع أخرى من مواقع متعددة وهي الغسول ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، أريحا١٩٥٥، الجوفة الشرقي ١٩٥٩، مخيم اربد ١٩٥٨، سحاب ١٩٦٨، ١٩٧١، ١٩٨٧، ٢١٦ قطعة كامل الحفرية، جلعد/ السلط ١٩٧٣، مطار الملكة علياء ١٩٧٨ (٨٩ قطعة من أصل ٩٣)، شراء ١٩٧٨ (**الشكل ٧**) ، ١٩٧٩، ١٩٨١، أم السماق١٩٨٣، باير ١٩٨٤، الخليل ١٩٦٤، كتارة السمرا ١٩٧٦.

وفي عام ١٩٨٩ تم إعارة ٢٤ قطعة ضمن ١٣ رقما متحفيا من موقعي الغسول ١٩٨٧ وأريحا ١٩٥٥، وقطع شراء للأعوام ١٩٧٩ و١٩٨٠ (**الشكل ٨**).

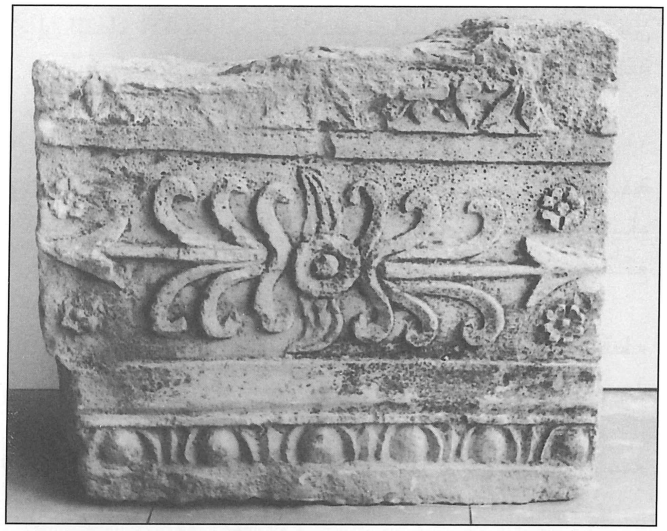

٤. زخرفة عمائرية من خربة التنور / متحف الجامعة الأردنية.

٥. تمثال حجري من خربة التنور / متحف الجامعة الأردنية.

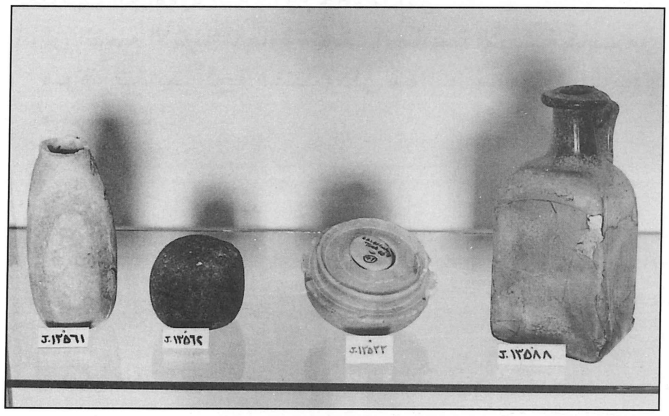

٦. قطع أثرية من حفرية مطار الملكة علياء الدولي /جامعة اليرموك.

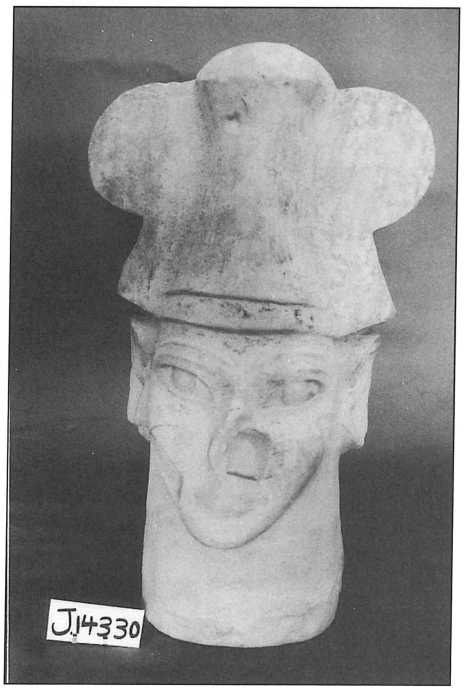

٧. رأس تمثال عموني / جامعة اليرموك.

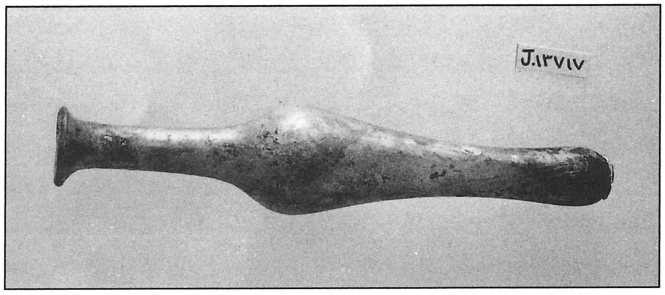

٨. مدمعة زجاجية / جامعة اليرموك.

٣. متحف الآثار / جامعة مؤته

تأسيس متحف الجامعة عام ١٩٩٦ وكان الهدف من تأسيسه تشكيل نواة لمتحف يضم جميع القطع الأثرية لحضارة جنوب الأردن وقد تم رفده بعدد من القطع الأثرية بما مجموعه ٣٧ قطعة فخارية من مواقع مختلفة هي: وادي موسى ومأدبا ١٩٦٨، قلعة عمان وكهف الرجيب وأخرى مصادرة من غور الصافي.

وعند مراجعة كافة البيانات الخاصة بالقطع الأثرية المعارة للمتاحف الجامعية الثلاث يلاحظ ما يلي

١. أن القطع الأثرية المعارة لمتحف الجامعة الأردنية كانت من مواقع تنقيب أثرية فقط وعلى مواسم متعددة كأريحا وجرش مثلا.

٢. إن القطع الأثرية المعارة لمتحف جامعة اليرموك كانت من مواقع تنقيب أثرية بشكل رئيسي وبعض قطع الشراء خاصة في الأعوام ١٩٧٨ ـ ١٩٨١.

٣. أن القطع الأثرية من موقع سحاب لمواسم التنقيب ١٩٦٨ و١٩٧١ و١٩٨٧ قد أعيرت بشكل شبه دائم لمتحف جامعة اليرموك وكذلك الحال لقطع حفرية مطار الملكة علياء الدولي التي أعيرت بمجملها للمتحف وأبقيت أربعة قطع فقط منها في متحف الآثار الأردني.

٤. أن القطع المعارة لمتحف جامعة مؤته جمعت ما بين قطع مكتشفة في مواقع أثرية وقطع مصادرة تعود لمواقع أثرية معروفة.

٥. بعد قيام أقسام الآثار في الجامعات بإجراء تنقيبات خاصة بها توقفت اعارة القطع الأثرية من متحف الآثار الأردني.

كما كان لمتحف الآثار الأردني أيضا دور كبير في إنشاء المتاحف المحلية في المحافظات والألوية علاوة على رفد متاحف الدول العربية الشقيقة كالكويت وأبو ظبي بالعديد من القطع الأثرية والتي سأوردها في مقال لاحق.

عائدة نغوي
مديرة متحف الآثار الأردني
دائرة الآثار العامة

تل الساخنة/الأغوار الشمالية
٩/١٢ - ٢٠٠١/٩/٣٠

جهاد اسماعيل هارون

الموقع الجغرافي

يقع تل الساخنة في لواء الأغوار الشمالية والى الجنوب الشرقي من بلدة الشونة الشمالية، وعلى بعد ٣٠كم غرب مدينة اربد (**الشكل ١**)، في نهاية سلسلة جبلية ممتدة من ناحية الشرق تنحدر باتجاه الغرب، وهو عبارة عن تل طبيعي من الصخر الجيري الطري شديد الانحدار (**الشكل ٢**) ويقابل مقام الصحابي الجليل معاذ بن جبل وينخفض ١٣٠م عن سطح البحر.

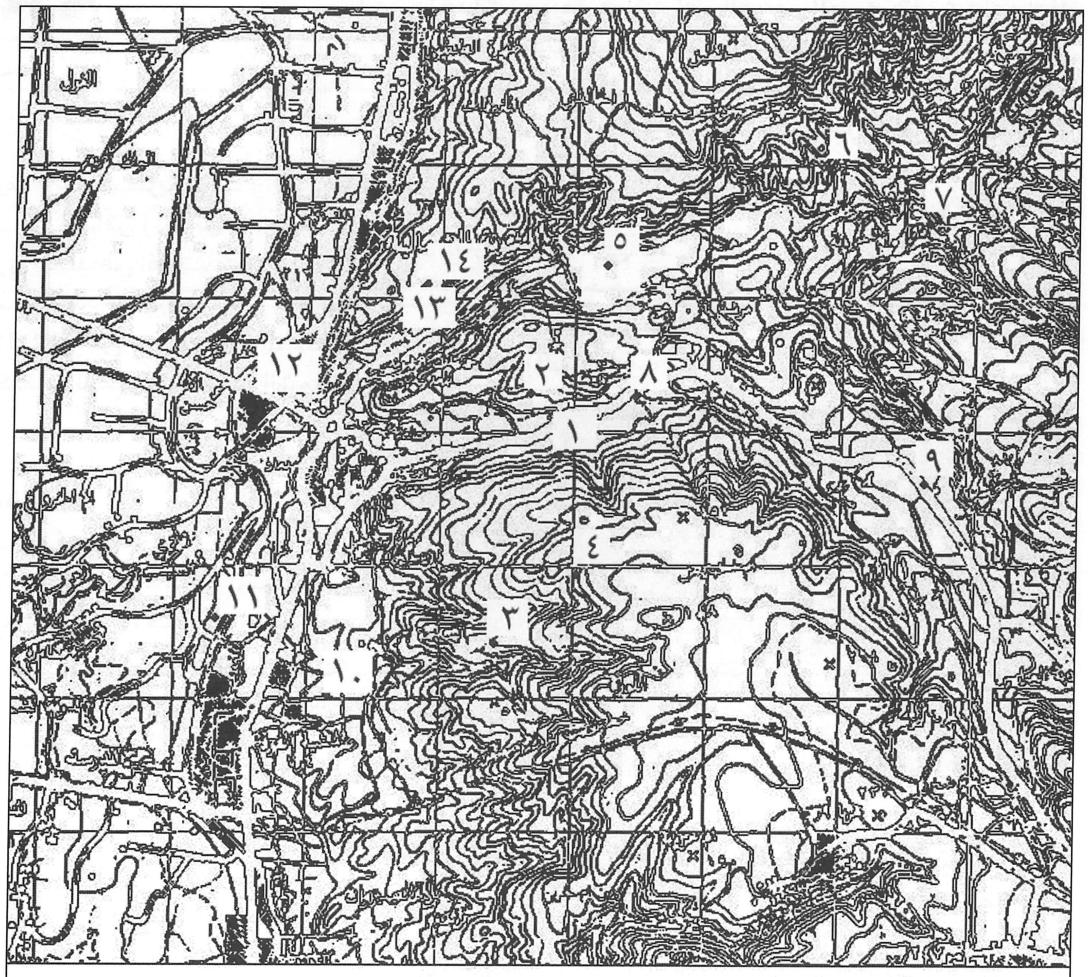

١. خارطة كنتورية لتل الساخنة والمواقع المجاورة لها.

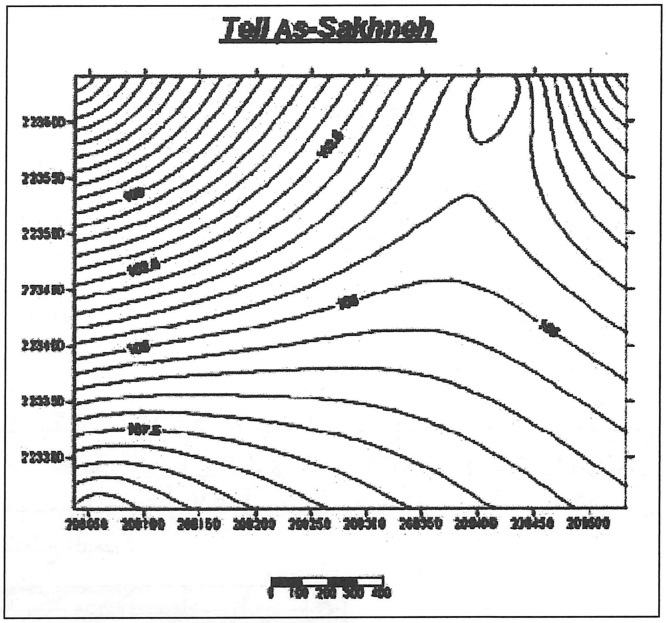

٢. مخطط طبوغرافي لتل الساخنة.

أهمية الموقع

خلال أعمال التجريف لإنشاء طريق إربد - الشونة الشمالية، كُشف عن عدد من المدافن (**الشكل٣**). حيث تم تشكيل فريق للتنقيب الأثري وذلك في الفترة من ١٢ /٩ - ٢٠٠١/٩/٣٠ وهي المرحلة الثانية من المشروع، تركز خلالها العمل على مجموعة من المدافن التي حفرت في الصخر الجيري الطري لاستخدامها كمقابر لسكان تل الشونة الشمالية خلال العصر البرونزي المبكر.

تاريخ البحث الأثري في الموقع

يُعد اكتشاف المقبرة اكتشافا هاما خاصة إذا علمنا بان نتائج المسوحات الآثارية لم تنجح باكتشاف موقع المقبرة على عكس اكتشاف تل الشونة الشمالية والذي اختفى تماما ولم يعُد موجود إلا على الخرائط الأثرية ومن خلال التنقيبات الأثرية التي اجريت في هذا التل الأثري أكدت النتائج العلمية بأن فترة ازدهار التل كانت خلال العصر البرونزي المبكر (Gaubel 986: 69).

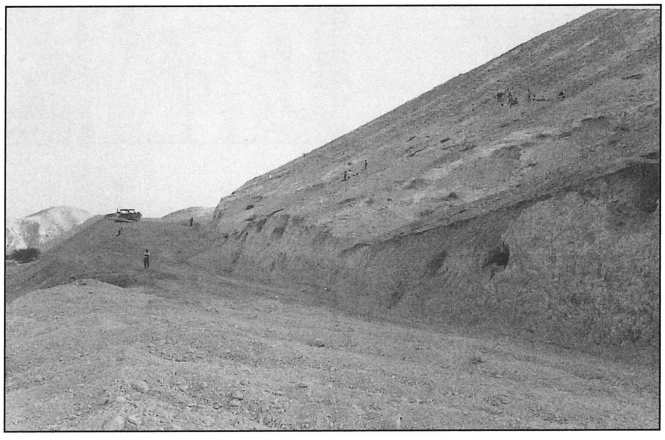

٣. صورة للتل مع أعمال التجريف.

أعمال التنقيبات الأثرية

لم تتخذ التنقيبات الأثرية مسارا محددا ثابتا للحفر في البداية، فجاء التنقيب ليحمل صفتي الإنقاذ والاستعجال بسبب أعمال التجريف القائمة لإنجاز الطريق في الوقت المحدد. وجاء امتداد القبور بشكل واضح باتجاهات شمالية - جنوبية على عرض التل.

جاء اختيار تل الساخنة من قبل السكان لسهولة الحفر فيه كونه من الحجر الجيري الطري، ولقد لعب انجراف التربة دورا بارزا في ملئ المدافن بالأتربة خلال القرون الماضية وأحداث تصدعات في سقوف المدافن مما صعّب عملية التنقيب داخل بعض المدافن وأدى إلى انهيارها في الماضي (**الشكل ٤**).

وصف المدافن

جاءت طريقة حفر المدافن في تل الساخنة على نحو تضمن إحداث تجويف عمودي في الصخر الطري يتفرع عنه مدخل بيضاوي وعتبة صغيرة يصل عرضها حوالي ٤٠سم، تؤدي إلى المدفن وهذا الشكل من المدافن عرف باسم (Shaft-Tombs)، وهو من مميزات العصر البرونزي المبكر (Prag 1974: 99)، ومن أهم أشكال هذه المدافن

١. مدافن تتألف من حجرة واحدة مع مدخل صغير وهو الأكثر شيوعا في الموقع.

٢. مدافن ذات حجرتين متجاورتين يفصل بينهما حاجز من الحجر الجيري ويقابلاهما ممرا طوليا مستقيما يؤدي إلى المدفن (**الشكل ٥**).

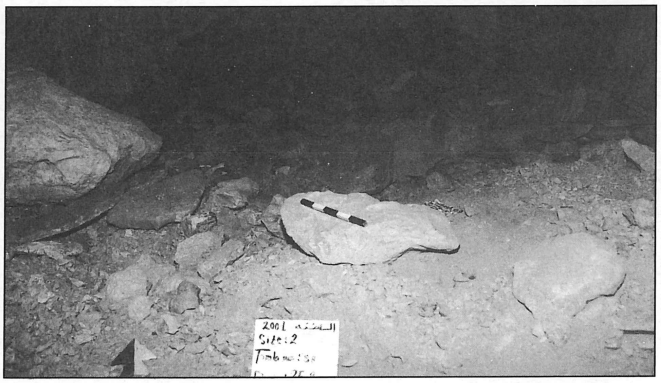

٤. الإنهيارات داخل المدفن.

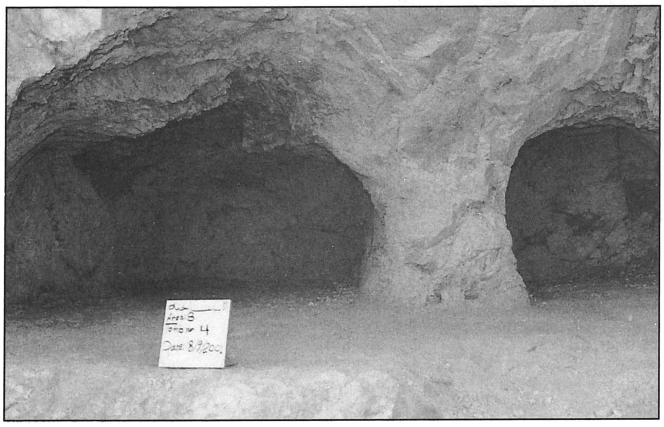

٥. المدفن ذو الحجرتين المتجاورتين.

٣. المدافن ذات الحجرتين المتتابعتين ويتخذ المدفن الشكل الكمثري، يتم الدخول للغرفة الثانية من خلال الأولى دون وجود ممر بينهما (**الشكل ٦**).

واستنادا على اللقى الأثرية يمكن القول إن المدافن ذات الحجرتين كانت الأوفر حظا في عدد الأواني الفخارية وهذا دليل على استخدام نظام الدفن الجماعي.

طريقة الدفن

بسبب الانهيارات في سقوف المدافن التي حدثت خلال القرون الماضية إضافة إلى دخول المياه والأتربة وأعمال التجريف الحديثة جعل من المستحيل معرفة طريقة الدفن نظرا لتحلل العظام إذ عُثر على قطع صغيرة من العظم المتحلل والتي لا تفي بالغرض لإجراء التحاليل العلمية والانثروبولوجية لاستخراج النتائج العلمية، لذا فمن الضروري إجراء موسم آخر واستخدام نظام المسح الجيوفيزيائي لكشف المدافن وامتدادها.

المدفن رقم ٥٨

هذا المدفن هو النموذج للمقبرة (**الشكل ٧**)، له ممر ضيق مقطوع في الصخر الطبيعي وأغلق بعد الانتهاء من مراسم الدفن بواسطة الحجارة. المدفن شبه بيضاوي، تبلغ مساحة غرفة الدفن ٣,٧٥ × ٣,٥٠م وله مدخل مقطوع (**الشكل ٨**) في الصخر الطبيعي طوله ١٢٠× ٧٣سم يؤدي إلى غرفة الدفن من خلال ممر ضيق مساحته ٨٠سم × ٤٨سم وهو مبني على نظام (Shaft-Tombs). تم تنظيف المدفن من الأتربة والصخور المتساقطة من السقف، وظهرت طبقة رمادية اللون وهي رطبة احتوت على الكسر الفخارية، ويليها طبقة كلسية بيضاء اللون صلبة وهي تشكل أرضية المدفن.

اما القطع الأثرية التي تم العثور عليها فقد كانت عبارة عن مجموعة من الأواني الفخارية والبازلتية وقطع بسيطة من العظم المتحلل.

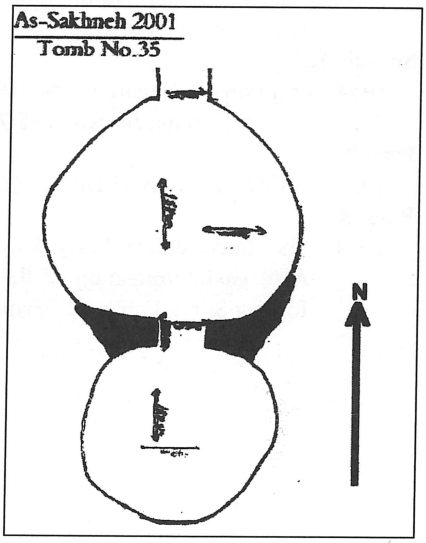

٦. المدفن ذو الحجرتين المتداخلتين.

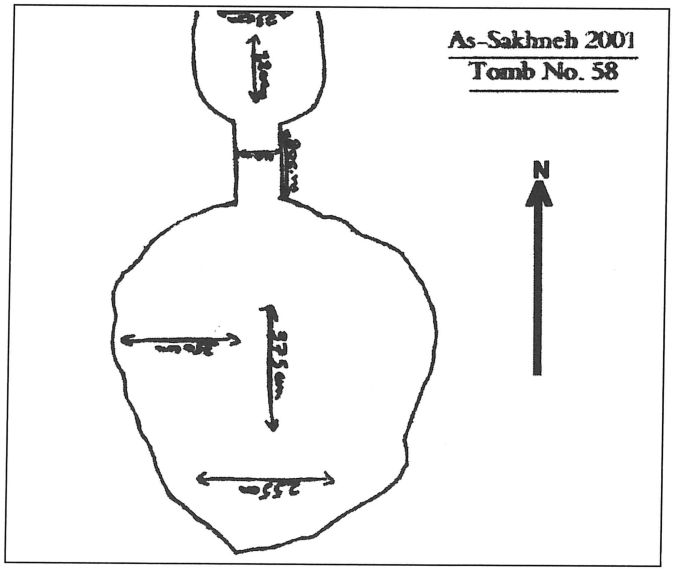

٧. مخطط للمدفن ٥٨.

التأريخ والأمثلة المقابلة

يعطي الانتشار الحضاري في العصر البرونزي المبكر دليلا على وجود حضارة لا يزال يكتنفها الكثير من الغموض على الرغم من وجود الآف القطع الفخارية التي خلفتها هذه الحضارة.

فالشكل العام للمدافن يشبه إلى حد ما المدافن التي عُثر عليها في كل من عرقوب الظهر - اربد (Parr 1956: 61)، وفي شمال الأردن (Prag 1974: 99)، وكذلك في منطقة الطوال الشرقي (Helms 1983: 72).

إن الأواني الفخارية (**الاشكال ٩ و ١٠ و ١١**) التي تم العثور عليها في المدافن تعود إلى فترة العصر البرونزي المبكر الدور الأول الفترة (ب). وهي في مجملها تشابه قطع عرقوب الظهر (Amiran 1969: 45) (Parr 1956: 61-71).

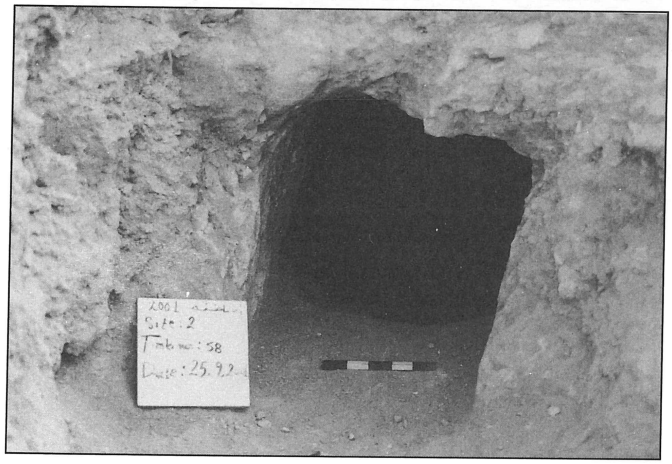

٨. صورة المدفن ٥٨.

٩. مجموعة من الزبادي الفخارية.

١٠. مجموعة من الجرار الفخارية.

١١. مجموعة من الأباريق الفخارية.

الخلاصة

إن اكتشاف مقبرة تل الساخنة يعطي إضاءات جديدة حول حضارة لا يزال يكتنفها الكثير من الغموض مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الشكل العام للمدافن عُرف في العصر البرونزي المبكر. فالقطع الأثرية المكتشفة بحاجة لمزيد من الدراسة والتحليل العلمي وأطمح لانجاز هذه الدراسة خلال الفترة المقبلة وذلك لكي أتمكن من إيجاد فاصل تاريخي محدد لفترة العصر البرونزي المبكر الدور الأول المرحلة (ب) وتداخلها مع الدور الثاني من العصر البرونزي المبكر.

شكر وتقدير

كل الشكر للسيد وجيه كراسنه وللسيد نضال الهنداوي اللذان كانا من العوامل المهمة التي ساهمت في إنجاح المشروع فلهم كل الشكر والتقدير إضافة إلى الزميلين سامي العبادي وسالم الدعجه.

جهاد اسماعيل هارون
دائرة الآثار العامة

المراجع

Amiran, R.
1969 *Ancient Pottery of the Holy Land*. Jerusalem.

Helms, S.W
1983 The EBIV (EB-MB) Cemetery at Tiwal ash-Sharqi in The Jordan Valley. *ADAJ 27*: 55-85.

Gaube, G.
1986 Tall ash-Shuna North 1985, Preliminary Report. *ADAJ 30*: 69-114.

Schaub, R.T.
1984 Preliminary Report of the 1981 Expedition to the Dead Sea Plain, Jordan. *BASOR 254*: 35-60.

Parr, P.
1956 A Cave at Arqub el-Dhahr. *ADAJ 3*: 61-73.

Prag, K.
1974 The Intermediate Early Bronze - Middle Bronze Age: an Interpretation of the Evidence from Trans Jordan, Syria, Lebanon. *Levant* 6: 69-107.

التنقيبات الأثرية في خربة شويكة / الموسم الثامن ٢٠٠٤
تقرير أولي

مروان أبو خلف

المقدمة

تقع خربة شويكة على المدخل الجنوبي لمدينة البيرة بالقرب من الموقع المعروف بتل النصبة في منطقة عين ام الشرايط بالقرب من عين ماء والتي تشكل المصدر الأول للمياه في الخربة، وتبعد حوالي ١٢كم إلى الشمال من مدينة القدس (**الشكل ١**) وقد ذكرت الخربة في المسوحات الأثرية التي أجريت في فلسطين، فقد ذكرها كوندر وكتشنر (Conder and Kithchnertd 1883: 126) كتاب

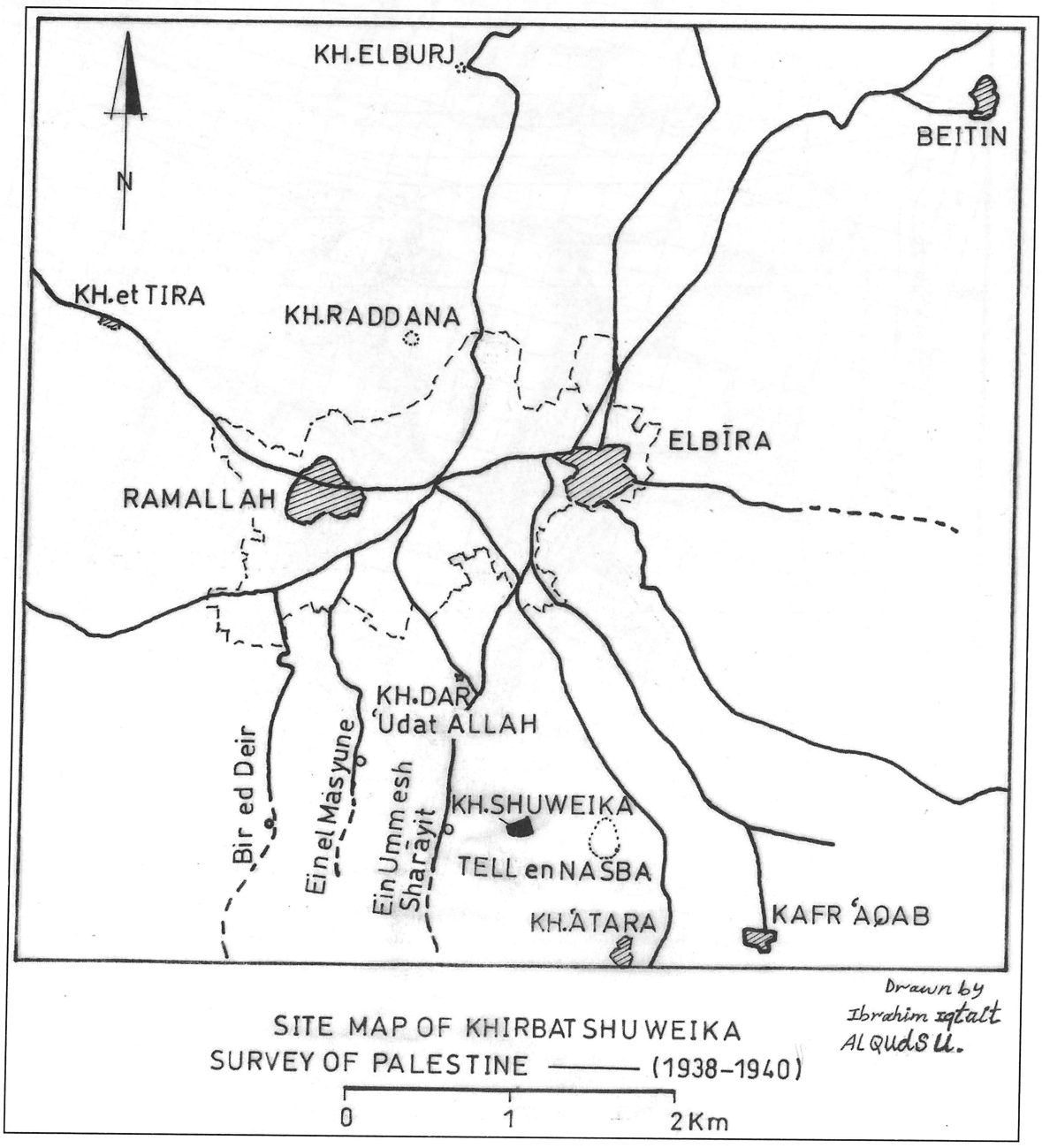

١. مخطط يوضح خربة شويكة والأماكن المجاورة لها.

"Survey of Western Palestine" وكذلك باجتي (Baghatti 1979: 99-101) خلال عمليات المسح التي اجراها في فلسطين. كما عرفها السكان المحليين الذين كانوا يسمونها بـ "قصر الملكة هيلانة" مما يبعث على الاعتقاد بوجود أبنية كبيرة وضخمة في هذا الموقع. وقد أجرى علماء الآثار في حفريات تل النصبة في الثلاثينات حفرية صغيرة على الموقع اكتشفوا خلالها الأرضية الفسيفسائية، وللحفاظ عليها قاموا بتغطيتها بالأتربة والحجارة التي تم رفعها خلال عملية الحفر.

وقد أجرى المعهد العالي للآثار الإسلامية - جامعة القدس عام ١٩٩٦ مسحاً أثرياً للموقع قبل البدء بعمليات الحفر والتنقيب، حيث تم تقسيم منطقة الخربة البالغ مساحتها ٢٧٥٠م٢ إلى العديد من المربعات مستخدمين بذلك نظام Grid System (الشكل ٢) للكشف عن مقتنيات الخربة سواء أكانت معمارية أو مواد حضارية. ومن الشواهد البارزة التي كشف عنها

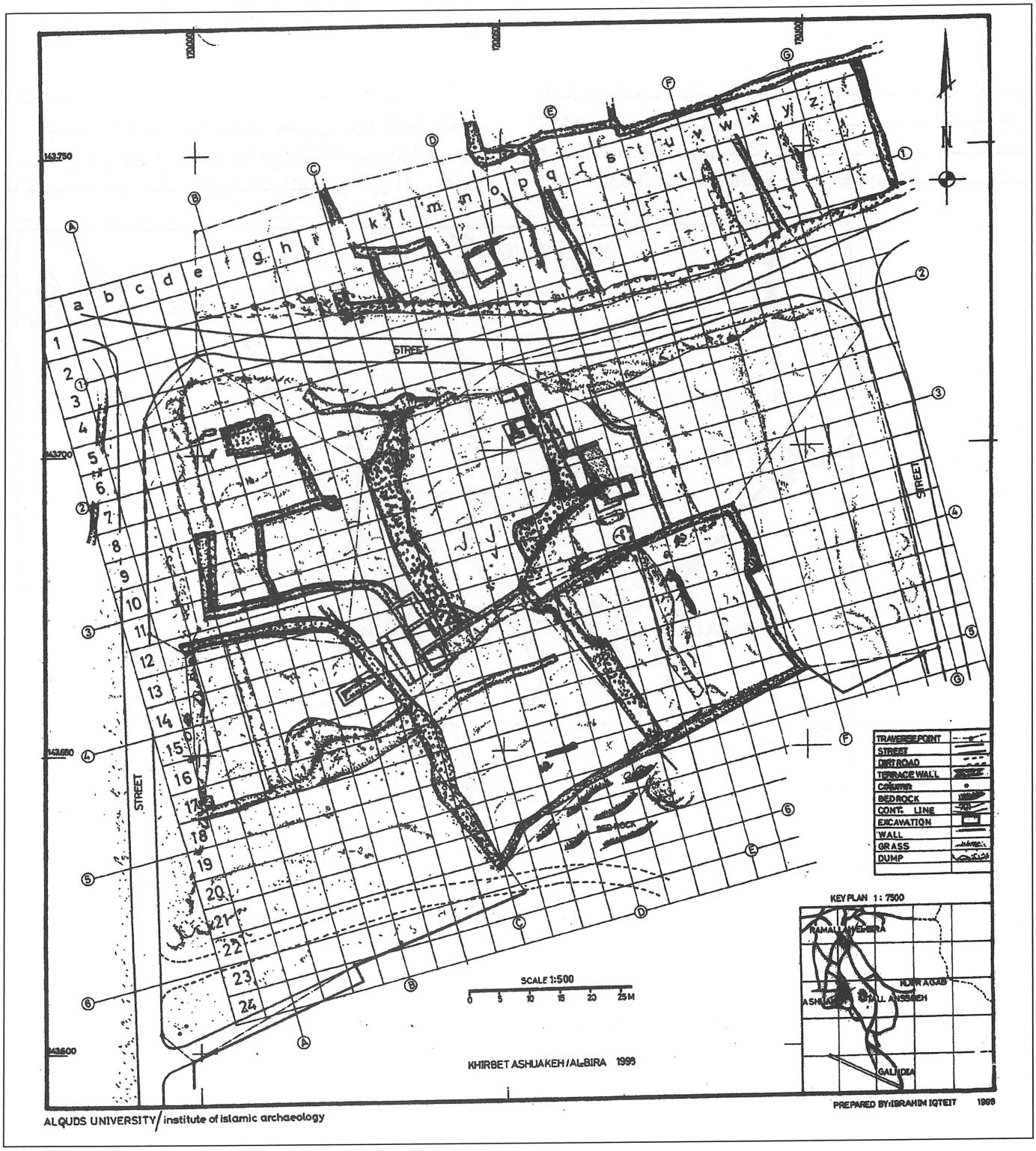

٢. مخطط يوضح نظام تقسيم الموقع إلى شبكة من المربعات.

والتي اعطتنا صورة عن مدى أهمية الموقع خلال العصور التي تعاقبت عليه مبنى دير وبقايا كنيسة وقبر مبني من الحجر اسفل اساسات الجدار الجنوبي الغربي للكنيسة، وغرف سكنية تحتوي على بعض العقود وكذلك معصرة نبيذ. بالإضافة إلى بعض قطع العملة والآنية الفخارية وقطع الزجاج والحجارة المنقوشة والأرضيات الفسيفسائية وغيرها من المواد الحضارية.

سير العمل

أشارت الدراسات الأولية إلى أن بداية السكن في الموقع تعود إلى الفترة الرومانية المتأخرة، واستمرت من الفترة البيزنطية إلى الفترة الإسلامية المبكرة "الأموية والعباسية" ثم مرحلة الهجران النهائي للموقع، حيث استغل الموقع لأعمال الزراعة، مما أدى إلى تخريب أجزاء كبيرة من محتوياته، فقد تركز العمل في جميع المواسم السابقة في المنطقة الجنوبية من الموقع، وذلك لوجود شارع باتجاه شرق-غرب يقطع الخربة ويقسمها إلى نصفين شمالي وجنوبي، حيث تم التنقيب في المربعين L10 وJ10 وذلك في المواسم ٢٠٠٠، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣. أما الموسم الثامن فقد بدأ العمل فيه من نهاية شهر حزيران ٢٠٠٤ وانتهى في الثلث الثاني من شهر تموز ٢٠٠٤، بإشراف فريق عمل يتألف من الدكتور مروان أبو خلف مدير المعهد، وعدد من طلبة المعهد المتدربين، ومساح ورسام آثاري وعدد من المساعدين والعاملين. وتركزت أعمال التنقيب وسط المنطقة الجنوبية وذلك باختيار مربعين هما K11 وL11، ومن المتوقع أن تشكل هذه المنطقة مع المربعات السابقة جزءاً من الساحة الوسطى او العامة للبناء الرئيسي في الخربة (**الشكلين ٣ و٤**) وهي كالتالي

٣. منظر عام لموقع الحفريات في خربة شويكة الموسم الثامن ٢٠٠٤.

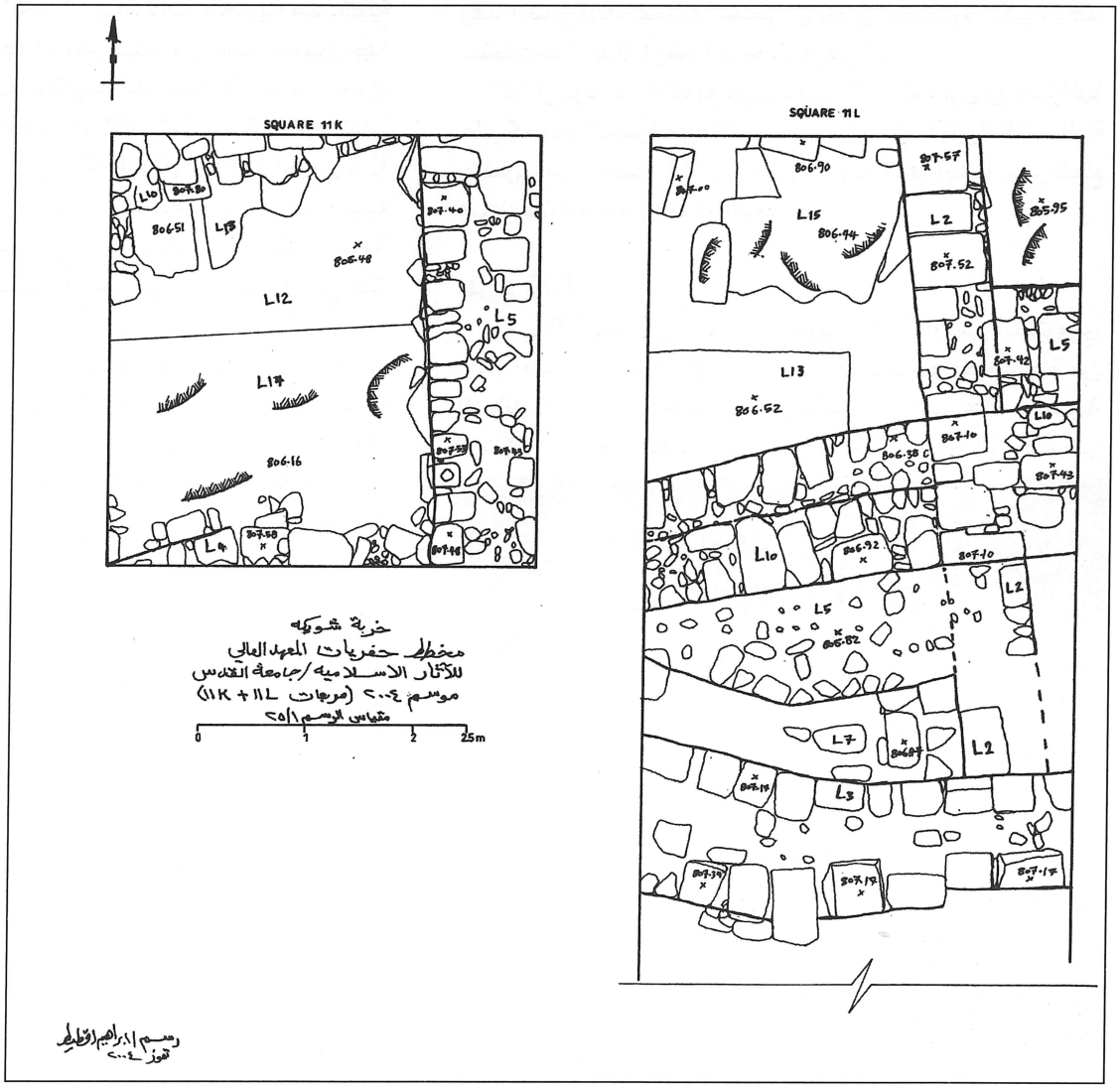

٤. مخطط يوضح المربعات K11 وL11.

المربع K11

كان الهدف من حفر هذا المربع هو تتبع استمرارية بعض الجدران التي تم الكشف عنها خلال المواسم السابقة في المربعين J10 وL10 والوصول إلى الأرضية الحجرية التي وجدت في المربعات المجاورة، فخلال عملية التنقيب تم تمييز ثلاثة عشر حيزاً، تمتد من الطبقة السطحية التي تغطي كافة أنحاء المربع إلى أرضية البناء. فقد احتوى الحيز الرابع على جدار يقع في الجهة الجنوبية للمربع، يتكون من حجارة كبيرة وصغيرة، وهو باتجاه شرق غرب يعتقد بأنه مضاف في فترة متأخرة قد يكون خلال الفترة العباسية. أما الحيز الخامس فهو عبارة عن جدار يعتقد بأنه كان مقصور بطبقة من القصارة يقع في الجهة الشرقية من المربع باتجاه شمال جنوب يتكون من حجارة كبيرة ومتوسطة الحجم غير منتظمة، بعضها مشذبة أعيد استخدامها في الفترة الإسلامية الأولى (أموي/عباسي). كما عثر في الحيز العاشر على جدار يقع في الجهة الشمالية من المربع يتشكل من حجارة كبيرة الحجم بعضها منتظم ومشذب والبعض الأخر غير منتظم يتخلله حجارة صغيرة وهو باتجاه شرق-غرب يعود للفترة العباسية أضيف لدعم جدار في الجهة المجاورة وهي منطقة غير محفورة. ويتصل هذا الجدار ببلاطات حجرية مستوية موضوعة إلى جوار بعضها البعض بينها فراغات صغيرة جداً وضعت فيها مادة شيدية، ولكونها مشابهة لأرضيات أخرى كشفت في أجزاء من الموقع وتعود للفترة البيزنطية فإنها على الأرجح تعود لنفس الفترة الزمنية (**الشكل ٥**). كما احتوى هذا المربع على كمية كبيرة من التربة الناعمة السوداء اللون فيها مجموعة من الحجارة الصغيرة والمتوسطة ترتكز على الطبقة الحجرية مباشرة، ويحتمل وجود موقد أو طابون في هذا المربع.

ومن خلال الدراسات التي أجريت واعتماداً على اللقى الاثرية التي وجدت تم تمييز ثلاث مراحل سكن وهي الفترة البيزنطية التي تمثلت بالأرضية المكونة من البلاطات الحجرية، حيث تم العثور على بعض القطع الفخارية فوق هذه البلاطات، والفترة الإسلامية الأولى التي تمثلت بالفترتين الأموية والعباسية، حيث دلت المعثورات على عدم إمكانية تحديد فترة الهجران بين الفترتين بسبب اختلاط المعثورات وإعادة استخدامها، وأما مرحلة الهجران فقد تركزت في المستويات العلوية حيث استخدم الموقع للزراعة.

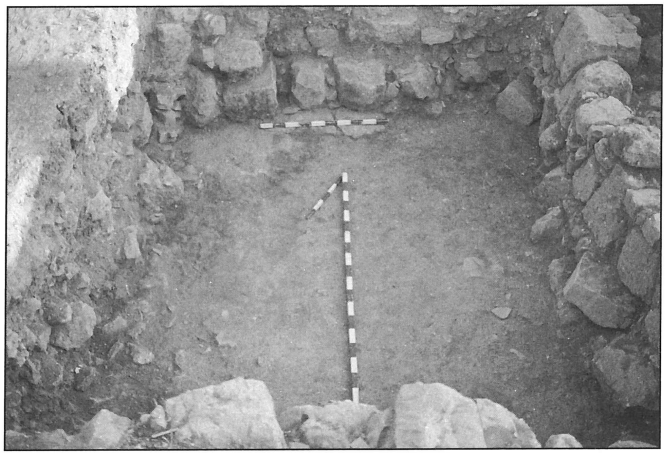

٥. صورة توضح أعمال الحفر في المربع K11.

المربع L11 (الشكل ٦)

عثر في هذا المربع على جدار (رقم ١) مبني من الحجارة الكبيرة المرتبة بشكل منتظم ذات سطح ناعم نسبياً وهو باتجاه شمال جنوب وله وجه داخلي من الجهة الشرقية مكونة من صفين من الحجارة الصغيرة والوجه الغربي يوجد عليه بقايا قصارة. جميع حجارة الجدار متناسقة باستثناء بعض الحجارة في الجهة الجنوبية من الجدار، كما عثر على جدارين احدهما عريض باتجاه شرق غرب (رقم ٢)، مكون من حجارة كبيرة مرتبة بشكل منتظم ذات سطح ناعم نسبياً وله وجه شمالي داخلي مكون من صفين من الحجارة الصغيرة، والجدار الآخر سميك باتجاه شرق غرب مع انحراف بسيط نحو الجنوب (رقم ٣) مكون من حجارة كبيرة وملاصقة للجدار (رقم ١) وجزءاً آخر يمتد فوق الجدار (رقم ٢).

كما عثر أيضا على مجموعة من الكتل المتحجرة كبيرة الحجم والمتوسطة تحتوي على نسبة عالية من الفخار والعظم. وقد اتضح أثناء عملية الحفر ان بعض الحجارة الكبيرة قد سقطت من جدار (رقم ١) وجدار (رقم ٣).

تمتاز تربة هذا المربع بميلها إلى اللون الزهري وباحتوائها على كميات كبيرة من الشيد المتمركز في الزاوية الشمالية بالقرب من الجدار (١) وجدار (٣)، وتحتوي أيضا على قطع فسيفسائية وبعض القطع الفخارية.

المربع L12

بعد الانتهاء من العمل في المربع L11 كان من الضروري عمل امتداد له من الجهة الجنوبية وذلك لوجود مجموعة من الدلائل كامتداد الجدران التي تظهر في التربة السطحية (**الشكل ٧**). وبعد الكشف عن الطبقات والوصول إلى الصخر

٦. صورة توضح أعمال الحفر في المربع L11.

٧. صورة توضح الامتداد بين المربعين L11 وL12.

الطبيعي، تبين أن وضعية هذا الامتداد لا تختلف عن ما هو موجود في المربع L11 من حيث الفترات الزمنية الثلاث البيزنطية وهي الأقل حيث اقتصرت على القطع الفخارية التي كانت قريبة من الصخر الطبيعي، والأموية، والعباسية. ولم يتم الكشف عن أية مظاهر معمارية تعود للفترة البيزنطية باستثناء بعض الحجارة في الجدران التي أعيد استخدامها في الفترة الإسلامية المبكرة.

أما بالنسبة للجدران فأول جدار هو جدار رقم (٣) يقع في بداية الامتداد من المربع (**الشكل** ٨)، وهو باتجاه شرق غرب، يتكون من حجارة كبيرة ويعود بتاريخه إلى الفترة العباسية على وجه التحديد.

واهم ما تم الكشف عنه في هذا الامتداد هو الرصفة الحجرية المستخدمة لعمل الأرضية وهي قريبة من التربة السطحية وهذا ما يفسر خراب الارضية بسبب اعمال الحراثة والزراعة في الموقع. ومن المؤكد ان هذه الرصفة كانت ممتدة على المربع L11 والمربع K11 الا انه لم يتم الكشف عنها بشكل دقيق. حيث عثر في المربع K11 على شئ مماثل تقريباً الا ان الخراب كان قد اصابه. وهذا متمثل في المربع K11 فوجود حجارة المدخل في الجدار (رقم ٢) في المربع K11 دليل على وجود مثل هذه الرصفة في المربع K11 ومن الممكن أنها تعود بتاريخها إلى الفترة العباسية أيضاً حيث تم العثور على قطع فخارية مزججة وقابلة للترميم فوق هذه الرصفة تعود إلى الفترة العباسية.

ولفهم طبيعة باقي الطبقات تم عمل مجس بالقرب من

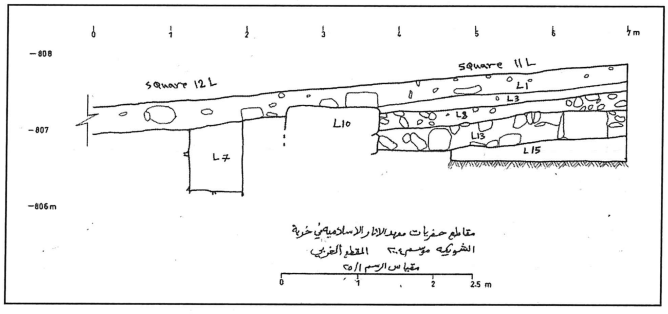

٨. المقطع الغربي للمربعات L11 وL12.

الجدار رقم (١) وتم الكشف عن طبقتين من الردم والهدم في الموقع. فاغلب المخلفات كانت تشير إلى أن الموقع تعرض للسكن في ثلاث مراحل: البيزنطية وهي الأقدم، كانت اقرب إلى الصخر الطبيعي وتتمثل بشكل واضح بالجدارين رقم واحد واثنين ثم الفترة الاموية وبعدها العباسية ولم يكشف عن آثار أقدم من هذه الفترات خصوصا إن البقايا الأموية ظهرت مختلطة مع العباسية.

المعثورات

إلى جانب البقايا المعمارية التي تم كشفها خلال عملية الحفر على المربعين K11 وL11 فقد عثر أيضا على عدد كبير من البقايا الفخارية والزجاجية والعظمية، جزء كبير منها يعود للفترة الأسلامية المبكرة والجزء الآخر يعود للفترة البيزنطية.

١. البقايا الفخارية: إن بقايا الأواني الفخارية التي وجدت خلال حفريات هذا الموسم تمثلت بأشكال وتقنيات وعناصر زخرفية مختلفة تتناسب والفترات التي مرت على الموقع، والأواني هي عبارة عن جرار كبيرة وصغيرة الحجم وأباريق وأواني طبخ وزبادي وصحون وتماثيل فخارية بأشكال حيوانية وغيرها.

٢. الجرار (**الشكل** ٩): ظهر نوعين من الجرار كبيرة الحجم ومتوسطة كانت تستخدم لحفظ السوائل وهي ذات شكل بيضاوي لها مقبضين على شكل حلقات دائرية تمتد من حافة الرقبة إلى الكتف، وبعض المقابض عليها عناصر زخرفية وهي جميعها على شكل أختام (**الشكل** ١٠)، والقاعدة بشكل عام محدبة والرقبة مرتفعة ومستقيمة واحيانا اخرى منخفضة تحيط بها حافة ذات بروز دائري ومزخرفة بزخارف مشطية، أما لون العجينة فغالباً ما تكون ما بين البني الفاتح إلى البني المائل إلى الاصفرار وذات جدران سميكة. أما الجرار المتوسطة الحجم فهي ذات عجينة مائلة إلى الاحمرار بعضها عليه تضليعات وذات رقبة دائرية والبعض الاخر بدون تضليعات ورقبتها مستقيمة. مقابض هذا النوع أحياناً تكون دائرية وأحياناً اخرى منفرجة. بعض هذه الجرار كما عثر في حفريات هذا الموسم يتكون من حافة مجوفة من الوسط، كما عثر على بعض الكسر الفخارية الكبيرة لجرة خزين ذات عنق منخفض ومجوف ليوضع عليه الغطاء ومزخرفة بأشرطة زخرفية مشكلة من بصمات الاصابع حول العنق.

٣. أواني الطبخ (**الشكل** ١١): وهي عبارة عن قدور واغطية بعضها مزخرف بالتضليع غير الحاد وذات عجينة بنية مائلة إلى البرتقالي يظهر عليها آثار الحريق وهي ذات ملمس خشن لها حافة مقطوعة للداخل والبعض الآخر له حافة بارزة للخارج لها تجويف من الداخل لتثبيت الغطاء، سطحها العلوي مقطوع للداخل. أما المقابض فهي أفقية تبدأ عند الحافة أو أسفلها بقليل. وللأواني أغطية عليها إما مقبض دائري مرتفع وسط الغطاء ومثقوب او مقبض حلقي، وبعض هذه الأواني اكبر ولها فوهة اضيق ومقابضها موضوعة بشكل عمودي تمتد من الحافة إلى الكتف.

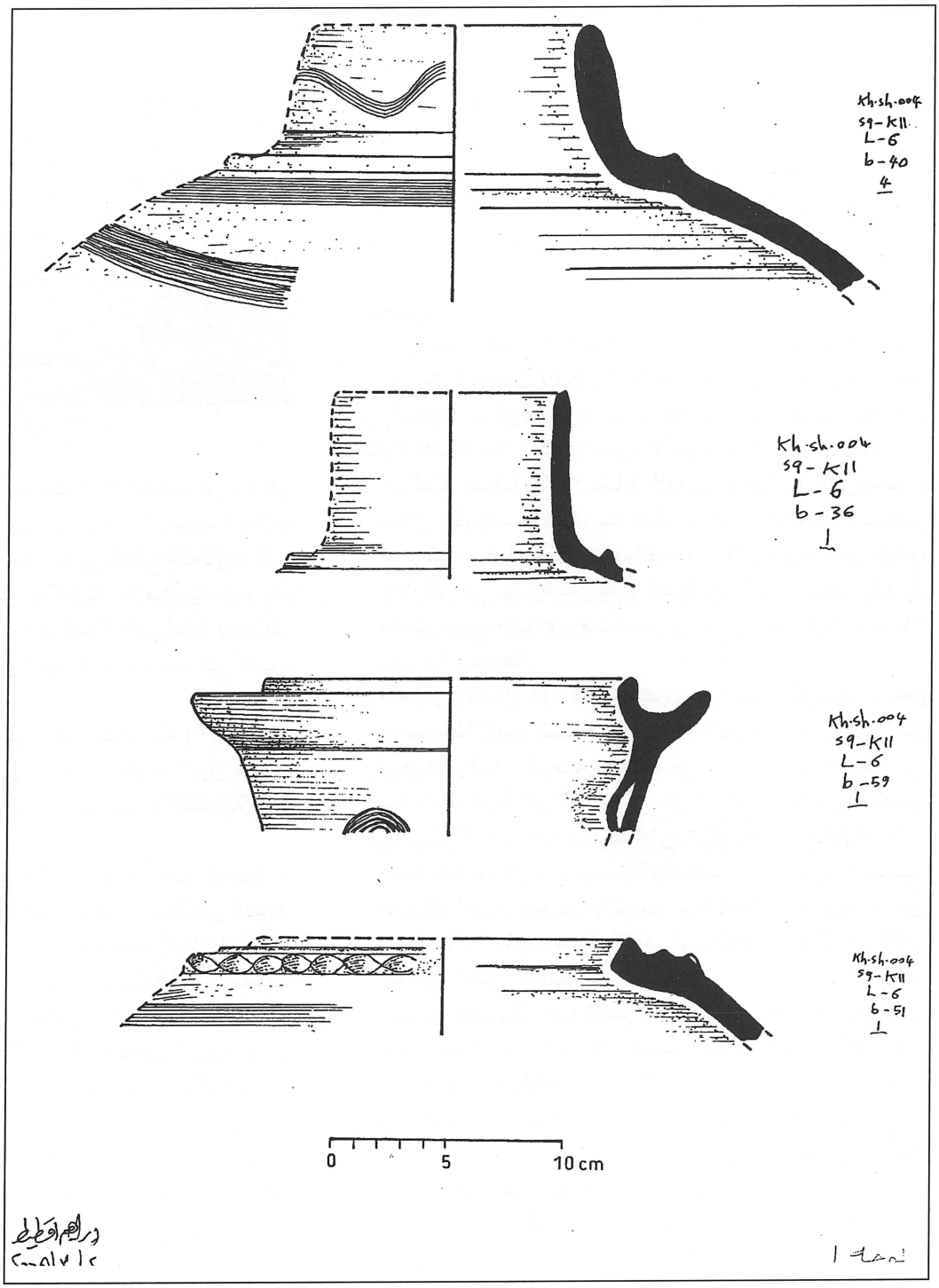

٩. رسومات توضيحية لجرار فخارية عثر عليها في خربة شويكة.

٤. الأباريق والشربات (**الشكل ١٢**): ظهرت بشكل عام من عجينة إما برتقالية أو صفراء شاحبة، بعضها مزخرف بزخارف محززة والبعض الآخر بزخارف مضافة. بعضها ذات رقبة طويلة والبعض الآخر قصيرة ولها حافة بارزة للخارج. أما القواعد فهي قرصية أو منبسطة أو منبعجة للداخل والبعض الآخر بقاعدة حلقية.

أما الأباريق فهي برقبة طويلة مع مقبض يمتد من الحافة إلى الكتف، يقابلها في الجهة الاخرى صنبور. أما الشربة فلها رقبة طويلة ذات تضليع، الفوهة من الاعلى اوسع من الرقبة ولها احياناً مصفاه في الجزء العلوي منها، وتكون المقابض منفردة على معظم القطع ولكن بعض الأشكال المصنوعة من الطينية البيضاء يكون لها مقابض أما مزدوجة أو ثلاثية. وبعض الأواني مقابضها على طرفي الاناء وعليها تحزيز على البدن.

٥. أواني كبيرة (Craters) (الشكل ١٣): أواني ذات أحجام كبيرة، سميكة الجدران وعميقة ذات عجينة رمادية اللون ضاربة إلى البني، جدرانها إما مائلة والحافة مقطوعة أو مستقيمة أو منبسطة ومتجه للخارج أو دائرية، والقواعد في اغلب الأحيان قرصية. بعض هذه الاواني لها مقابض حلقية وضعت على جانبي الاناء بشكل عمودي يصل من أسفل

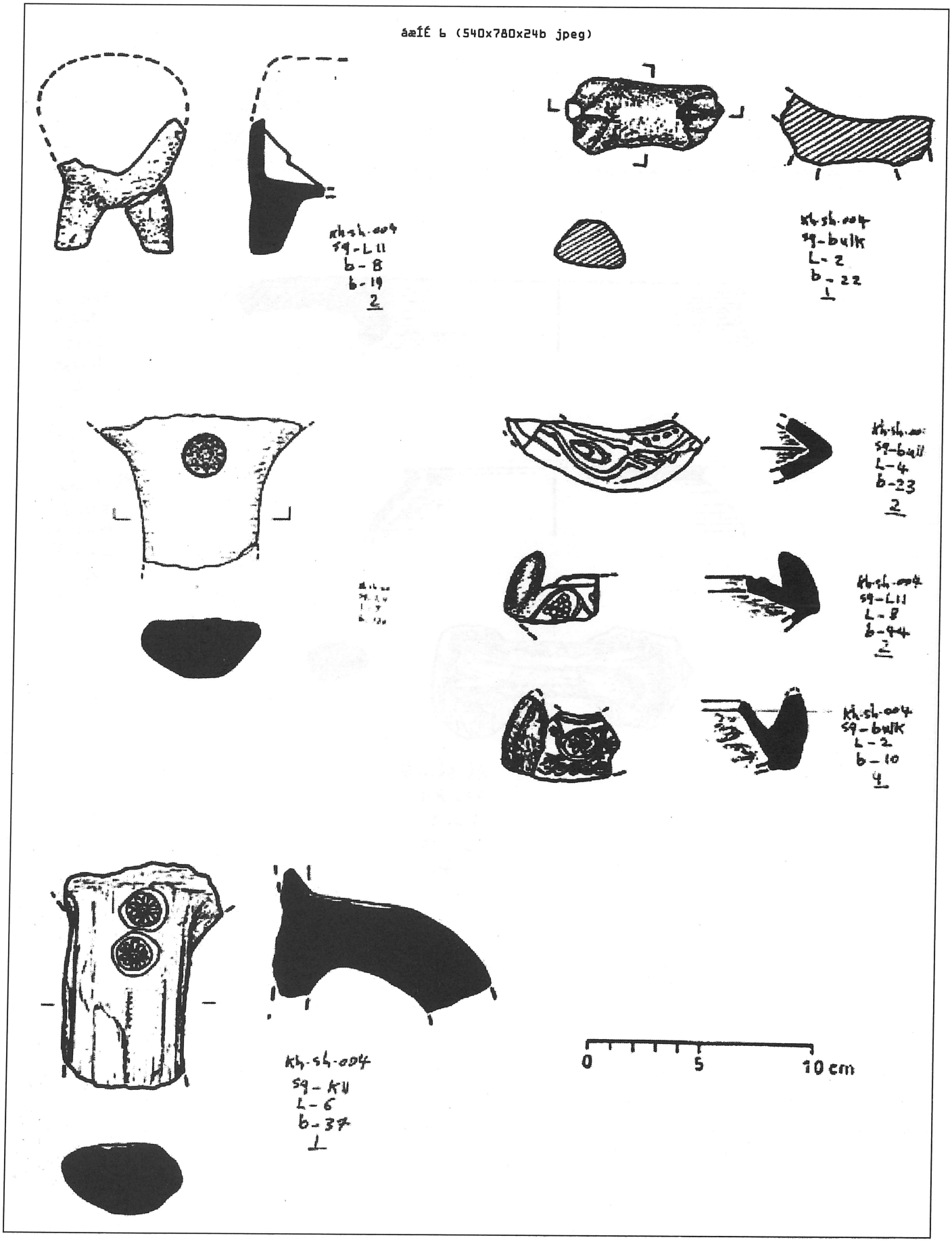

١٠. رسومات توضيحية لكسر فخارية مختلفة الأشكال.

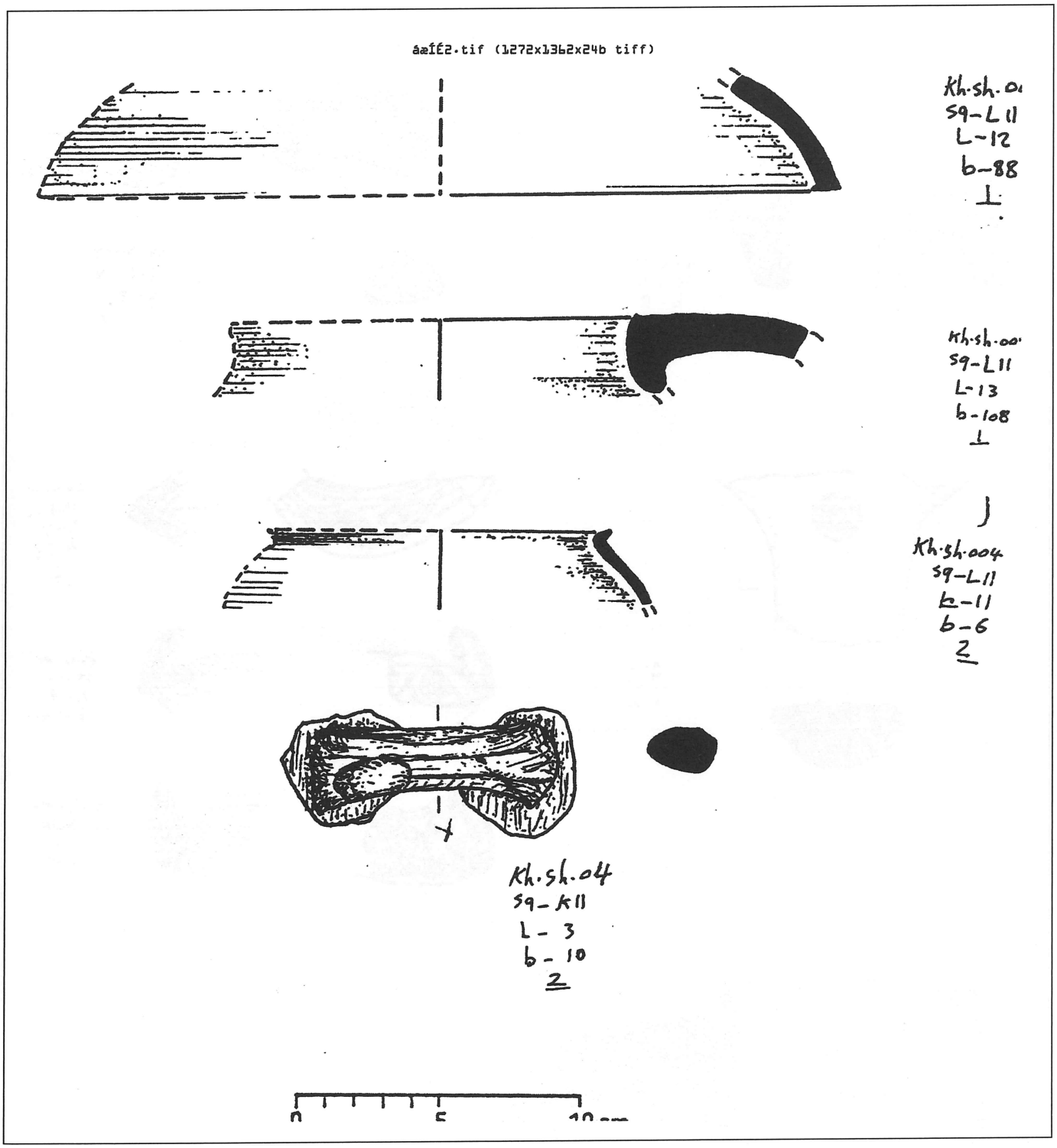

١١. رسومات توضيحية لأواني الطبخ الفخارية.

حافة الإناء إلى الجدران وهذا يبدو واضحا على احد هذه الأواني التي ظهرت خلال حفريات هذا الموسم، وقد زخرفت هذه الأواني بأشرطة زخرفية على الجزء العلوي من الإناء كبصمات الأصابع أو زخارف مشطية او حزوز مشكلة بعض الأشكال الهندسية كالمربعات.

٦. الصحون والزبادي والكؤوس (الشكل ١٤): إن العجينة المستخدمة في صنع هذه الأواني هي ذات لون بني فاتح أو رمادي وأحيانا البرتقالي، بعضها مصنوع بواسطة عجلة الخزاف والبعض الاخر باليد. الصغيرة منها ذات جدران رفيعة وذات قواعد دائرية ومنبسطة والجدران اما مستقيمة أو شبه دائرية مع انكسار في الجزء السفلي. اما الكبيرة منها فجدرانها اسمك وعليها زخارف محفورة ذات اشكال هندسية أو مسننة والبعض الآخر زخرف بواسطة بصمات الأصابع والتحزيز.

٧. قطع فخارية أخرى: عثر خلال هذا الموسم على كسر من تماثيل فخارية حيوانية مصنوعة من عجينة بيضاء اللون

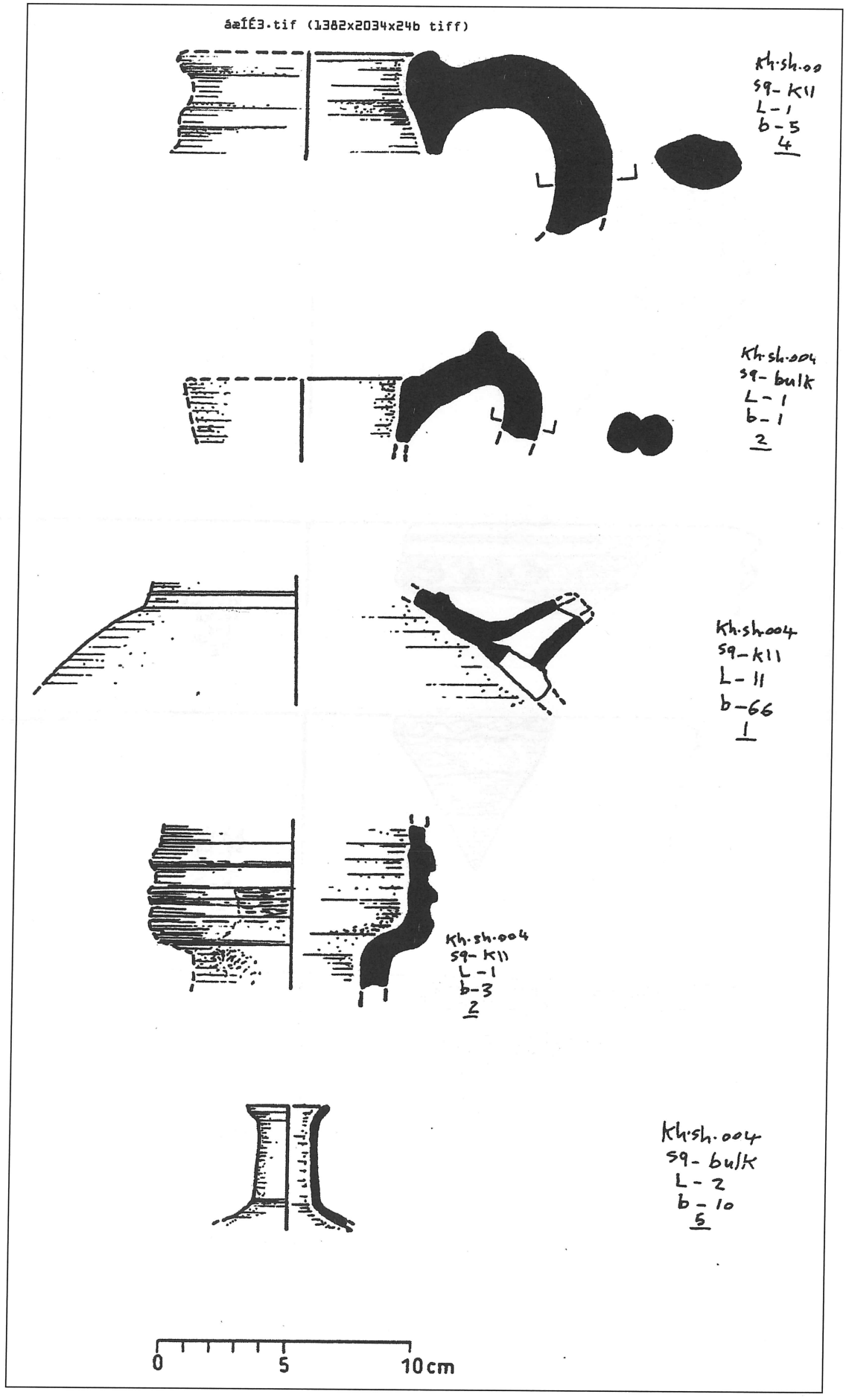

١٢. رسومات توضيحية لكل من الأباريق والشربات.

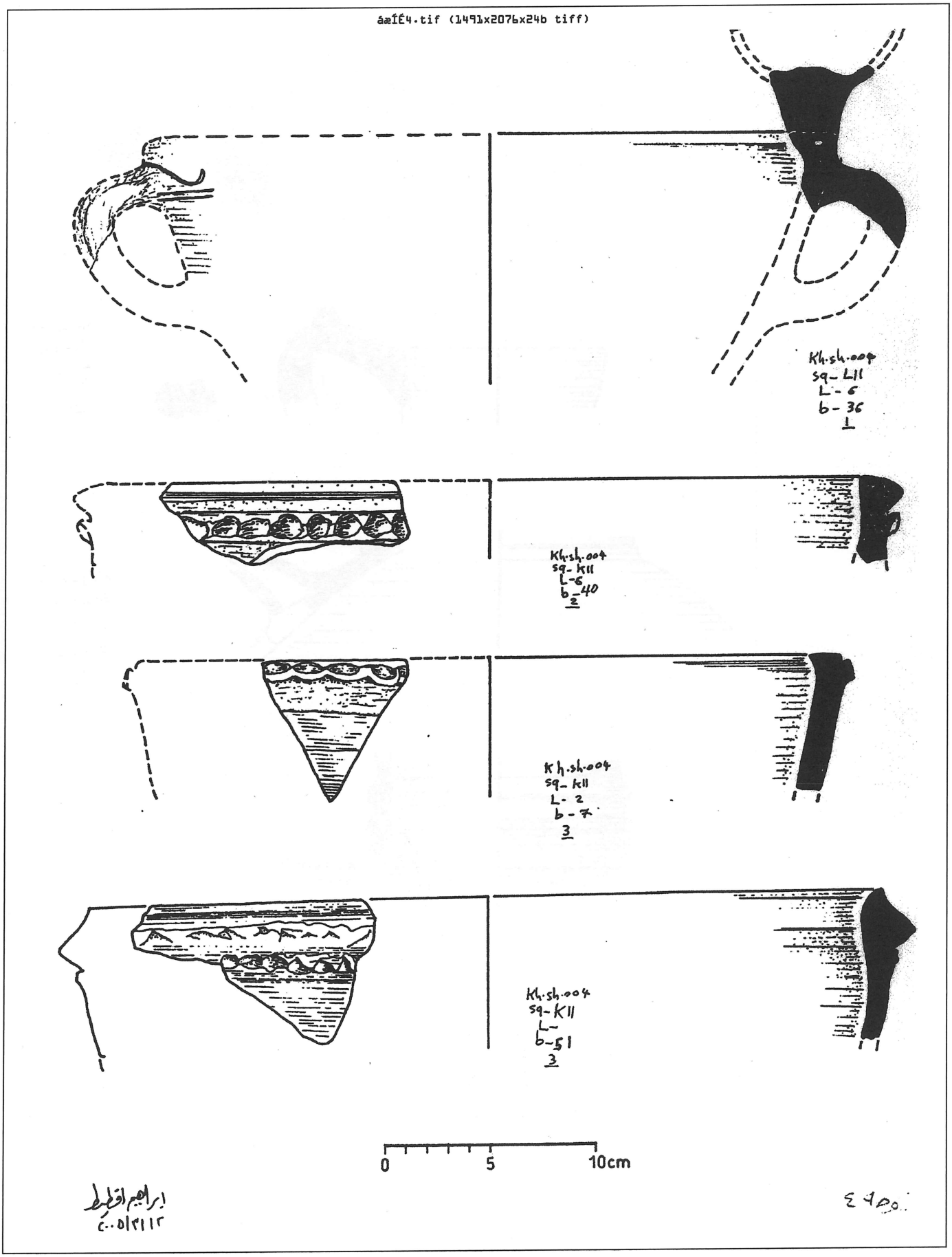

١٣. أواني فخارية كبيرة مختلفة الأشكال مزخرفة.

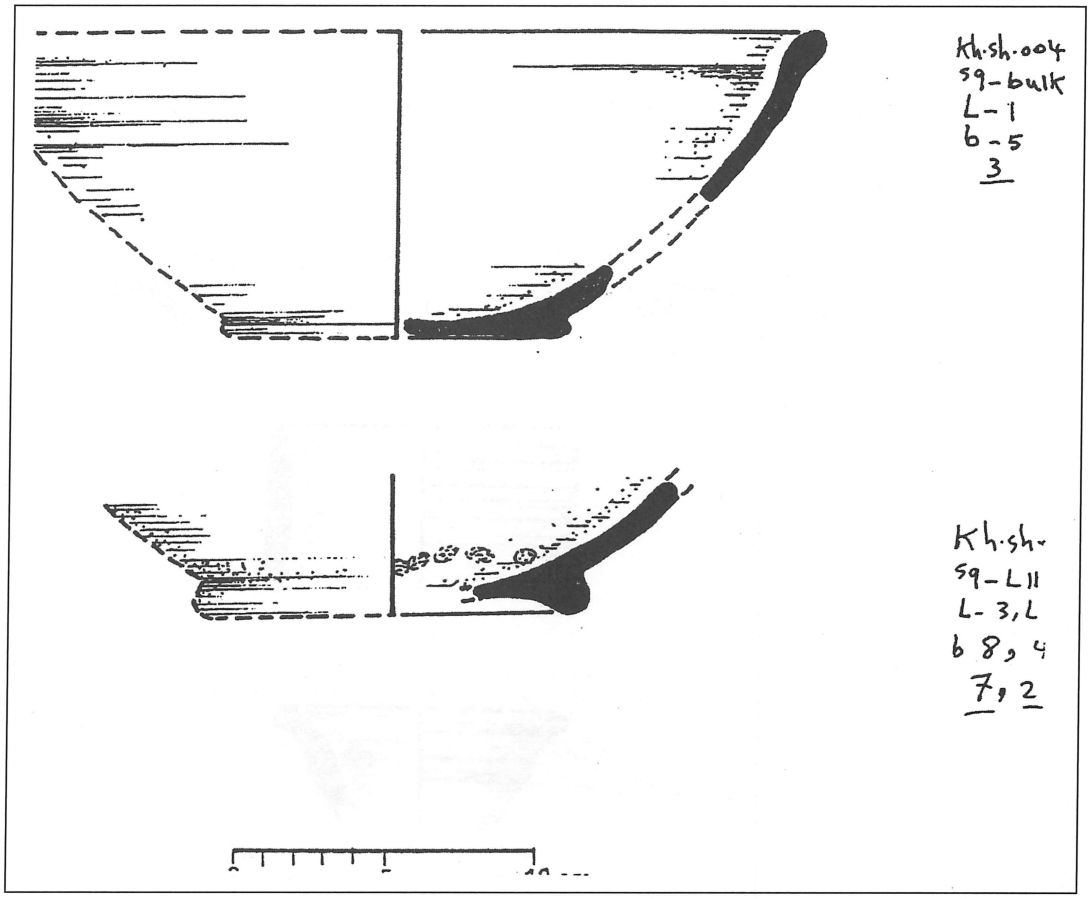

١٤. رسومات توضيحية للصحون والزبادي الفخارية.

وهي عبارة عن أجزاء من حصان وكسر من تمثال صغير لكبش وكذلك على بعض الكسر الفخارية من أسرجة ذات عجينة وردية اللون عليها زخارف زهرة اللوتس وعناقيد العنب واوراق النخيل والازهار وأشكال هندسية (الشكلين ١٠ و١٥)، كما عثر أيضا على مطرتين فخاريتين، إضافة إلى كسرة من زبدية واسعة لها مقبض دائري مرتفع، وبداخلها ركزة تستخدم لكبار السن لغسل ارجلهم أثناء الوضوء وهي ذات قاعدة دائرية منبسطة.

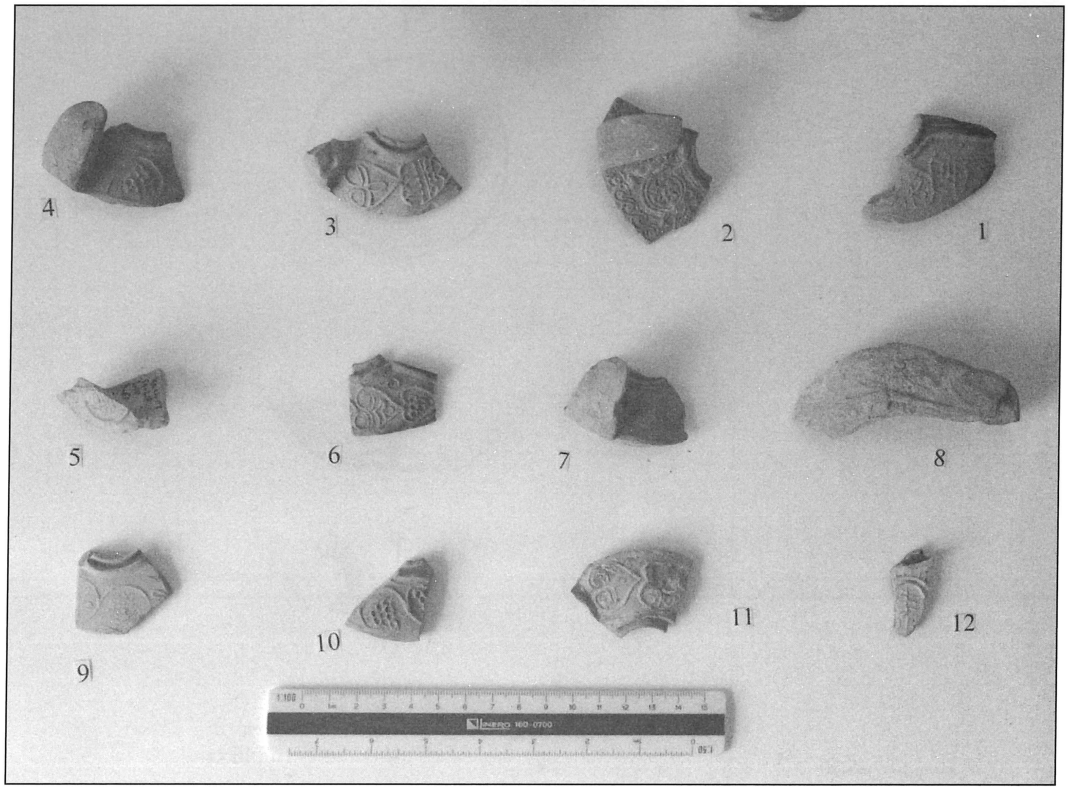

١٥. صورة توضح نماذج مختلفة من الأسرجة الفخارية.

٨. الفخار المزجج: عثر أثناء حفريات هذا الموسم على بعض القطع الفخارية المزججة وهي عبارة عن قطع لصحون أو زبادي مصنوعة بعجينة بيضاء ومن ثم مزججة بالألوان الخضراء والصفراء، وأحياناً البيضاء والسوداء.

٩. الفخار البيزنطي (الشكل ١٦): القطع الفخارية التي تعود لهذه الفترة قليلة جدا، وجد بعض منها على الأرضية

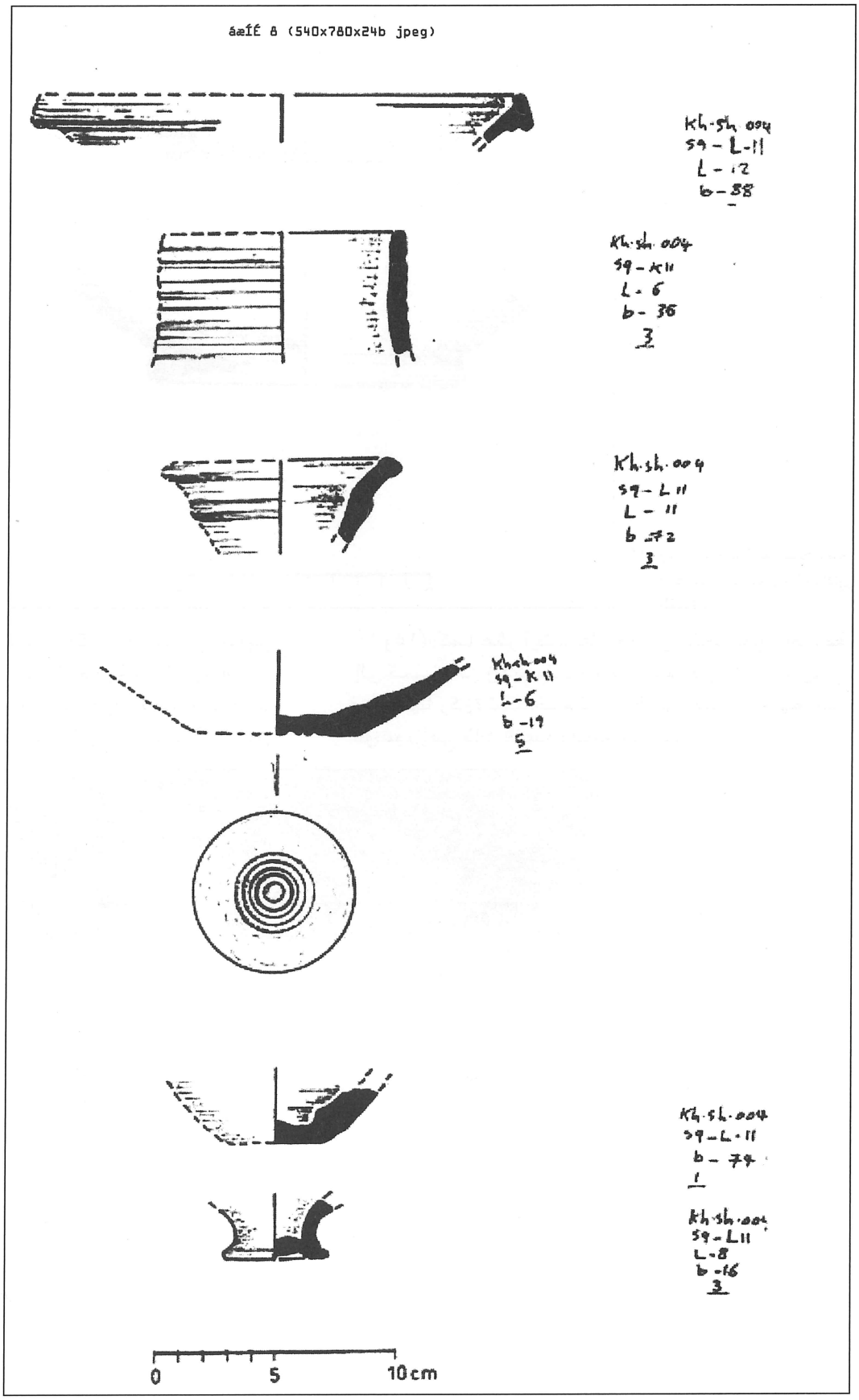

١٦. الفخار البيزنطي.

المبلطة وعلى التربة المدكوكة التي أعدت لتكون طبقة تحت البلاطات الحجرية المدمرة، وهي عبارة عن صحون وأباريق وجرار.

الخلاصة

إن الحفريات التي أجريت في المربعين L11 وK11 في موسم ٢٠٠٤، تشير إلى وجود ثلاث مراحل رئيسية أولها المرحلة المعاصرة أو السطحية والتي استخدمت لفترة طويلة في الزراعة وقد تم العثور على بعض القطع الفخارية التي تعود إلى فترات سابقة في تربة هذه المرحلة. تأتي بعدها المرحلة الإسلامية المبكرة والمتمثلة كما في المعثورات التي تعود إلى الفترتين الأموية والعباسية وتشير بشكل واضح إلى إعادة استخدام هذا الموقع خلال هذه الفترة، ثم المرحلة البيزنطية التي تتمثل بشكل أساسي بالأرضية الحجرية التي تظهر على شكل بلاطات.

أما النتائج التي تم التوصل إليها في هذين المربعين خلال أعمال الحفر في هذا الموسم فهي تتشابه مع المربعات المجاورة لها L10 و J10 وL12 والتي حفرت في مواسم سابقة من حيث المحتوى واللقى الأثرية.

مروان أبو خلف
المعهد العالي للآثار الإسلامية-جامعة القدس

كتابات كوفية من منطقة الديسه ورم

سليمان الفرجات وسامي النوافله

المقدمة

حظيت الكتابات العربية قبل الإسلام والكتابات في العصر الإسلامي الأول باهتمام العلماء والباحثين الذين قاموا بدراستها وتحليلها ومقارنتها ببعضها البعض لاستنتاج أراء علمية ثابتة عن هذه الكتابات تقود إلى مزيد من المعرفة العلمية بأصول وقواعد وتطور الخط العربي، وقد انتهى الدارسون إلى الاستنتاج بأن الخط العربي قد تطور عن الخط النبطي المتأخر وقد عثر العلماء على العديد من الكتابات والنقوش النبطية والعربية بعضها يرجع إلى فترة ما قبل الإسلام كنقش النمارة سنة ٣٢٨م (ولفنسون ١٩٨٠: ١٨٩) ونقش جبل اسيس ٥٢٨م شرقي دمشق ونقش حران ٥٦٨م (الجبوري ١٩٧٧: ٥٢)، ولقد أولى المسلمون الأوائل موضوع الكتابة اهتماماً خاصاً وعناية فائقة منذ عصر الرسول (ص) الذي شجع الناس على الكتابة والقراءة حتى إن الروايات التاريخية تشير إلى انه طلب من بعض أسرى قريش بعد معركة بدر من الذين لم يقدروا على فداء أنفسهم أن يعلم كل منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة (ابن سعد ١٣٢٢هـ: ص ١٤) وتشير النصوص التاريخية بان الرسول (ص) كان يشجع النساء على تعلم الكتابة والقراءة (البلاذري ١٩٥٧: ٥٨٠) لذا نظراً لاتساع رقعة البلاد الإسلامية والحاجة الملحة إلى تأمين الاتصال اللازم بين المدن والأمصار الإسلامية، سعى المسلمون إلى تطوير ونشر الخط الكوفي بما يتلاءم وحاجات الدولة ومصلحة الدين الإسلامي. وقد عثر على العديد من النقوش الإسلامية المؤرخة والتي اعتبرت من النظم الكتابية التي يمكن الرجوع إليها في تلك الفترة كنقش شاهد عبد الرحمن الحجري من أسوان سنة ٣١هـ ونقش سد معاوية ٥٨هـ ونقش حجر المسافات من فلسطين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٦-٨٦هـ) (التل ١٩٨١: ٢٥-٤٢).

الموقع الجغرافي للنقوش

عند دراسة أماكن انتشار هذه النقوش نجد إنها تتركز في الأماكن التي تتوفر فيها مصادر المياه كوادي الحفير الذي توجد في أحد جوانبه الصخرية بركة ماء كبيرة بنيت بشكل مستطيل منذ زمن الأنباط والثموديين ومن هذه الأماكن التي تنتشر فيها النقوش وادي الحفير، وادي رابك-شيره، وادي أبو رمان ووادي رم. وتعتبر ظاهرة إعادة استعمال البرك القديمة والسدود المنتشرة بالعشرات في منطقة حسمى التي تعود إلى مملكة الأنباط من الظواهر التي كانت سائدة في الفترة الإسلامية، وكان هناك على ما يبدو ظاهرة تقليد للأسلاف بخصوص حفر الآبار التجميعية لتخزين المياه واستغلال الأحواض الصخرية في الأودية لنفس الغاية ويبدو هذا جلياً في منطقة وادي رابك بالقرب من موقع القرية الإسلامية التي عثر فيها على بعض النقوش. وفي وادي أبو رمان الذي عثر فيه على النقوش (٧-٨-٩-١٠)، أما وادي رم ففيه مصادر مائية كافية كعين الشلالة وبعض البرك التجميعية القديمة ومن المؤكد وفرة مصادر المياه في الأماكن السالفة الذكر قد أعطى الحياة لها.

قرية شيره الإسلامية

إلى الجهة الشمالية من وادي رابك وفي الجانب الغربي من تلك المنطقة يقف المرء استعجاباً لكثرة القبور الإسلامية هناك ويتبادر إلى ذهن الجميع ان تلك القبور تعود إلى أولئك البدو الرحل الذين اعتادوا السكن في تلك المنطقة، إلا أن هذا الإحساس أو الرأي سرعان ما يتبدد حالما تتوغل إلى الإبط الغربي من ذلك الوادي حيث الكتابات الثمودية المتناثرة بكثرة على الحجارة هناك وأنقاض موقع إسلامي شهير من أواخر الفترة الأموية ويمكن مشاهدة العديد من الجدران والغرف القديمة مبنية على طول واجهتي ذلك الوادي الممتد حوالي ثلاثمائة متر ويتوسط هذه الأنقاض مسجد القرية وقد عثرنا على أحدى الحجارة المبنية في هذا المسجد على كتابات كوفية باسم المسجد (بسم الله الرحمن الرحيم - وهذا مسجد سلام ابن ذوابه صلى الله عليه وسلم)...الخ.

على مقربة من المسجد وإلى الجهة الشرقية الجنوبية منه وجدت كتابة كوفية أخرى غالبية أجزاءها مطمورة. وإلى الجهة الغربية من المسجد وعلى السفح المطل على هذا الموقع الإسلامي وعلى واجهة إحدى الحجارة الكبيرة تم العثور على كتابة كوفية ذات أهمية بالغة في دراسة تطور مراحل الكتابة والأبجدية القديمة وتكمن أهميتها بشكل خاص بأنها أضافت شيئا على تاريخ هذه المنطقة، سيما وأن تاريخ كتابتها ١٠٩هـ قد أعطانا الفترة الزمنية المطلوبة لتاريخ ذلك الموقع وبعض

الكتابات الكوفية في المنطقة والتي كنا نعتقد بأنها ترجع إلى نهاية الفترة الأموية. والمسجد عبارة عن غرفة مربعة بنيت بحجارة غير منتظمة، أطوالها ٦,٨٠م شمال جنوب ٧,٥٥م شرق غرب، أما عرض الجدار الشرقي للمسجد فهو حوالي ٠,٩٠-١,٠٤م وعرض الجدار الشمالي حوالي ٠,٧م. والسؤال المطروح لماذا حسمى؟ وما علاقة هذه المنطقة بموقع الحميمة وبالدعوة العباسية؟

إن انتشار العديد من الكتابات التي تعود للفترات الإسلامية المبكرة في منطقة حسمى يعطينا إشارة واضحة عن أهمية تلك المنطقة في الفترة الإسلامية وخاصة في العصر الأموي وبداية العصر العباسي وتعود تلك الأهمية إلى توفر ميزات فريدة للمنطقة من أهمها الموقع الجغرافي المتوسط على الطرق التجارية وخاصة الطريق التجاري الذي يربط الحجاز بالشام.

كما إن لتوفر المراعي والصيد بالإضافة إلى خصوبة التربة وتوفر مصادر المياه وعوامل أخرى ساعدت على استغلال هذه البيئة الطبيعية والزراعية من قبل الكثير من الأمم والشعوب وخاصة الأنباط والثموديين والمسلمين وغيرهم من الذين تعاقبوا على منطقة حسمى (الفرجات ١٩٩١: ١٧-٣٠).

ويقول ياقوت الحموي في وصفه حسمى "أنها أرض ببادية الشام تنزلها جذام" وفي أخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر إلى العراق وقال "حسمى أرض طيبة تؤدي لين النخلة من لينها وتنبت جميع النباتات مملؤه جبالاً في كبد السماء"، ثم يضيف "ومن جبال حسمى جبل يعرف بارم عظيم العلو تزعم أهل البادية إن فيه كروماً وصنوبراً" (الجبوري ١٩٧٧: ٢٥٩) أما الحميمة فهي من المناطق التي كانت مأهولة بالسكان في منطقة حسمى وذكر الطبري في تاريخه إن الوليد بن عبد الملك بن مروان أخرج علي ابن عبدالله بن العباس من دمشق وأنزله الحميمة في سنة خمس وتسعين للهجرة ولم يزل ولده بها إلى أن زالت دولة بني أمية وولد له بها نيف وعشرون ولداً ذكراً (ابن حلكان ١٩٤٩: ٢٧٨) وتذكر المصادر التاريخية أن الحميمة كانت ديار بني العباس ومنطلق الدعوة العباسية. فكانت لعلي بن عبدالله بن العباس وأولاده في أيام بني أمية. فيها ولد السفاح والمنصور وبها تربيا ومنها انتقلا إلى الكوفة وفيها بويع السفاح بالخلافة كما هو مشهود.

فبالإضافة إلى انتشار الكثير من النقوش والرسومات الصخرية الثمودية والنبطية التي تمثل حياة البداوة والرعي ومشاهد الصيد وأسماء التجار وأصحاب القوافل وأسماء الالهه في تلك الفترة (Jobling 1984: 191-202)[1]. أضاف المسلمون شيئاً جديداً ومتميزاً من النقوش والكتابات المبكرة على صخور وأحجار منطقة حسمى مما يضيف حلقة جديدة من حلقات دراسة تطور الخط العربي.

لذا فأن نزول بني العباس في منطقة الحميمة وحسمى له علاقة مباشرة بموضوع بحثنا لوجود تزامن على ما اعتقد بين تواجد بني العباس في المنطقة وبين الفترة الزمنية التي يمكن أن تنسب إليها هذه النقوش الإسلامية المكتشفة والتي يعتقد بأنها تعود في الغالب إلى الفترة الأموية وبداية الفترة العباسية.

جمع النقوش وقراءتها

النقش رقم (١)

النص

١. بسم
٢. الله الرحمن
٣. الرحيم اللهم
٤. تقبل من عبد العلا بن سعيد
٥. صلاته وصومه وحفظه
٦. في أهله وأخلف[ه] في [بيته]
٧. وأصلحه انك عل[ى.....]
٨. صل الله عليه وسلم واسلم عليه
٩. ورحمت الله وبركاته
١٠. كتب في رمضان
١١. سنة تسع ومايه

الملاحظات

١. نلاحظ في الكلمة الثالثة السطر السادس وما بعدها [وأخلفه] عدم وضوح نهاية الكلمة فقرأناها وأخلفه، وأيضاً الكلمة التي تليها يظهر حرف الفاء وجزء من الياء أما الكلمة الأخيرة في السطر فيظهر فقط حرف التاء المربوطة في نهاية الكلمة فقرأناها [بيته].
٢. ورد رسم حرف العين في وسط كلمة سعيد مفتوحة إلى أعلى بدون قنطرة وهناك أمثلة عديدة مشابهة كما في النقش رقم (٢) من نقوش مكة المكرمة في كلمة لعلكم المؤرخ لسنة ٨٤ هـ (الراشد ١٩٩٥: ٢٦).
٣. رسم الياء في كلمة (في) في السطر السادس وفي كلمة (في) أيضاً في السطر العاشر جاءت على شكل خط يمتد من اليسار إلى اليمين تحت الكلمة وهذا يسمى بالياء الراجعة. وهناك حالات مشابهة في النقوش (١٥-١٧-١٩-

١. لقد تم جمع هذه النقوش والكتابات من قبل السيد سليمان الفرجات خلال المسح الأثري للكتابات الثمودية الذي أجراه الدكتور وليم جوبلنج عام ١٩٨٧ لمنطقة رم والديسة.

٢٠) في نفس المصدر السابق (الراشد ١٩٩٥: ٥٥-٧٤).

٤. قام الكاتب بتنقيط حرف الياء في كلمة الرحيم في السطر الثالث وكلمة سعيد في السطر الرابع.

٥. النص عبارة عن دعاء إلى الله تعالى أن يتقبل من عبد العلا بن سعيد صلاته وصومه وأن يحفظه في أهله وهو النص الوحيد المؤرخ إلى عام ١٠٩هـ وأطول نص وجد في المنطقة.

٦. النص واضح جداً وكتب بخط يابس وجميل والسطور منتظمة ومستقيمة والكلمات متناسقة وواضحة وراعى الكاتب التنسيق والمحافظة على المسافات بين الأسطر والكلمات، وقد عثر على هذا النقش في وادي شيره بالقرب من المسجد.

النقش رقم (٢)

النص

١. بسم الله
٢. الرحمن الر
٣. حيم هذا
٤. مسجد
٥. سلامه
٦. ابن ذو[ا] به
٧. صل الله
٨. عل[ى محـ] مد صل

الملاحظات

١. عثر على هذا النقش في أحدى المداميك الحجرية المبنية في الجدار الأمامي للمسجد في منطقة شيره والجزء

السفلي منه مطمور تحت الأرض.

٢. النص مكتوب بالخط اليابس الجميل والأسطر والكلمات منسقة مما يدل على معرفة عاليه ومتقنة لاسس الكتابة من قبل الكاتب.

٣. بعض أجزء الكتابة غير واضحة بسبب تعرض سطح الحجر لعوامل التعرية.

٤. رسم الكاتب حرف اللام في كلمة الرحمن في السطر الثاني مع نتوء بسيط إلى جهة اليمين تحت بداية الحرف من الأعلى ولم نعثر في النقوش التي بين ايدينا على مثال مشابه لذلك.

٥. رسم الكاتب حرف الراء في كلمة الرحمن وكلمة الرحيم في السطر الثاني بوضع ملاصق تماماً تحت اسفل حرف اللام وظهر حرف اللام مرتكزاً عليها وتظهر كانها جزء منه.

النقش رقم (٣)

النص

١. بسم الله الرحمن الرحيم
٢. واصلى الله على سيدنا محمد
٣. واله [كاتبه أو كتبه] فراج
٤. ابن علثم غفر الله [له] ولوالديه
٥. ولجميع المسلمين.....

الملاحظات

١. كتب النقش على صخرة غير مستوية فظهرت هناك الأسطر غير منتظمة والكلمات متداخلة ويلاحظ عدم قدرة الكاتب على تنسيق الحروف والكلمات وقد نفذت الكتابة بطريقة غير متقنة يصعب قراءتها، وقد قام الكاتب بوضع اسمه في النقش، عثر على هذا النقش في وادي رابك.

النقش رقم (٤)

النص

١. نصر من الله وفتح قريب

الملاحظات

١. النقش عبارة عن آيه قرانية كتب بطريقة متقنة وهي الآية ١٣ من سورة الصف.

٢. رسم الكاتب حرف الألف في كلمة الله على عكس ما رسمت عليه في كلمات النقش رقم (١) بانحراف يشكل زاوية قائمة إلى جهة الشمال في اسفل الحرف بدلاً من اليمين. عثر على هذا النقش في منطقة الزلطيه.

النقش رقم (٥)

النص

١. اللهم انى أ
٢. شهدك أ
٣. نك الله لا إ
٤. له الا انت

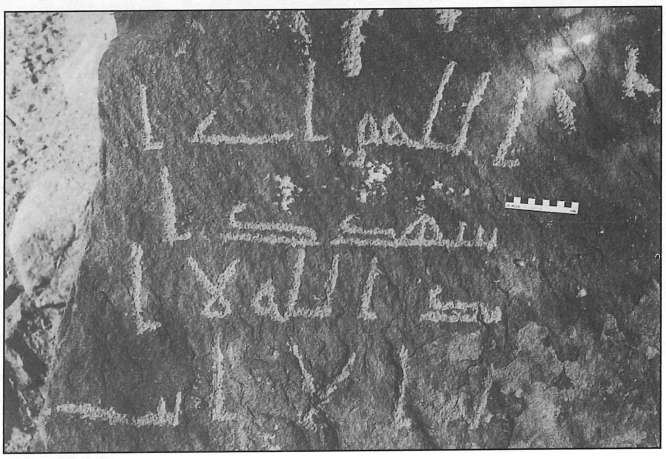

الملاحظات

١. كتب هذا النقش بالخط اليابس بطريقة متقنة وجاءت الأسطر متساوية في الأطوال والمسافات بين الكلمات والأسطر.
٢. النقش يخلو من البسملة.

عثر على هذا النقش في وادي ابو رمان إلى الشمال الغربي من وادي رم.

النقش رقم (٦)

النص

١. بسم الله
٢. الرحمن الر
٣. حيم اللهم
٤. لا تترك [تبارك] في
٥. مال دخل
٦. [.....] في هذ
٧. المسجد [.....]
٨. الله

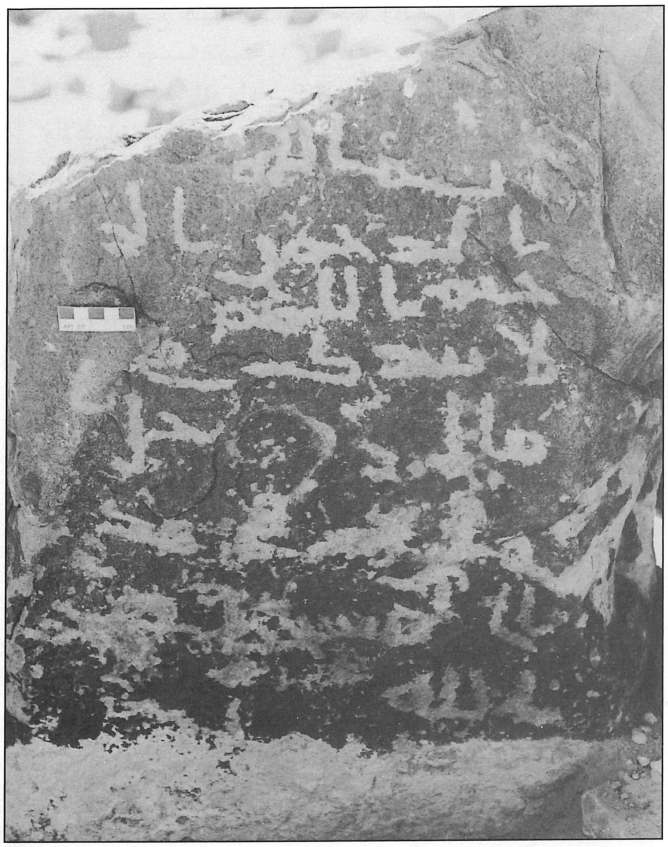

الملاحظات

١. النقش عبارة عن دعاء وهو غير واضح بشكل جيد لانه من المداميك الأرضية المبنية في الجدار الأمامي.
٢. نعتقد بأن هناك خطأ إملائياً في بداية السطر الرابع في كلمة لتبارك حيث كتبت لا تبارك.
٣. قام الكاتب بفصل وابعاد حرف الدال في كلمة دخل بسبب وجود عائق صخري، عثر على هذا النقش في وادي شيره.

النقش رقم (٧)

النص

١. الله ولي عاصم بن سراده
٢. الله ولي عمر[ب]ن عقبه.

الملاحظات

١. من طبيعة الخط نلاحظ ان السطر الأول يختلف عن السطر الثاني حيث ان السطر الأول كتب من قبل عاصم بن سراده والسطر الثاني من قبل عمر بن عقبه.
٢. كلمة ولي في هذا النقش وردت في نقوش اخرى مختلفة والمثال على ذلك النقش رقم (١٩) في كتابات عربية غير منشورة في جبل اسيس لمحمد ابو الفرج العش. والولي كما

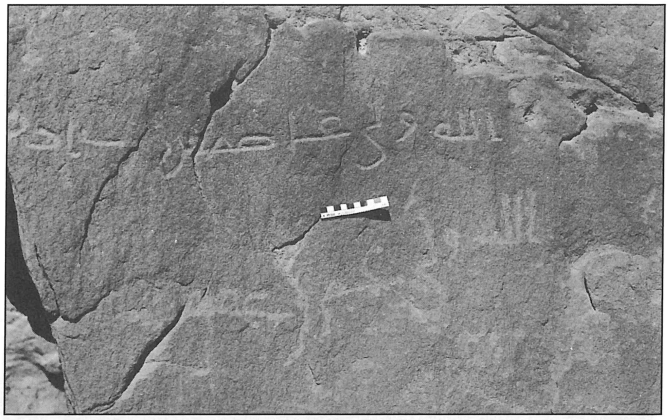

جاء في القاموس المحيط هي المحب والصديق والنصير وقد ورد في الآيه رقم ٢٥٧ من سورة البقرة اشارة واضحة لذلك في قوله تعالى الله ولي الذين آمنو يخرجهم من الظلمات إلى النور.....

٣. تميز الخط في السطر الأول بإتقان وتناسق الحروف وهذا يدل على مهارة الكاتب بعكس خط السطر الثاني، عثر على هذا النقش في وادي ابو رمان.

النقش رقم (٨)

النص

١. اللهم اغفر
٢. لعمر بن
٣. عقبه

الملاحظات

١. رسمت الهاء في كلمة اللهم والميم فوق مستوى الحروف بشكل شبه دائرة يختلف من النقوش الأخرى التي عثرنا عليها والهاء في هذا النقش تشبه رسم الهاء في نقش رقم ٢٢ (العش ١٩٦٤).
٢. النقش عبارة عن دعاء، وقد عثر عليه في وادي ابو رمان.

النقشان رقم (٩أ و٩ب)

النص

٩أ	٩ب
١. اللهم انى	١. اللهم
٢. اشهدك ا	٢. اغفر
٣. نك الله	٣. لمحمد بن
٤. لا اله الا انت	٤. عقبه
٥. اللهم	٥. ذنبه

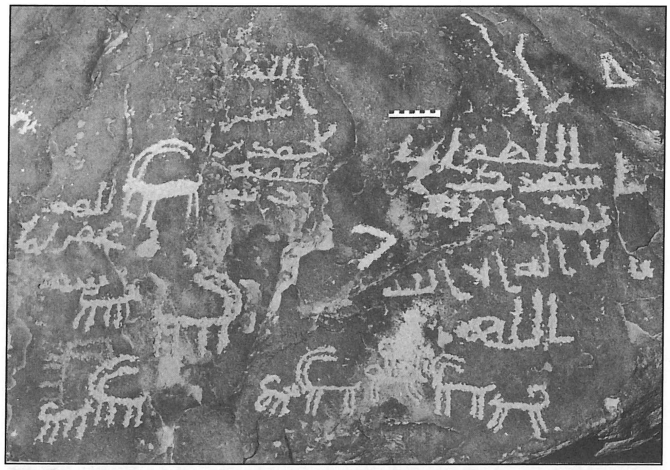

الملاحظات

١. رسم الهاء في كلمة اللهم واشهدك في النقش (أ) يشبه رسمها في النقش رقم (٨) مما يرجح بأن هذا النقش قد كتب من نفس الشخص الذي كتب النقش رقم (٨).
٢. الكتابة اتسمت بالليونة والبساطة في النقشين ٩أ و٩ب.
٣. ورد اسم محمد بن عقبه في النقش (٩ب) وهو اخ لعمر بن عقبه المكتوب في النقش رقم (٨).
٤. حرف الباء في عقبه والذال والنون والباء في ذنبه ظهرت منقوطة.

عثر على هذا النقش في وادي ابو الرمان.

النقش رقم (١٠)

النص

١. اللهم انى اسـ[ا] لك بـ[ا]نك الله لا شر[يـ]ك لك

الملاحظات

١. حذفت الألف في وسط كلمة اسـألك وبانك وكتبت [اسلك وبنك].
٢. حذفت الياء من كلمة شريك وكتبت شرك، عثر على هذا النقش في وادي ابو رمان.

النقش رقم (١١)

النص

١. بسم الرحمـ [.....] رب ادخل غانم في رحمتك

الملاحظات

١. الكاتب لم يكمل البسملة.

٢. الخط غير منتظم وغير منسق وكتبت الحروف بالخط اللين.

٣. رسم حرف التاء في كلمة رحمتك منقوطاً.

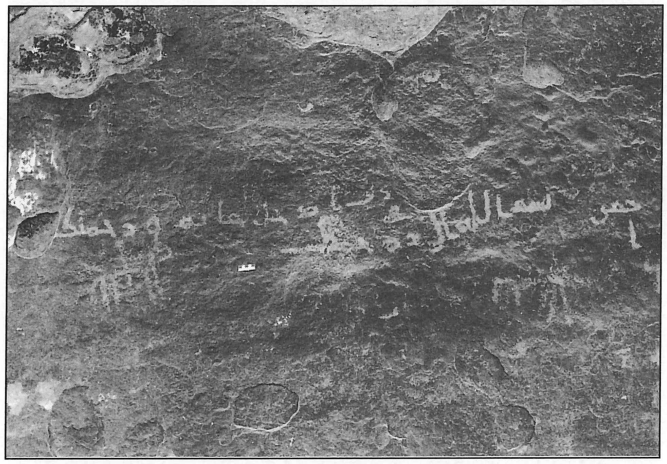

النقش رقم (١٢)

النص

١. بسم الله الرحمن الرحيم شهد ابي عمران ان وعد الله حق

٢. ان الساعه لا ريب فيها

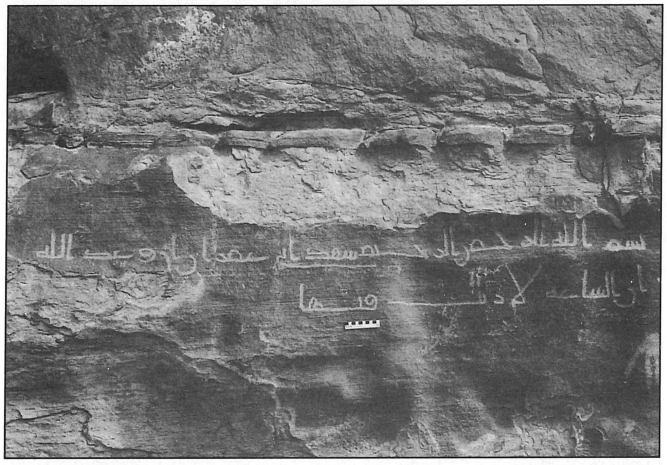

الملاحظات

١. النقش كتب بخط يابس وجميل ومنسق وواضح مما يدل على المهارة الكتابية للكاتب.

٢. رسمت الميم في كلمة الرحمن والرحيم وعمران فوق مستوى الحرف وكذلك الهاء في كلمتي شهد وفيها وهناك تشابه بين رسم الهاء في هذا النقش والهاء في نقش حجر المسافات في فلسطين من عهد الخليفه عبد الملك بن مروان ٦٦ ـ٨٦هـ (التل ١٩٨١: ٤٥).

٣. السطر الثاني من الكتابة هو جزء من ايه قرآنية.

٤. الكتابة عثر عليها في جبل ام عشرين في وادي رم.

النقش رقم (١٣)

النص

١. بسم الله الر

٢. حمن الرحيم اللهم

٣. ا غفر لابي محجن ا

٤. بن زنباع ما تقدم من

٥. ذنبه وما تأخر

الملاحظات

١. النص واضح وكتب بخط يابس وجميل ومنسق السطور والكلمات.

٢. رسم بعض الحروف في هذا النقش شبيه برسم الحروف في نقش حفنه الأبيض المؤرخ لسنة ٦٤هـ وخاصة حرف الميم والحاء والجيم والنون والواو والكاف وحروفاً اخرى. كذلك هناك تشابه كبير بين حروف هذا النقش وبعض حروف نقش حجر المسافات في فلسطين وهذا يؤكد لنا انه كان هناك مدارس مختلفة لتعليم الخط العربي قديماً (حمد ١٩٦٨: ٣٢)، (التل ١٩٨١: ٤٣).

٣. الكتابة عبارة عن دعاء طلب المغفرة لما تقدم من ذنب الكاتب وما تأخر وقد ورد هذا الدعاء في سورة الفتح الآيه ٢ كما ورد في الحديث والدعاء المأثور وقد وجدت كتابات بأدعية مماثله لهذا الدعاء كما في النص رقم (٩) والنص رقم (٥٠) (العش ١٩٦٤: ٦ و٢٦٧).

النقش رقم (١٤)

النص

١. بسم الله الرحمن الرحيم الله الله اللهم

٢. صلى على محمد النبي اللهم اغفـ [.....]

٣. غفر لابي عمر ابن وعبد ا

الملاحظات

١. النص واضح والخط جميل وهناك كلمات واحرف زائده ففي السطر الأول فوق كلمة الرحيم نجد كلمة الله وفي نهاية السطر الثاني اراد الكاتب ان يرسم كلمة اغفر ولم

يكملها فرسم حرف الالف والغين وغير رأيه فرسم كلمة غفر في بداية السطر الثالث ولم يكمل الأسم في نهاية السطر فرسم عمر ابن وعبد ا فقط.

٢. النص عبارة عن دعاء.

النقش رقم (١٥)

النص

١. اللهم ار عبد

٢. ك سعيد سلك

٣. الجنه برحمتك وان تغفر لي

٤. وقنى من النار

الملاحظات

١. النص عبارة عن دعاء مكتوب على صخرة منقرة لشخص اسمه سعيد.

٢. رسمت الهاء في كلمة اللهم والعين في كلمة سعيد بطريقة مختلفة عن النقوش الأخرى في المنطقة وهذا يدلنا على تعدد الكتاب. عثر على هذه الكتابة في وادي الحفير.

النقش رقم (١٦)

النص

١. اللهم اغفر لحرب ابن نعيم

٢. ذ [نبة] ما تقدم منه وما تاخرو

٣. جـ[هـ] ده الصراط المستقيم

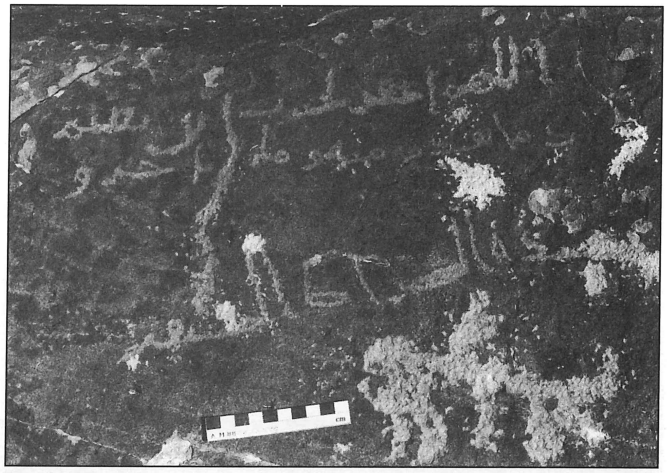

الملاحظات

١. النص مكتوب بالخط اللين وهو عباره عن دعاء لشخص اسمه حرب ابن نعيم.

٢. الكتابة غير منتظمة الأسطر والكلمات، وجدت في وادي الحفير.

النقش رقم (١٧)

النص

١. اللهم

٢. اغفر لابن

٣. ابي سلمه

٤. ذنبه ما تقدم

٥. منه وما تأخرو

٦. قه عذاب

٧. النار برحمتك

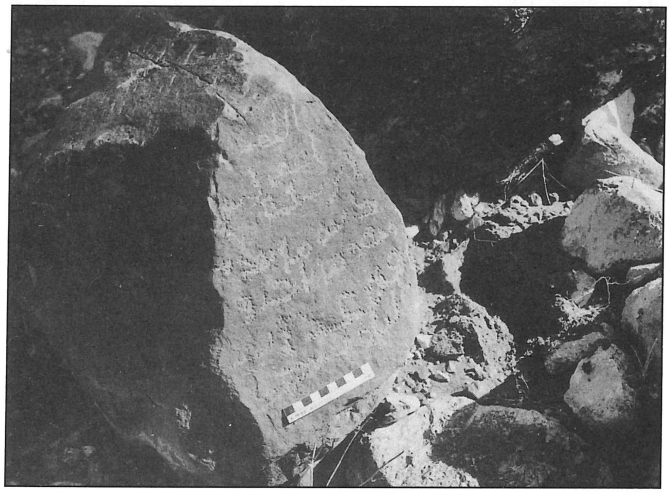

الملاحظات

١. النص عبارة عن دعاء لشخص يدعى ابن ابي سلمه.

٢. لقد ورد توضيح دعاء طلب المغفرة لما تقدم من ذنب وما تأخر في النقش رقم (١٣).

٣ . النص مكتوب بالخط اللين وهو غير منسق وغير واضح مما يدل على ضعف الكاتب، وجدت هذه الكتابة في وادي الحفير.

النقش رقم (١٨)

النص

١ . حضر في هذا المكان المبارك سبع ابن غياص ابن عصيله ابن حسن

٢ . سنت تصلطن الملك العادل شقمق نصر الله تعالى.

ما يهمنا في هذا النص هو انه كتب في اول سنه من حكم الملك العادل شقمق جد سلاطين المماليك وقد ورد باسم جقمق وليس شقمق.

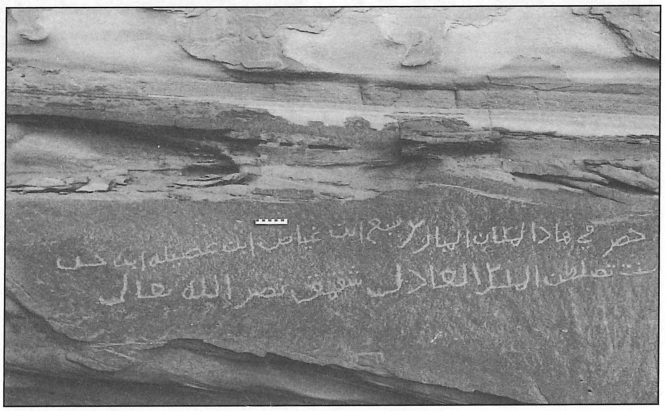

الظواهر الإملائية والخصائص للنقوش المكتشفة

من خلال دراستنا لهذه النقوش وأسلوب كتابتها ورسم حروفها وما تحتويه من نصوص كتابية ومن ظواهر إملائية تشترك فيها مع العديد من النقوش والكتابات الإسلامية الأخرى التي تميز تلك الفترة، نجد أن تعدد الخطاطين أو النقاشين الذين كتبوا هذه النقوش أدى إلى إحداث تباين كبير في أسلوب وشكل كتابة هذه النقوش مما يجعلنا نصف خط هذه الكتابات إلى جيد ورديء حسب براعة وقدرة وخبرة النقاش في الكتابة إلا إننا لابد أن نشير إلى وجود العديد من المميزات والصفات المشتركة التي اتسمت بها معظم هذه الكتابات من حيث الأسلوب ورسم الكلمات فقد بدأت النقوش بالبسملة أو الدعاء وكانت هذه الظاهرة قد بدأت أيام الرسول صلى الله علية وسلم فقد روي إن أول من أفتتح الكتابة بها هو الرسول علية الصلاة والسلام إذ أنه كان يكتب (باسمك اللهم) ثم تركها وكتب (بسم الله) فتركها وكتبت (بسم الله الرحمن) فتركها وكتبت (بسم الله الرحمن الرحيم). فأصبحت سنة أتبعها المسلمون في كتاباتهم (الجبوري ١٩٧٧: ١١٢). وبعض هذه النقوش هي عبارة عن أدعية كاملة للعديد من الأشخاص، ويمكن تصنيف الكتابات إلى الفئات التالية

١ . آيات قرآنية

٢ . أدعية

٣ . كتابات تخليدية لأشخاص

٤ . حث على التمسك بالصلاة والعبادات

وعند دراستنا للظواهر الإملائية التي تميزت بها هذه النقوش نجد خلو الكتابة من الشكل والنقط باستثناء حرف الياء من كلمة الرحيم وسعيد في النقش رقم (١) وكذلك حرف الباء في كلمة عقبة وحرف الذال والنون والباء في كلمة ذنبه في النقش رقم (٩ب) وأيضاً حرف التاء في كلمة رحمتك في النقش رقم (١١)، أما ظاهرة حذف الألف في وسط الكلمة فهي ظاهرة كتابية شاعت في كتابة النقوش العربية النبطية والعربية واستمرت في فترة عهد الرسول والخلفاء الراشدين والفترة الأموية. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة بدءاً بكلمة (التج = التاج)، (ونجرن = نجران) في نقش النمارة وكلمة (معوية = معاوية) في نقش الطائف الذي يعود إلى سنة ٨٥هـ أما الأمثلة على ذلك في النقوش التي بين أيدينا فيتمثل ذلك بكلمة وسلم في النقش رقم (١)، وكلمة ذوابه في السطر السادس من النقش رقم (٢) وكلمة اسألك وبأنك في النقش رقم (١٠) وكلمة الصراط في السطر الثالث من النقش رقم (١٦).

أن تقطيع حروف الكلمة الواحدة التي تقع في آخر السطر وأول السطر الذي يليه ظاهرة كتابية أخرى اتسمت بها العديد من النقوش الإسلامية التي عثر عليها في بعض البقاع الإسلامية، ولدينا العديد من الأمثلة على هذه الظاهرة قسمت كلمة الرحيم بين نهاية السطر الثاني وبداية الثالث في النقش رقم (٢) وقسمت كلمة اشهدك بين نهاية السطر الاول وبداية السطر الثاني من النقش رقم (٥) وكلمة انك في نهاية السطر الثاني وبداية السطر الثالث وكلمة اله في نهاية السطر الثالث وبداية السطر الرابع من نفس النقش وقسمت كلمة الرحيم بين السطر الثاني وبداية الثالث في النقش رقم (٦) وكلمة هذا بين نهاية السطر السادس وبداية السطر السابع في نفس اللوحة كما قسمت كلمة انك بين نهاية السطر الثاني وبداية السطر الثالث في النقش رقم (٩أ) وأيضاً كلمة الرحمن بين نهاية السطر الأول وبداية السطر الثاني في النقش رقم (١٣) وكلمة ابن بين نهاية السطر الثالث وبداية السطر الرابع في نفس النقش، أما في النقش رقم (١٥) فقد قسمت كلمة عبدك بين نهاية السطر الاول وبداية السطر الثاني وفي النقش رقم (١٧) قسمت كلمة وقه بين نهاية السطر الخامس وبداية السطر السادس.

أما رسم التاء المربوطة التي وردت في النقش رقم (١) سطر رقم (٩) في كلمة (رحمت - رحمة) فهي ظاهره لها جذورها في النقوش العربية القديمة فنجد في نقش النمارة كلمة (مدين - مدينه) وفي نقش حران كلمة (سنت - سنة).

وعند إجراء مقارنة موضوعية لمجموعة النقوش التي بين أيدينا نجد العديد من المفارقات بينها فمنها ما هو مكتوب بخط هندسي يابس كما في النقوش (١-٢-٥-٧-١٢-١٣) ومنها ما أتسم بالليونة والبساطة كما في بقية النقوش ونجد أنه روعي الانتظام في المسافات بين السطر والحرف وبين الكلمة والأخرى وبين الحرف والأخر للمحافظة على جمال شكل النقش والأسطر والكلمات في النقوش (١-٢-٥-٧-١٢-١٣) بالإضافة إلى قيام الكاتب بالعمل على مد بعض الحروف المتصلة التي أضافت إلى الكتابة حسناً وتفخيماً مما حافظ

على الشكل العام للكتابة وهذا يدلنا على الخبرة ومرونة في الممارسة لهذا الفن مثال على ذلك النقوش (١-٢-٥-١٢-١٣) فقد مدت معظم حروف الكلمات في هذه النقوش للمحافظة على جمال السطور والكلمات.

أما في الجانب الآخر فضعف الكاتب وقلة ممارسته كما يتضح من النقوش (٣-١١-١٦-١٧) أدى ذلك إلى عدم مراعاة القواعد الأساسية للكتابة وتشويه الشكل العام للنقش وعدم مراعاة الانتظام والمسافات المعقولة بين بداية النقش ونهايته وبين الأسطر والكلمات والأحرف.

عند دراستنا لمجموعة النقوش التي بين ايدينا نجد انها تشكل مصدراً علمياً هاماً عن تاريخ الكتابة العربية وتطورها حيث تعتبر منطقة حسمى بحكم وقوعها على الطرق التجارية القديمة حلقة وصل بين الحجاز والشام لذا لاحظنا ان هناك تشابهاً واضحاً ما بين هذه الكتابات والكتابات التي عثر عليها في الحجاز وأيضاً بعض النقوش المكتشفة في منطقة الشام، وتعتبر هذه النقوش ثروة كبيرة لتاريخنا وذلك من خلال الأدعية وأسماء الأشخاص الذين دونوا اسماءهم والجدير بالذكر هنا ان أسلوب الكتابة الذي اتسمت به هذه النقوش من المحتمل انه يعود إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين باستثناء النقش رقم (١٨) الذي يعود للفترة المملوكية.

لذا فأن عمل دراسة وافية ومسح شامل للمنطقة المنتشرة فيها هذه النقوش سيضيف الشيء الكثير عن تطور الخط العربي وهذا ما نأمل أن يقوم به مستقبلا بعض الباحثين.

سليمان الفراجات
سامي النوافلة
محمية البتراء

المراجع

ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري
١٩٦٧ **الكامل في التاريخ**. جـ١ و٢. بيروت: مطبعة دار الكتاب العربي.

ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد
١٩٤٩ **وفيات الأعيان**. الطبعة الأولى، جـ ٥. مصر: مطبعة السعادة.

ابن سعد، محمد بن سعد
١٣٢٢هـ **الطبقات الكبير**. جـ١ وجـ٢، تصحيح ادوارد سحو. مطبعة بريل.

حمد، غانم قدوري
١٩٦٨ موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة. **مجلة المورد**، العدد الرابع، بغداد.

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر
١٩٥٧ **فتوح البلدان**. جـ٢، مطبعة لجنة البيان العربي.

التل، صفوان
١٩٨١ **تطور الحروف العربية على اثار القرن الهجري الأول الأسلامية**. عمان: مطابع دار الشعب.

الحموي، ياقوت
١٩٧٧ **معجم البلدان**. المجلد الثاني، بيروت.

الجبوري، سهيلة ياسين
١٩٧٧ **أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي**. رسالة ماجستير، جامعة.

الراشد، سعد عبدالله
١٩٩٥ **كتابات إسلامية من مكة المكرمة**. الرياض.

الفرجات، سليمان
١٩٩١ نظام الري النبطي في منطقة الحميمة. **حولية دائرة الأثار العامة**.

العش، محمد ابو الفرج
١٩٦٤ كتابات عربية غير منشورة في جبل إسيس. جـ ٣، **مجلة الأبحاث**. بيروت.

ولفنسون، اسرائيل
١٩٨٠ **تاريخ اللغات السامية**. بيروت: دار القلم.

Jobbling, W.J.
1984 The Fifth Season of the Aqaba-Ma`an Survey 1.984 *ADAJ* 28: 191-202.

مسرح بيت راس الأثري

وجيه كراسنة وسلامة فياض

المقدمة

كان من أهم الاكتشافات الجديدة والتي يعود فضلها إلى أعمال التنقيبات الأثرية التي تقوم بها دائرة الآثار العامة هو اكتشاف أحد المسارح الأثرية لإحدى المدن الرومانية القديمة المجهولة كبيتولياس الواقعة على بعد ٥كم إلى الشمال من مدينة اربد (**الشكل ١**)، حيث ساهمت العوامل الطبيعية والبشرية وخاصة في الفترات البيزنطية والإسلامية على إخفاء هذا المسرح تماماً، لدرجة أنه لم يظهر منه إلا جزء من جداره الخارجي أثناء زيارة الرحالة الألماني شوماخر للمنطقة في نهاية القرن التاسع عشر (Schumacher 1890: 156)، ورجح أنه جزء من سور المدينة (**الشكل ٢**)، كما أن التنقيبات الأثرية التي قامت بها شيري لنزن في المنطقة خلصت إلى أن هذا الجدار هو جزء من سور مدينة كبيتولياس الرومانية (lenzen 1985: 180)، مما يعني بأن هذا المعلم المهم قد اختفى تماماً منذ العصور الإسلامية المبكرة وحتى السنوات القليلة الماضية، وقد تم الكشف عن هذا المعلم من خلال أعمال التنقيبات الأثرية التي قامت بها دائرة الآثار الأردنية منذ سنة ١٩٩٩م. حيث تم الكشف عن معظم العناصر المعمارية والحضارية التي تدل على عظمة مدينة كبيتولياس الأثرية التي لم تكن معروفة إلاّ من خلال المراجع التاريخية التي ذكرتها وبعض المعالم المعمارية البسيطة التي ما زالت قائمة في ثناياها، وتأتي هذا الاكتشافات لتؤكد على عظمة هذه المدينة وعلى دورها في النسيج الحضاري لهذا البلد ولهذه الأمة العظيمة.

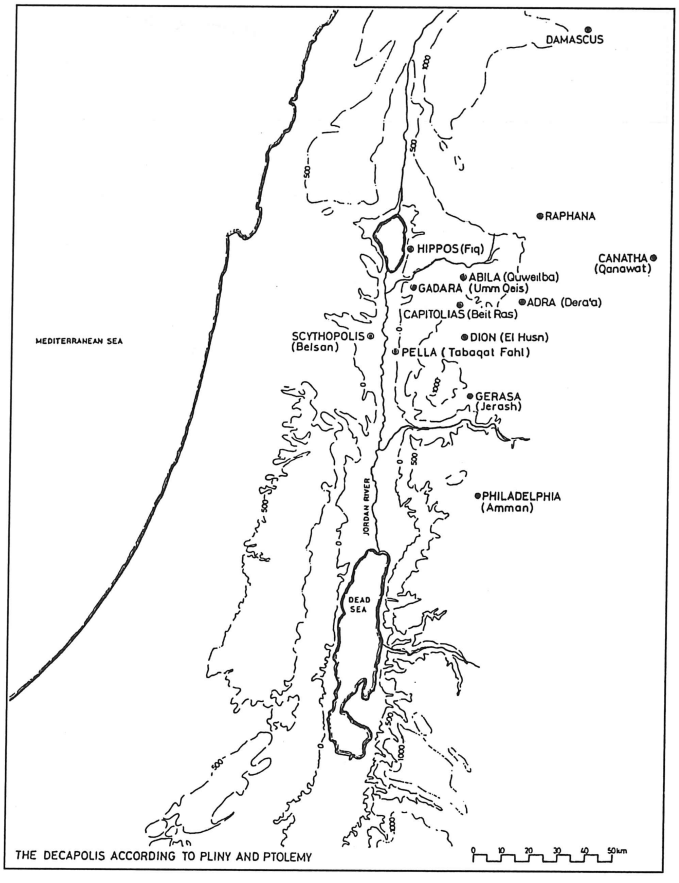

١. مخطط مدن الديكابولس.

الموقع

يقع المسرح في الجهة الشمالية لبلدة بيت راس وعلى يمين الشارع الرئيسي، وفي الزاوية الشمالية الشرقية لمدينة كبيتولياس الرومانية حسب مخطط شوماخر ويرتفع عن مستوى سطح البحر حوالي ٥٠٠م تقريبا (**الشكل ٣**).

التنقيبات الأثرية في مسرح بيت راس للموسم ٢٠٠٥م

يعتبر هذا الموسم السادس لأعمال التنقيبات الأثرية التي جرت في مسرح بيت راس، حيث تم متابعة العمل للكشف عن باقي أجزاء المسرح، وقد تم إكمال العمل في منطقة تغيير الملابس، حيث كشف عن غرفة مستطيلة في الجهة الشرقية أبعادها (٤,٧٥م × ٣,٤٠م) يتقدمها ممر مستطيل بعرض (١,٦٠م) تحتوي على ثلاثة مداخل يوجد اثنان منها في الجدار الشمالي يطلان في الأصل على خارج المسرح اغلقا لاحقاً مع امتداد سور المدينة الذي جاء بمحاذاة الجدار الشمالي الخارجي، ويلاحظ اختلاف ابعاد هذين المدخلين حيث يبلغ عرض المدخل الأول حوالي (١,٢٠م) بارتفاع (٢,٥٠م) وعرض المدخل الثاني حوالى (٢,٢٠م) بارتفاع (٣,٢٠م)، اما المدخل الثالث فيقع في الجدار الغربي للممر المؤدي إلى الغرفة ويطل باتجاه الغرب عرضه (١,٦٠م)، واستخدم الحجر الكلسي الطباشيري في بناء جدران الغرفة والممر ويلاحظ تعرض جداريها الجنوبي والغربي إلى الانهيار والتدمير ولم يبق من الجدار الجنوبي إلا بعض المداميك القليلة، ويلاحظ التفاوت في عرض هذا الجدار حيث يبلغ عرضة في الجزء الخاص لبناء الغرفة حوالي (١,٥٠م) بينما

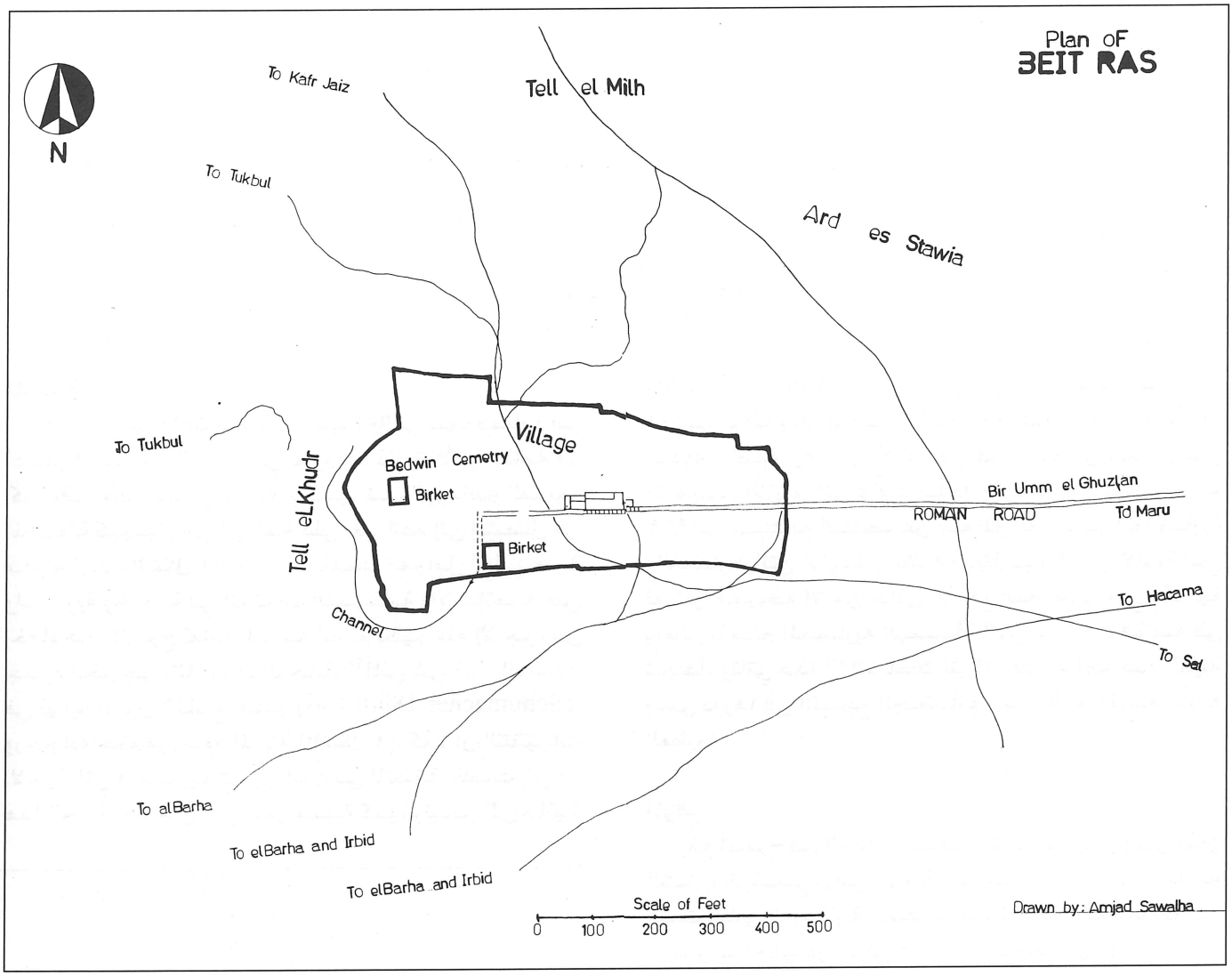

٢. المخطط الذي وضعه الرحالة شوماخر ١٨٩٠.

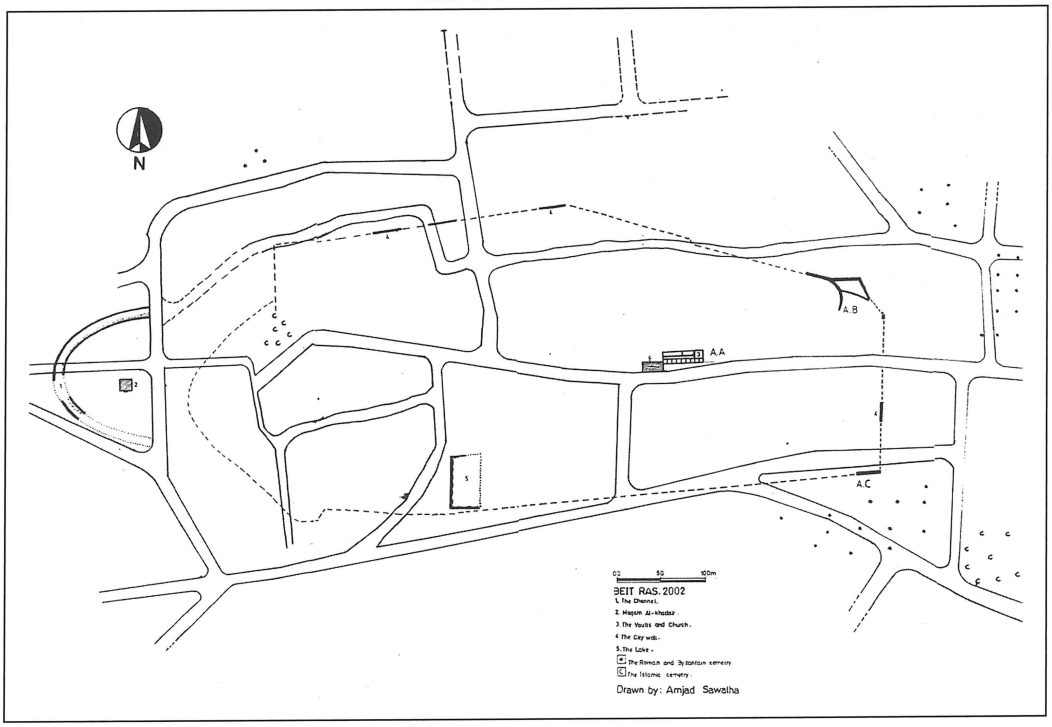

٣. مـخطط بيت راس التنظيـمي موضحا عليه موقع المسرح.

يبلغ عرضه في الجزء الخاص ببناء الممر حوالي (٢,٧٠م)، ويلاحظ مدى التناظر الكبير ما بين الجزء الذي كشف عنه في هذا الموسم والجزء الغربي الذي يقع على نفس الامتداد والذي كشف عنه في المواسم السابقة، وبهذا يكون قد تم الكشف وبشكل كامل عن هذا الجزء من المسرح.

كذلك من أهم الأعمال التي تم القيام بها في هذا الموسم هي متابعة العمل في أجزاء من منطقة التجويف لكشف الجزء السفلي من المدرج المخصص لمقاعد للمشاهدين، حيث كشف عن مساحة تقدر بحوالي ٧٠م٢ من المدرج السفلي المخصص للمشاهدين، وقد عثر على عدد قليل من المقاعد التي لا زالت في مكانها الأصلي، ويلاحظ في هذا الجزء استغلال المنحدر الصخري بعد تسويته لوضع مقاعد المشاهدين (**الشكل ٤**).

٤. أجزاء من منطقة المدرج التي كشف عنها هذا الموسم.

المخطط المعماري

لقد جاء المخطط المعماري لمسرح بيت راس مشابهاً لمعظم المسارح الرومانية في مدن الديكابولس مع بعض الاختلافات البسيطة فقط (**الشكل ٥**)، وقد احتوى هذا المخطط على العناصر المعمارية التالية

١. منطقة تغيير الملابس (Scaena): تقع في الجزء الخلفي من المسرح كما هي في معظم المسارح الرومانية، تتكون من غرفتين يربط بينهما ممر طويل بعرض حوالي ٢م له ثلاثة مداخل رئيسية في جداره الشمالي تطل إلى الخارج وثلاثة مداخل أخرى في جداره الجنوبي وعلى نفس استقامة الثلاثة الأولى تطل على منطقة المنصة (**الشكل ٦**).

٢. المنصة (Stage): وهي الجزء المخصص للنشاطات الفنية المختلفة والمقابلة لمنطقة المدرج المخصصة للمشاهدين ولا تزال هذه المنطقة بحاجة إلى مزيد من العمل للكشف عن جدارها الداخلي، ويبدو من بعض المؤشرات الأولية التي

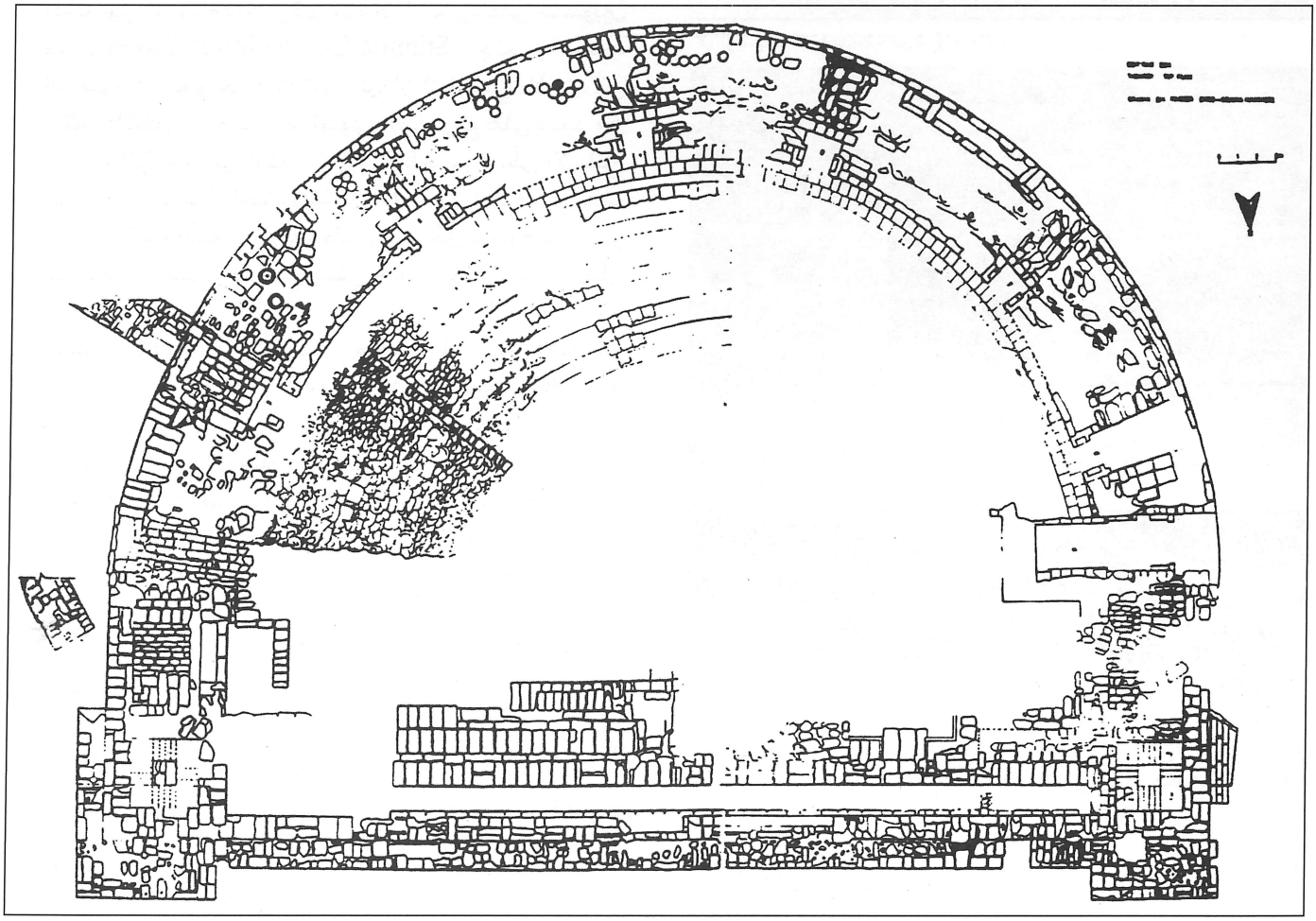

٥. مخطط المسرح.

٦. غرفة تغيير الملابس.

كشف عنها أنها كانت مسقوفة بمادة الخشب، كذلك احتوت على قبوين الأول في الجهة الشرقية والاخر في الجهة الغربية.

٣. الأوركسترا (Orchestra): تفصل المنصة عن المدرج، شكلها نصف دائري وفيها ممران في الجزء الغربي والشرقي يؤديان إلى قبوين متناظرين يؤديان إلى خارج المسرح ومن الجهتين كانا يستعملان لدخول وخروج المشاهدين.

٤. المدرج أو منطقة تجويف المسرح (Cavea): وهو الجزء المخصص للمشاهدين، وقد جاء هذا الجزء على مستويين هما Imma Cavea وSumma Cavea . حفر الجزء السفلي بالصخر حيث اعتمد الميلان الطبيعي للأرض في بنائه (**الشكل ٧**)، والجزء العلوي والذي رفع على عدد من الأقبية الموزعة على امتداد المنطقة للحصول على الارتفاع المناسب لبناء هذا الجزء (**الشكل ٨**). حيث استخدم لذلك ثمانية أقبية نصف دائرية مطلة إلى داخل المسرح لكل قبو مدخلان داخلي وخارجي وعلى جانب كل منهما درجان صاعدان.

٥. الممر (Praecinctio): يفصل ما بين المستوى الأول من المدرج والمستوي الثاني، بعرض ١٦٠سم تقريباً، يطل عليه مداخل أقبية المستوى الثاني والأدراج الصاعدة إلى الجزء العلوي من المدرج (**الشكل ٨**).

٦. الشرفة العلوية: توجد في أعلى المسرح وتلتف حوله بعرض ٢,٥م تقريباً، ويلاحظ تعرض هذه الشرفة إلى التدمير الكلي تقريباً ولم يبق إلا القليل من العناصر المعمارية الدالة عليها (**الشكل ٩**)، كما يعتقد بأن هذه الشرفة كان يتقدمها صف من الأعمدة. كما ويرجح أنها كانت مسقوفة بالخشب حيث لوحظ وجود بعض الفتحات في تاجيات الأعمدة التي كانت تثبت فيها الأخشاب.

٧. أبراج المراقبة: برجان للمراقبة يوجد الأول في الزاوية الشمالية الشرقية والثاني في الزاوية الشمالية الغربية، مربع الشكل ٣ × ٣م تقريباً بداخله أدراج حجرية، يعتقد أن هذه الأبراج كانت تستعمل للمراقبة قبل وضع سور للمدينة (**الشكل ١٠**)، وهي شبيهه بأبراج مسرح عمان (دهش ١٩٩٣: ٧٣).

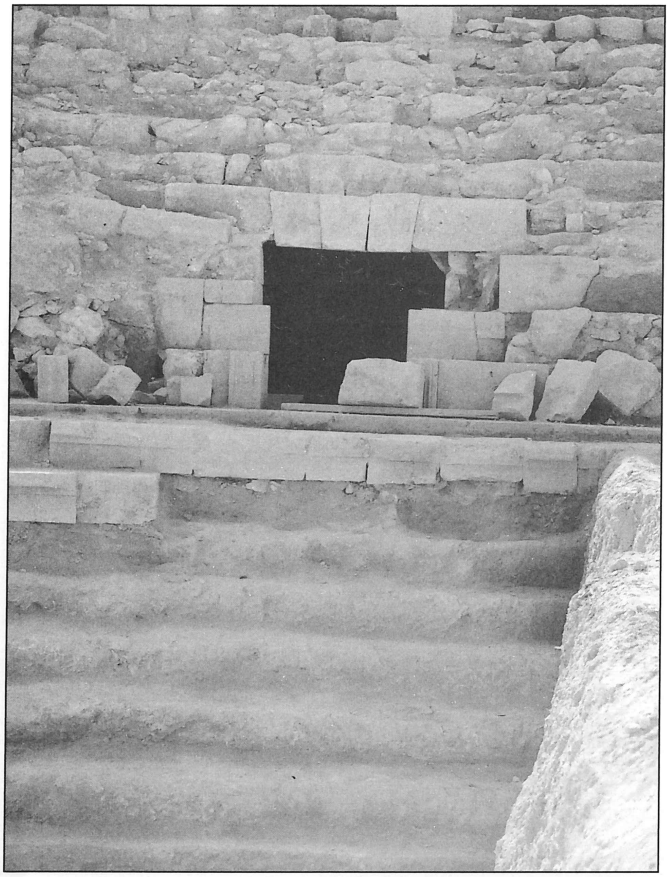

٧. أرضيات المقاعد المحفورة بالصخر.

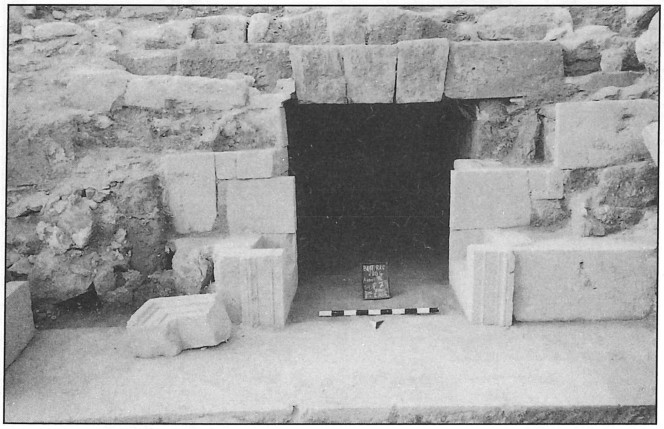

٨. أحد أقبية الجزء العلوي والممر الفاصل.

٩. جزء من منطقة الشرفة.

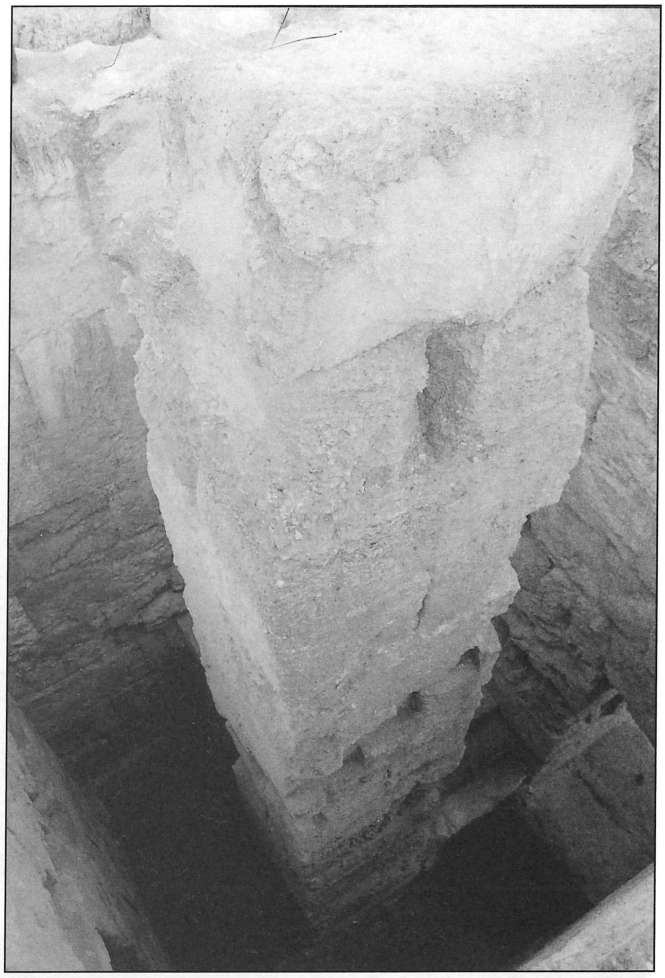

١٠. منظر علوي لأحد أبراج المسرح.

٨. النفق: محفور في الصخر بارتفاع ١,٧٠م وبعرض ٨٠سم بطول ١٩,٥م يمتد من منتصف المنصة باتجاه الشمال إلى خارج المسرح، ويعتقد بأنه كان يستعمل من قبل الممثلين لتحقيق عنصر المفاجاءة أثناء القيام بالتمثيل.

العناصر المعمارية الإنشائية

من أهم العناصر الإنشائية ما يلي

١. مادة البناء: تم استعمال مادة الحجر في بناء المسرح كالحجر البازلتي الذي استعمل في بناء أساسات الجدران الرئيسية للمسرح مثل الجدار الخارجي الشمالي، والحجر الكلسي في بناء الجدران والأقبية والمقاعد والممرات وغيرها، كذلك تم استخدم الصخر بعد حفره وتشذيبه في تسوية الأرضية المخصصة لوضع مقاعد المشاهدين في الجزء السفلي وفي حفر النفق الموجود في منتصف المنصة. بالرغم من عدم العثور على أية بقايا لمادة الخشب إلاّ أنه يمكن القول واعتماداً على بعض المؤشرات بأن مادة الخشب قد استعملت في تسقيف المنصة وتسقيف الشرفة العلوية للمسرح.

٢. الجدران: استعمل الحجر بنوعية في بناء الجدران، حيث استعمل الحجر البازلتي أحياناً في بناء الأساسات، بينما استعمل الحجر الكلسي الصلب في بناء المداميك (**الشكل** ١١). وقد جاءت هذه المداميك بارتفاعات مختلفة تراوحت ما بين ٦٠سم و٣٠سم، ويلاحظ الدقة والتقنية العالية في بناءها.

٣. الأقبية: تم استعمال نوعين من نظام التسقيف الأول نظام القبو الهابط (**الشكل** ١٢)، والثاني القبو نصف الدائري (**الشكل** ١٣)، حيث استعمل النوع الأول في تسقيف الأقبية المطلة على المنصة بينما استعمل النوع الثاني في تسقيف العقود المطلة على منطقة الأوركسترا والأقبية التي تم بنائها لرفع منسوب المستوى الثاني من المسرح.

٤. المقاعد أو منطقة تجويف المسرح لمقاعد المشاهدين: وهي على مستوين بني الجزء السفلي مباشرة على الصخر وذلك بعد تسويته وتجهيزه لوضع المقاعد الحجرية فوقه مباشرة بينما بني الجزء العلوي فوق بعض الأقبية نصف الدائرية وقد جاءت مقاعد المسرح على شكلين، تمثل الشكل الأول بالمقعد المسطح بعرض متفاوت وارتفاع ٤٠سم وبعمق ٧٠سم (**الشكل** ٧)، أما الشكل الثاني فقد تمثل بالمقاعد ذات المساند الخلفية (**الشكل** ١٤) ولم يتم تحديد مكان هذه المقاعد حيث لم يعثر إلاّ على مقعد واحد من هذا النوع، وجميع المقاعد من الحجر الكلسي الصلب.

٥. الأعمدة: عثر على عدد كبير من أبدان الأعمدة أثناء التنقيبات الأثرية في غير مكانها ويرجح أن الشرفة العلوية

١١. الجدار الخارجي للمسرح يوضح طبيعة المادة المستخدمة في البناء.

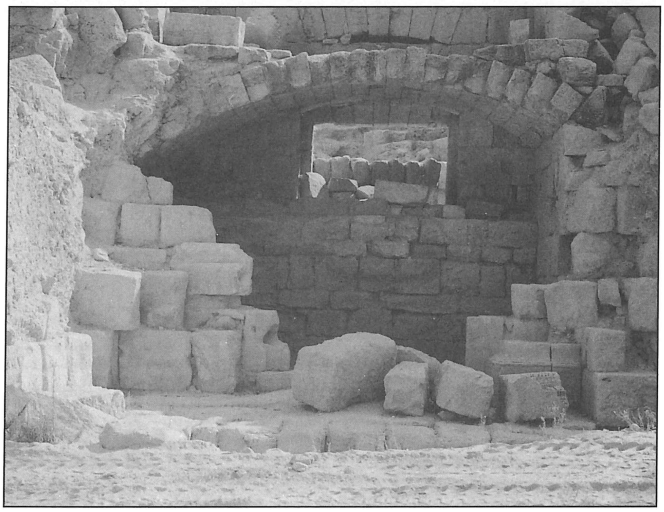

١٢. نظام التسقيف باستعمال القبو.

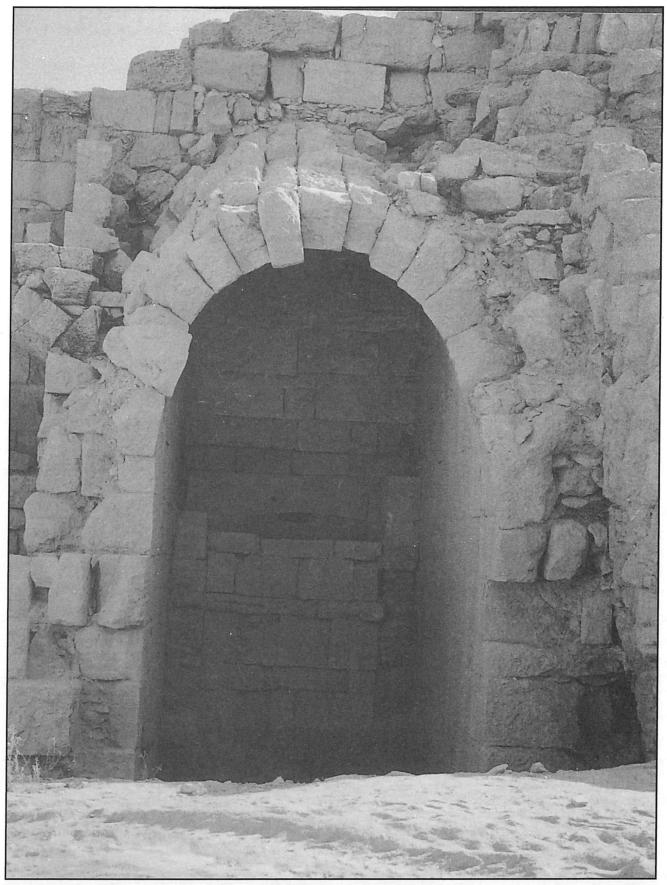

١٣. نظام التسقيف باستعمال القبو نصف الدائري.

١٥. زخرفة تعلو أحد أبواب الأقبية الشرقية.

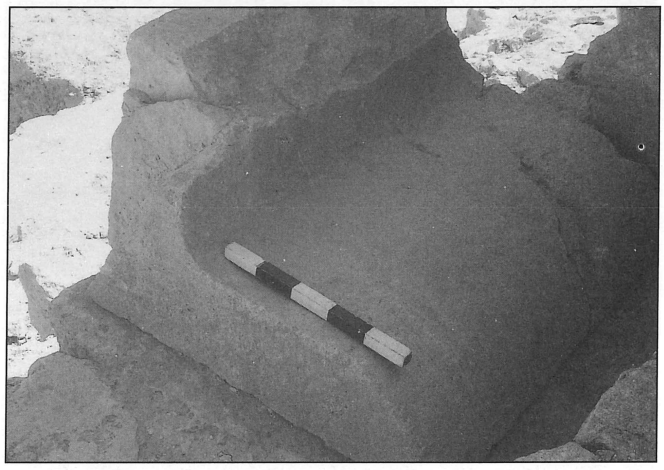

١٤. أحد المقاعد ذات المساند الخلفية.

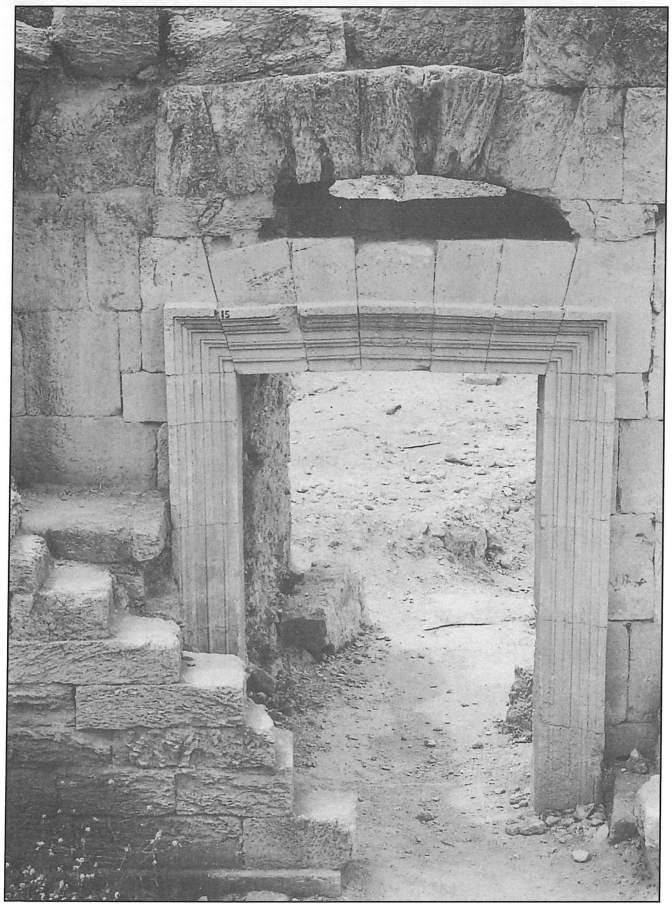

١٦. الزخرفة الهندسية المعتمدة لمداخل المسرح.

كان أمامها صف من هذه الأعمدة كما أن خلفية المنصة كانت تحتوي على عدد من الأعمدة.

العناصر الزخرفية

نظراً للدمار الكبير الذي تعرض له المسرح بسبب إعادة استعمال حجارته في بناء بعض المعالم المعمارية الأخرى في الفترة البيزنطية والأموية، وتعرض الكثير من العناصر الزخرفية إلى النقل، إلا أن هناك بعض العناصر الزخرفية النباتية ما زالت تعلو المدخل الشرقي لأحد الأقبية (**الشكل ١٥**) وكذلك الزخارف الهندسية البارزة لمداخل المسرح (**الشكل ١٦**)،

١٧. زخرفة هندسية ونباتية يعتقد بأنها كانت تزين الواجهات المرتفعة لخلفية المنصة.

وكذلك تم العثور خلال التنقيبات الأثرية على أشكال هندسية مختلفة ونباتية يعتقد بأنها كانت تزين الواجهات المرتفعة لمنطقة المنصة (**الشكل ١٧**)، وأشكال حيوانية (**الشكل ١٨**) وآدمية يعتقد بأنها كانت تزين الأجزاء الداخلية للمسرح.

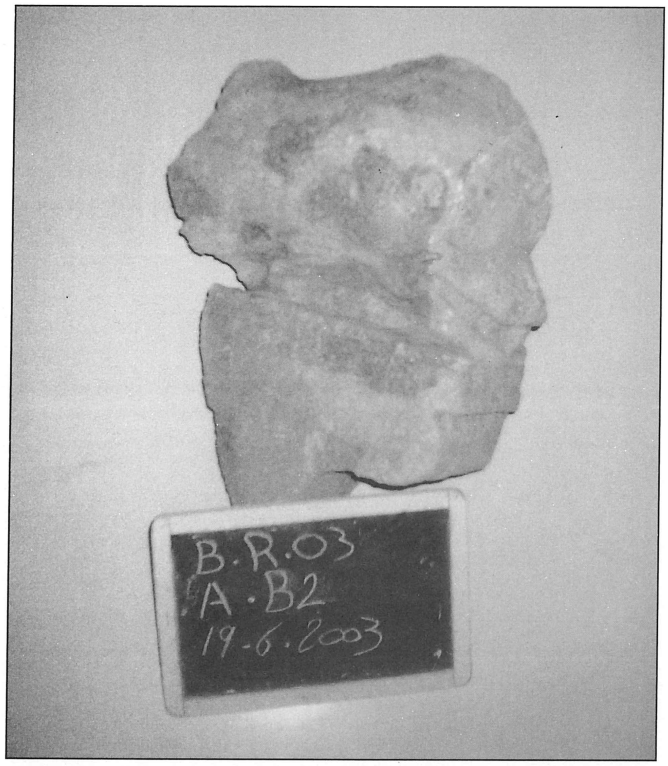

١٨. زخارف حيوانية.

المراجع

دهش، منذر

١٩٩٣ **طرق بناء المسارح الرومانية في عمان وأم قيس دراسة مقارنة**. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك: اربد.

فياض، سلامة وكراسنة، وجيه

٢٠٠٤ التنقيبات الأثرية في مسرح بيت راس مراحل العمل من الموسم الأول وحتى الموسم الخامس. **حولية دائرة الآثار** ٤٨: ٦٧-٧٥.

Lenzen, C.J., Gordon, R.L. and McQuitty, A.M.

1985 Excavation at Tell Irbid and Beit Ras 1985. *ADAJ* 29: 151-189.

Schumacher, G.

1890 *Northern Ajlun: withen the Decapolis*. London: Alexander P Watt.

سلامه فياض
وجيه كراسنة
دائرة الآثار العامة

تاريخ اليمن السياسي
في العصر العباسي الأول

صالح خلف الحمارنه

هذه الدراسة هي حول الوضع السياسي في البلاد اليمنية في العصر العباسي الأول، وتقف عند تأسيس أول دولة مستقلّة عن الخلافة قامت باليمن ٢٠٤ هجري ٨١٩م، ونعني دولة بني زياد.

كما هو معلوم بلاد اليمن ذات طبيعة جغرافية صعبة - نجود وتهائم - فمنذ ظهور الإسلام وقيام دولة الخلفاء الراشدين، كان اليمن مقسّما إلى مخاليف، أي إلى أقطار واسعة موزعة بين القبائل المختلفة، وحكام عديدين، وفي حالة استقلال ذاتي يذكرنا بالأذواء والأقيال السابقين على الإسلام.

بعد اليمن عن مركز الخلافة ووعورة طرقه كان من بين أهم الأسباب التي حالت بين الخلفاء العباسيين وبين توجيه الجيوش إلى اليمن بقصد توحيد السلطة فيه، فأصبحت تلقائيا بعيدة عن مجرى الأحداث، فالمتتبع لتاريخ العرب المسلمين منذ قيام دولتهم في صدر الإسلام، يرى بوضوح أن البلاد اليمنية نفسها قد استنفذت بسبب "الهجرة" وان دور القبائل اليمنية كان خارج ارض اليمن، هذا الدور الكبير والمهم في الفتوحات الإسلامية، وترسيخ دولة الإسلام ونشره، ثم تشييد الأمصار وإقامتها، والتي أصبحت من المراكز الرئيسة في دولة الخلافة، كل ذلك يفسّر سرّ المشاركة المتواضعة للبلد وللأرض اليمنية نفسها في صدر الإسلام مقارنة بأهمية وفعالية اليمانية كجماعات وأفراد في حياة العرب المسلمين (بروكلمان: ٨١؛ سيد ١٩٧٤: ٨١).

بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هجري، اضطربت الدولة الأموية وازداد نشاط حركات المقاومة لحكم بني أميّة في مختلف الأمصار ومن مختلف الفئات، خوارج وعلويين وعباسيين، انتهت بالتالي بنهاية الدولة الأموية. ونشير هنا إلى واحدة من هذه الأحداث التي وقعت باليمن موضع دراسة هذه الورقة، ونعني نشاط عبد الله بن يحي - طالب الحق - في حضرموت واليمن.

يذكر الطبري في حوادث سنة ١٢٨ هجري

"في هذه السنة لقي أبو حمزة الخارجي عبدالله بن يحيى طالب الحق، فدعاه إلى مذهبه" (الطبري: ٣٠٢).

ويشرح الطبري الخبر فيقول

"كان أول أمر أبي حمزة، وهو المختار بن عوف الأزدي السّليميّ من البصرة، أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد والي خلاف آل مروان. قال: فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبدالله بن يحيى في آخر سنة ثمان وعشرين ومائة. فقال له: يا رجل، اسمع كلاما حسنا، واراك تدعو إلى حق، فأنطلق معي، فاني رجل مطاع في قومي، فخرج حتى ورد حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان" (الطبري: ٣٠٢؛ خيّاط: ٥٨٩)

وكان عبد الله بن يحيى مجتهدا عابدا وحسن السيرة ورأيه من رأي الخوارج الاباضية. ورأى في اليمن جورا وعسفا شديدا، فأتى صنعاء سنة ١٢٩ للهجرة وأقام أشهرا وكثر جمعه، واستولى على اليمن. ثم أن الخليفة مروان بن محمد أرسل جيشا من أهل الشام بقيادة عبد الملك بن محمد القيسي، فهزم الخوارج وقتل طالب الحق عبد الله بن يحيى (الطبري: ٣١٧-٣١٨؛ عطوان: ٥٠٢ و٥٠٤).

وما حركة أبي حمزة الخارجي في حضرموت واليمن إلا واحدة في سلسلة حركات الخوارج التي كانت تعم بلدان الخلافة، فقبيل حركة أبي حمزة هذا، كان الخوارج قد وصلوا إلى أوج نجاحهم في حركة الضحّاك بن قيس الشّيباني عام ١٢٦ للهجرة، الذي تعاظمت حركته فاستولى على الكوفة وبسط نفوذه على العراق وأعلن نفسه أميرا للمؤمنين حتى انظم إليه رجالات من بني أمية، أبرزهم كان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي الأمويين على العراق، وكذلك الوالي قبله منصور بن جمهور زعيم بني كلب، وذاعت مقولة الشاعر شيبيل بن عزرة الضبعي

ألم تر أن الله أظهر دينه فصلت قريش خلف بكر بن وائل (الطبري: ٢٨٩).

لم تقتصر حركات المقاومة أواخر الحكم الأموي على الخوارج بل كان هناك حركات مقاومة أخرى مهمة من أبرزها حركة الحارث بن سريج الذي بدأ حركته عام ١١٦ للهجرة في خراسان وفي بلاد ما وراء النهر، واستمر في حركته حتى عام ١٢٨ للهجرة/٧٤٥م، وقد رفع شعار "العمل بكتاب الله وسنة رسوله" وأنه صاحب الرايات السود، وكان متوجها بدعوته بشكل خاص إلى المسلمين من غير العرب، وكانت "المرجئة" المرجع الفكري لهذه الحركة، التي شارك بفاعلية فيها جعد بن درهم شيخ المرجئة نفسه (الطبري: ١٥٤). ناهيك عن الحركات العلوية التي لم تنقطع تقريبا طوال فترة الخلافة الأموية، أما ما يهمنا منها ونحن نكتب في تاريخ اليمن، فهي حركة زيد بن علي بن الحسين، الذي نهض في الكوفة وفيها قتل أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ للهجرة. وقد دعا زيد بن علي الناس

إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله وجهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين وإقفال المجمر، كما دعا المسلمين إلى نصر أهل بيت رسول الله، ومن بعده خرج ولده يحيى في خراسان وقتل أيضا أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ للهجرة (الطبري: ٢٠٤-٢٠٥ و٢٣٢)، لقد جئنا على ذكر حركة زيد بن علي - والتي وقعت زمن الأمويين - لأهميتها البالغة جدا في تاريخ اليمن، حيث أن الشيعة الزيدية قد نجحوا لاحقا في إقامة دولة لهم في اليمن ومركزهم كان في صعدة، وذلك على يد الأمام الهادي إلى الحق عام ٢٨٤ للهجرة، وكانت هذه الدولة أطول الدول الإسلامية عمرا حيث استمرت تحكم في اليمن أكثر من ألف سنة (سيد ١٩٧٤: ٨٢).

أما الذي نجح في القضاء على الدولة الأموية، فكانت الثورة العباسية، لقد اتخذت الدعوة العباسية الحميمة في الشراة مركزا لها، ومن مرو في خراسان منطلقا للثورة سنة ١٢٩ للهجرة، وكان انتصارها الحاسم في معركة الزاب الأعلى سنة ١٣٢ للهجرة، هذه المعركة التي خسرها آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد وقد قتل بعد ذلك (اليعقوبي: ٣٣٨؛ الدوري ١٩٨٨: ٩).

مع قيام الدولة العباسية تدخل البلاد اليمنية في نطاق البلدان التي شملتها الخلافة العباسية فيرسل الخليفة أبو العباس عمر بن عبد الحميد بن عبد الله بن زيد بن الخطاب عاملا على اليمن، وان هذا العامل قد بوّب جامع صنعاء إذ لم يكن له باب من قبل (محمود ١٩٦٩: ٩٨٠؛ الخزرجي). ثم أن الخليفة أبا العباس أخذ يرسل من أبناء خواله من بني حارثة اليمانية عمّالا على اليمن لاطمئنانه إليهم، وليكونوا بمثابة جسر مودة بينه وبين اليمانية، فأرسل محمد بن يزيدي بن عبد المدان الحارثي، ثم خلفه عبد الله بن مالك الحارثي، وتبعه علي بن الربيع بن عبد الله الحارثي. وأحب هنا أن أشير إلى نقطة هامة، أنه أثناء ولاية الأمير علي بن الربيع على اليمن ١٣٤ - ١٤٠ هـ (زامباور: ١٧٦) وصلتنا كتابة على لوح مثبت في مئذنة جامع صنعاء تشير بوضوح إلى أن الخليفة ابي العباس كان يلقب بالمهدي، لا السفّاح وهذا تصحيح لما هو شائع في سيرته.

واثبت النص هنا - نقلا عن بحث قيّم لعبد العزيز الدوري - بعنوان الفكرة المهدية (الدوري ١٩٨١: ١٢٣)

"بسم الله الرحمن الرحيم/لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون/أمر المهدي عبدالله عبدالله /أمير المؤمنين أكرمه الله بإصلاح المساجد وعمارتها/على يد الأمير علي بن الربيع/أصلحه الله في سنة ست وثلاثين ومائة عظم/الله اجر المهدي و تقبل عمله".

هذه الوثيقة تشير بوضوح أن أبا العباس، أول خلفاء العباسيين قد اتخذ لقب المهدي قبل أن يتخذه ثالثهم محمد بن عبدالله ١٥٨-١٦٩هـ /٧٧٥-٧٨٥م، بتدبير من والده المنصور. هذا وقد عززت هذا الأمر المصادر أيضا، فقد جاء في كتاب أخبار العباس ما يلي: "أن محمد بن علي قال لبكير بن ماهان، مشيرا لولده عبدالله بن الحارثية-هذا المجلّي عن بني هاشم القائم المهدي".

وبعد علي بن الربيع يتولى على اليمن عبدالله بن الربيع الحارثي، الذي امتدت ولايته حتى أيام المنصور الذي يعزله ليخلفه معن بن زائدة الشيباني.

فقد وردت على المنصور الأخبار من اليمن بأن الأهالي قد طردوا واليهم عبدالله بن الربيع وثار الخوارج في البلاد (الازردي: ١٧٥). عندها يولي المنصور معن بن زائدة أميرا على اليمن، فقد ارتاب الخليفة في حلف تم ما بين اليمانية وربيعة، رأى فيه خطرا مباشرا يهدد أمن الخلافة (خياط: ٤٦١). ورأى بأن يلقي على معن بن زائدة مهمة كسر هذا الحلف.

ويفصل اليعقوبي الخبر كما يلي

"في هذه السنة (١٤٢هـ) خرج أبو جعفر إلى البصرة يريد الحج، فلما صار بالجسر الكبير، أتاه الخبر بأن أهل اليمن قد اظهروا المعصية، وأن عبد الله بن الربيع عامل اليمن قد هرب ممن وثب عليه وضعف عنهم. فوجه بمعن بن زائدة الشيباني إلى اليمن. وانصرف أبو جعفر، ولم يحج، وقدم معن بن زائدة اليمن فقتل من بها قتلا فاحشا، وأقام تسع سنين" (اليعقوبي: ٣٧٢).

سار معن إلى اليمن في عسكر من قومه، وبصحبته عدد من أبنائه الناشئين وابن أخيه يزيد بن مزيد، وللحال أعمل السيف في المخاليف "وأحرب مدينة معافر، وقتل من أهلها نحوا من ألفين، كما قتل عبدالله بن يحيى الحضرمي، وخمسة عشر ألفا معه بحضرموت، والبس السواد لأهل اليمن" (محمود ١٩٦٩: ٩٨). لا ندري كم هي دقيقة هذه الأرقام في عدد القتلى، ولا مدى بعد المبالغات في المعلومات التي تذكرها المصادر، لكن لا شك بأن مهمة معن في اليمن كانت صعبة وقاسية، ذلك أن قبائل اليمن قوية الشكيمة وأنها منحرفة في هواها عن بني العباس.

ترى لماذا وقع اختيار أبي جعفر على معن بن زائدة وهو إلى وقت قريب كان مستترا عنه، فهو خصمه وطلبته؟ وثم كيف نفسر خطاب التكليف الذي وجهه أبو جعفر لمعن بن زائدة ، حيث يقول مخاطبا معنا

"قد وليتك اليمن، فابسط السيف فيهم، حتى ينقض حلف ربيعة واليمن! قال معن : أبلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين"

فولاه اليمن وتوجه إليها فبسط السيف فيهم حتى أسرف (الأصفهاني: ٤١)، كما وأعطى عطايا لم يعط مثلها أحد (البلاذري: ٢٣٧؛ بن يحيى ١٩٧٨). لماذا معن بالذات؟ ولكي نجيب على هذا السؤال، دعنا نعود للوراء قليلا ونتحدث عن الرجل، فمعن من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ومن الرجال البارزين في كل من الدولتين. فكان بجانب آخر عمّال بني أمية على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، يحارب معه العباسيين عند حصارهم له في واسط، يذكر أبن قتيبة

"يطول الحصار، ويمتد شهورا ويثقل عليهم، فأرسل أبو العباس أخاه أبا جعفر للإشراف على الحصار الذي طال، ودعا ابن هبيرة اليمانية الذين كانوا في واسط للتضامن معه، ولكن أبا جعفر انتبه للخطر ولخوفه من أن يثور اليمانية مع أبن هبيرة كتب إليهم قائلا: "السلطان سلطانكم والدولة دولتكم" (إبن قتيبه: ٢٤١).

فينحاز زياد بن صالح الحارثي كبير اليمانية - أبو الصواعق - وعامل ابن هبيرة على الكوفة (البلاذري: ١٣٨) مع أصحابه إلى دعوة المنصور، مما اضطر أبن هبيرة لقبول الصلح وكتب له كتاب أمان له ولمن معه، ولكن العهد لم يحفظ وقتل ابن هبيرة رغم تردد أبي جعفر الذي كان من رأيه الوفاء له والاحتفاظ بابن هبيرة (الطبري: ٣٦٠-٣٦٢).

لقد كان معنا منحازا لدولة بني أمية لأنه يرى أنها تمثله - كما تمثل بقية رجالات وزعماء العهد الأموي من أمثال ابن هبيرة ونصر بن سيّار - فكانوا جميعا يعتبرون الدعوة العباسية خراسانية وانتصارها كسب للموالي والفرس في خلافة أبي جعفر حدثت واقعة "يوم الهاشمية" الذي أصبح يوما حاسما في علاقة أبي جعفر بمعن بن زائدة الشيباني، جاء في كتاب الكامل لأبن الاثير: "وفي هذه السنة -١٤١هـ- كان خروج الراوندية على المنصور، وهم قوم من أهل خراسان على رأي أبي مسلم يقولون بتناسخ الأرواح وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، فأخذ المنصور رؤوسهم فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم وقصدوا نحو المنصور فخرج لهم من القصر ماشيا، وتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه. وجاء معن بن زائدة وكان مستترا من المنصور بقتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه، فلم يزل يقاتل حتى تكشف الحال وظفر بالراوندية فقال له المنصور: من أنت؟ قال: طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة، فقال آمنك الله مثلك يصطنع" (ابن الأثير: ١٢٩) - الهاشمية نسبة إلى هاشمية الكوفة حيث كان ينزل المنصور قبل بنائه بغداد، بعدها يتولى معن على اليمن واليا تسع سنين ثم كتب المنصور إليه: "سنة ١٥١ هـ أن يقدم، فاستخلف أبنه زائدة على اليمن، وقدم على أبي جعفر وكان معن قد أسّن، فقال له أبو جعفر: كبرت سنك يا معن! قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين! قال: وانك لتتجلد، قال: على أعدائك، قال: وان فيك لبقية، قال: هي لك". من هذه القصص الطريفة، نتلمس أن الخليفة المنصور أصبح غير مطمئن لاستمرار معن أكثر في إمارته على اليمن خوفا من تثبيت أقدامه وهو الأمير الشجاع والقائد المجرب الطموح فقد تحدثه نفسه في الانفصال والخلع. ومن جهة أخرى كانت الأوضاع في بلد آخر بعيد عن مركز الخلافة مضطربة منذ زمن بعيد، وهذا البلد هو سجستان. فرأى المنصور أن يرسل قائده المجرب معن بن زائدة واليا عليه، فذهب معن إلى سجستان وأتخذ من مدينة بيست مركزا له. وجاء عن الطبري "ودخلت سنة اثنين وخمسين ومائه وفيها قتل الخوارج معن بن زائده الشيباني ببست سجستان"، وقيل أن قاتله بالتحديد هو هلال بن المفضل الطائي من بني فطرة وكان معن قد قتل أخاه في اليمن فتبعه حتى سجستان فقتله ثأرا لأخيه، وقال شاعرهم "ونحن قتلنا خير بكر بن وائل" (اليعقوبي: ٣٨٤-٣٨٥؛ الطبري: ٥٠٣؛ الأزدي: ١٧٧)

يبدو أن المنصور قد ارتاح لتولية يزيد بن منصور - خال ولده محمد المهدي - أميرا على اليمن الذي بقي واليا حتى بعد وفاة المنصور ذلك أن المهدي قد أقرّه واليا على اليمن حتى وفاة يزيد بن منصور نفسه (الخزرجي: ٨٣). ثم جاء الغطريف - خال الرشيد - أميرا على اليمن، الذي واجه فتنة ثائرة بين أهل جند وصنعاء واستطاع بكثير من الصبر أن يصلح بينهم (الخزرجي: ٨٦).

مع تولي هارون الرشيد الخلافة (١٧٠-١٩٣هـ) تبرز في اليمن ثلاثة أمور بشكل واضح

١. كثرة الولاة الذين يرسلون لتولّي الإمارة في اليمن الواحد تلو الآخر، فيذكر كتاب "اليمن في عهد الولاة" أن الرشيد أرسل أكثر من ١٢ واليا عليها (الخزرجي: ٨٦-٨٨)، وهذا دليل واضح على استمرار الاضطراب في اليمن. وان الأهالي بمختلف قبائلهم ومخاليفهم لم يخلدوا للسكينة والرضوخ.
٢. كثيرا ما يكون الوالي على اليمن واليا في الوقت نفسه في مكّة، فمثلا أرسل الرشيد محمدا بن إبراهيم الهاشمي واليا على اليمن وجمع له الحجاز، كذلك فإن عامله حمّاد البربري قد جمع بين مكّة واليمن عام ١٨٤ هـ (القلقشندي: ٢٦٧).
٣. أخذت ثورات الخوارج بالتصعيد من جديد، صحيح أن نشاط الخوارج قد قلّ عما كان عليه أيام الأمويين، وان شوكتهم في العهد العباسي لم تكن كشوكتهم وقوتهم في العهد الأموي، ومع ذلك فقد حاربوا العباسيين بقوة وصلابة وجلد، يشبه ذلك الذي كان لهم في العصر الأموي.

فالخوارج نظروا أيضا إلى بني العباس كنظرهم إلى خلفاء بني أميّة، كلهم لا يصلح للخلافة، ولم يختر الخليفة منهم اختيارا حرّا صريحا، ولم يستوف الشروط التي يجب توافرها في الأمام، وكلهم يجب الخروج عليه (أمين).

ففي أيام السفاح تحرك خوارج عمان والجزيرة، وكذلك اشتعلت ثورة الوليد بن طريف - الشاري - في الجزيرة الفراتية أيام الرشيد، والذي يهمنا أنه في أيام الرشيد أيضا ثار الخوارج في اليمن بزعامة الهيصم، فبعث الرشيد مولاه حمّادا البربري وقال له: أسمعني أصوات أهل اليمن (الخزرجي: ٩٠). وجاء عند اليعقوبي تفاصيل عن حركة الهيصم ثم كيفية القضاء عليه نثبتها فيما يلي: "ووثب الهيصم بن عبد المجيد الهمذاني باليمن سنة ١٧٩هـ، وغلب عليها، فكان معقله بجبل له مسور، وكان معه عمر بن أبي خالد الحميّري مقيما بعشتان، وكان معه الصّباح بناحية يقال لها حراز، فلقوا حمّادا البربرّي وكانت بينهما وقائع قتل فيها نيّف وعشرون ألفا من الناس، وأسر حمّاد عمر بن أبي خالد، فوجه به إلى الرشيد، واتصلت الحرب بينه وبين الهيصم تسع سنين. ثم صار إلى حمّاد رجل من أهل البلد فأعلمه أن الهيصم قد نزل من قلعته، وصار إلى قرية من القرى متنكرا يتجسس الأخبار، فوّجه معه إلى تلك القرية بقائد فأخذ الهيصم، فقال الهيصم: والله ان القتل لشيء ما انكره، وما خلقت الرجال الا للموت والقتل. فحمله حمّاد على جمل وأدخله صنعاء، ثم وجه به إلى الرشيد فدعا بالهيصم فأمر بضرب عنقه" (اليعقوبي: ٤١٢).

وأقام حمّاد البربري أميرا على اليمن ثلاث عشرة سنة، سام أهلها سؤ العذاب (اليعقوبي: ٤١٣) حتى دانوا له وأطاعوا وسلموا ما يجب عليهم من الخراج المعتاد وزيادة. ومع ذلك نقرأ في كتاب اليمن في عهد الولاة "وعمرت اليمن في أيامه

وخاصة صنعاء وأمنت السبل حتى كانت القوافل تقدم من اليمامة فيها القطيع من الغنم على كل شاة مخلتان في كل مخلاة ستة أمداد تمر فتباع بأرخص الأثمان، وأخصب اليمن في أيامه خصبا لم يعهد مثله ورخصت الأسعار" (الخزرجي: ٩٠-٩١). وكان حمّاد عبدا لهارون فأعتقه في أول خلافته، ثم عزل الرشيد حمّادا واستعمل مكانه عبدالله بن مالك، فلم يزل في البلد محمود السيرة جميل المذهب حتى توفي هارون (اليعقوبي: ٤١٣).

جاء في كتاب "اليمن في عهد الولاة"

"أن الرشيد أرسل في وقت سابق بمحمد بن برمك واليا على اليمن فأقام بها حتى جرّ إليهم النهر المعروف بالبرمكي، و يعطي الخزرجي صورة براقة تشيد بأعمال هذا البرمكي حيث يقول: وكان ابن برمك من أحسن الولاة القادمين على اليمن عدلا ورفقا وحسن سيرة ، وكان كثير الصدقة في جميع أحواله، وكثير التفقد لأحوال الرعية محبا ومشفقا عليهم" - لا ندري ربما ما قيل عن ابن برمك يدخل ضمن مبالغات الكتاب في سيرة آل برمك (الخزرجي: ٩٠).

أما في زمن المأمون فتتميز الحالة السياسية في اليمن بالنهوض العلوي الذي شمل البلاد اليمنية. فحين ثارت الفتنة ما بين الأخوين الأمين والمأمون، ودارت الحرب بينهما وقتل الأمين عام ١٩٨هـ، عندها اندلعت حركات العلويين من جديد وبشكل لم يعرف من قبل منتهزين الخلاف الذي وقع في البيت العباسي (المسعودي)[1] . والفوضى الشاملة التي عمت ارض الخلافة، وحيث أن مسألة الخلافة بنظر العلويين لم تسو بعد بينهم وبين بني عمومتهم، لذا سارع العلويين لانتهاز هذه الفرصة للعمل على تنحية العباسيين عن كرسي الخلافة التي فازوا بها دونهم.

ومن الملاحظ أن حركات العلويين هذه قد شملت الأقاليم العربية من أقطار الخلافة كالعراق والحجاز واليمن. وان أخطر هذه الحركات كانت حركة العلوي محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا وكان القائد المحرك لثورة أبي السرايا الشيباني سنة ١٩٩هـ، وقد شملت بلاد اليمن، حيث جاءها إبراهيم بن موسى الكاظم واليا عليها من قبل ابن طباطبا، الذي توفي قبل وصول إبراهيم بن موسى إليها سنة ٢٠٠هـ [2] .

لقد شجع العلويين على نشاطهم في اليمن أمران الأول اعتقاد حسن في حب آل البيت ناتج عن دخول الإمام علي (رضي الله عنه) إلى اليمن، وخاصة في وسط قبائل همدان (سيد ١٩٨٨: ٥٢)، والثاني هو بعد اليمن وتطرفها عن مركز الخلافة.

فكانت حركة إبراهيم بن موسى الكاظم هي الأبرز لنشاط العلويين في اليمن "ولما آلت الخلافة إلى المأمون، وظهرت دعاة الطالبين بالنواحي ظهر إبراهيم بن موسى الكاظم سنة مئتين ولم يتم أمره وكان يعرف بالجّزار لسفكه الدماء" (عمارة: ١٣٤). استطاع إبراهيم بن موسى أن يسيطر على اليمن بسهولة، ذلك أن واليها العباسي اسحق بن موسى الهاشمي أخلى صنعاء مع جنده، حتى قبيل وصول إبراهيم إليها فقد بمجرد سماعه اقتراب الثوار العلويين (عمر ١٩٩٦: ٢٤٤)، وهكذا بسط إبراهيم بن موسى سيطرته على إقليم اليمن لأكثر من سنة رغم انحسار سيطرة العلويين في كل من العراق والحجاز. يذكر اليعقوبي "ووجه - الحسن بن سهل - حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان إلى اليمن، وإبراهيم بن موسى بن جعفر العلويّ متغلب بها، فحاربه إبراهيم بمن معه من اليمن، وكانت وقعات منكرة تأخذ من الفريقين، فخرج إبراهيم بن موسى مندحرا من اليمن يريد مكة فدخلها وغلب عليها" (اليعقوبي: ٤٤٨).

وحدث في أثناء ذلك أن بايع المأمون لعلي الرضى ابن موسى بولاية العهد، وإبراهيم بن موسى مقيم في مكة فسارع إبراهيم فبايع للمأمون ولولي عهده وبايع الناس ولبسوا الأخضر (اليعقوبي: ٤٤٩)، وفي هذه السنة - ٢٠٢هـ - حج بالناس إبراهيم بن موسى، فدعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد (الطبري: ١٤٥).

فكتب المأمون إلى إبراهيم بن موسى بولاية اليمن، فخرج من مكة وصار إلى صنعاء وأمر المأمون عيسى الجالودي بالخروج معه ومعونته على محاربة حمدويه بن علي بن ماهان فحمدويه كان قد خلع المأمون (اليعقوبي: ٤٤٨-٤٤٩). ولكن الجالودي ماطل وتعذر ولم ينشط لمساعدة إبراهيم بن موسى، فخسر إبراهيم ولم يرده شيء دون مكة (وبالتالي يخرج لمرو عند المأمون) عندئذ يعلن حمدويه بن علي استقلاله عن السلطة المركزية استياء من سياسة المأمون الموالية للعلويين شأنه في هذا شأن أهل بغداد.

فوجه المأمون بعيسى بن يزيد الجالودي عاملا على اليمن، فنفذ الجالودي إلى اليمن، وزحف إليه حمدويه، وشبت الحرب بينهما وانهزم حمدويه فلاذ ببيت في مدينة صنعاء فأتبعه الجالودي حتى صار إلى الدار التي كان ينزلها، فأخذه الجالودي وهو في ثوب جارية من جواريه، فقال له: سؤة لك، قائد وأبن قائد يقاتل خليفة ويفرّ من الموت هذا الفرار، قد آمنك الله على دمك حتى تصير إلى أمير المؤمنين، فيحكم فيك برأيه، وأشخصه إلى المأمون (اليعقوبي: ٤٥٥).

تتوالى الأحداث بسرعة، فبعد بيعة المأمون لعلي الرضى بولاية يشتد ذلك على بني العباس جدا، وخرجوا وبايعوا إبراهيم بن المهدي، ولقب - المبارك - فجهز المأمون لقتاله وسار المأمون نحو العراق (السيوطي: ٣٠٧) ولكي يمهد لدخول مقبول لدار السلام، أخذ وبطريقته الخاصة يزيل كل العقبات. ففي سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل ذو الرياستين في حمام غيلة، وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان، وذلك في دار المأمون في مسيره إلى العراق (المسعودي: ٣٤٧)، ثم قضى علي بن موسى لعنب أكله وأكثر منه، وقيل أنه كان مسموما وذلك سنة ثلاث ومائتين، والمأمون بطريقه إلى بغداد

---

١. لقد ذكر المسعودي أنه "في سنة مائتين أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم، فكانوا ثلاثة وثلاثين الفا".

٢. المؤلف مجهول والمصدر بعنوان العيون والحدائق ج٣، تحقيق دي خويه ليدن ١٨٦٩: ص٣٤٧.

(المسعودي).

وفي الوقت نفسه – والمأمون متوجه لبغداد – أتاه أيضا كتاب من عامله على اليمن بخروج الأشاعرة وعك وهم أجل عرب تهامه، وكان المأمون قد أتى بقوم من ولد زياد بن أبيه وقوم من ولد هشام وفيهم رجل من تغلب يقال له محمد بن هارون، وكانوا أكثر من مئة رجل – وقد أضافهم المأمون إلى الحسن بن سهل (الحموي: ١٣٢).

وجاء في كتاب "تاريخ اليمن"

لما وفد وجوه اليمن على المأمون، وكان فيهم محمد بن زياد، من ولد عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان، فأستعطف المأمون، وضمن له حياطة اليمن من العلويين. فوصله وولاه اليمن، وقدّمها سنة ثلاث ومئتين وفتح تهامه اليمن، وهو البلد الذي على ساحل البحر الغربي واختط فيها مدينة زبيد، ونزلها واختارها كرسيًا لتلك المملكة (عمارة: ١٣٤).

ولعل المأمون باختياره محمد بن زياد أميرا على اليمن، أراد أن يرمي العلويين بخصم لهم من بني أمية ليضع حدا لنفوذهم. حيث أن حركة إبراهيم بن موسى قد تبعها فيما بعد حركات واضطرابات شتى في أنحاء البلاد اليمنية قام بها علويين جاءت على ذكرها المصادر العربية الإسلامية، ومنها كتاب الكامل لأبن الأثير، نذكر واحدة منها على سبيل المثال، أقربها لقيام دولة بني زياد

"في هذه السنة (٢٠٧هـ)، خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ببلاد عك في اليمن، يدعو إلى الرضا من آل محمد (ص). وكان سبب خروجه أن العمال باليمن أساؤوا السيرة فيهم فبايعوا عبد الرحمن هذا" (ابن الأثير: ٤٦٨).

يؤكد عمارة أن محمدا بن زياد قد استولى على اليمن أجمع، ودخلت في طاعته أعمال حضرموت والشحر وديار كندة وصار في مرتبة التابعة (عمارة: ١٣٤).

وحين اختط محمد بن زياد مدينة زبيد سنة ٢٠٤هـ، فقد راعى في ذلك الناحيتين العسكرية والمدنية، حتى أصبحت زبيد من أهم المدن اليمانية عمرانا وثقافة (الحضرمي ٢٠٠٠؛ العميد ١٩٧٠).

ويصف مدينة زبيد الجغرافي المقدسي من القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد "بأنها بغداد اليمن، فهي بلد جليل ونفيس، حسن البيان ومستقر ملوك اليمن وقصبة تهامه، وبها نجار كبار وعلماء وأدباء، بلد مفيد لمن دخله مبارك على من سكنه" (المقدسي).

ان قيام الدولة الزيادية (٢٠٤-٤٠٩هـ /٨١٩-١٠١٨م) هو تتويج للذات اليمنية، هذه الذات التي كانت تسعى طوال الفترات السابقة للظهور والتميز. وقد فهم المأمون هذا التميز، كما فهمه قبله أبوه الرشيد بالنسبة لدولة الأدارسة ودولة الأغالبة، فأن المأمون فعل الشيء نفسه بالنسبة لدولة بني زياد وبعدهم لدولة بني طاهر. كما وان قيام دولة بني زياد كانت فاتحة للدول المستقلة اللاحقة، التي قامت على امتداد البلاد اليمنية، والتي جميعها جاءت بصورة أو بأخرى تجسيدا للذات اليمنية، وتمثيلا للمجتمع اليمني ذو الأطياف المتعددة في مخاليفه المختلفة جغرافيا، مذهبيا، عقائديا وقبائليا، لقد كان جهاد أهل اليمن جهادا اجتماعيا واعيا، كما كان جهادا دينيا ضد حكم جائر. هذا وتزامن قيام دولة بني زياد كأول دولة مستقلة في اليمن زمن المأمون الذي مع نهاية خلافته (٢١٨هـ/٨٣٣م). انتهى العصر العباسي الأول، حيث أن الخليفة المعتصم الذي تولى الأمر بعده قد نقل عاصمة الخلافة إلى سرّ من رأى / سامرا، وقد أدخل بشكل واسع وقوي عنصرا جديدا كان له خطورته وقوته في مجتمع الخلافة على مدى الأيام ألا وهو العنصر التركي، إلى جانب العنصرين الأولين العربي والفارسي. وبهذا يؤرخ العديدين انتهاء العصر العباسي الأول.

صالح خلف الحمارنه
الجامعة الأردنية-عمان

المصادر

المصادر حسب التسلسل الزمني للمؤلفين

خليفة بن خياط

١٩٦٧ **تاريخ بن خياط**. تحقيق أكرم العمري، النجف .

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم

١٩٠٤ **الامامة والسياسة** (منسوب إليه). القاهرة.

البلاذري، احمد بن يحي

انساب الأشراف – القسم الثالث.

١٩٧٨ تحقيق عبدالعزيز الدوري. بيروت .

اليعقوبي

١٩٧٠ **تاريخ اليعقوبي**. بيروت : دار صادر.

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير

١٩٨٨ **تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك**. بيروت : دار الكتب العلمية.

الاشعري، علي اسماعيل

١٩٦٧ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**. الازدي، ابو زكريا يزيد بن محمد تاريخ الموصل. تحقيق علي حبيبة القاهرة .

الاصفهاني، ابو الفرج علي

مقاتل الطالبيين. شرح وتحقيق السيد احمد صقر. بيروت: دار المعرفة.

كتاب الاغاني. تصحيح الشيخ احمد الشنقيطي. مصر: مطبعة التقدم.

المسعودي، علي بن الحسين

١٩٦٦ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة .

الهمذاني، ابو محمد الحسن بن احمد

١٩٧٤ **صفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد بن علي الاكوع. بيروت ١٣٧٣.

الأكليل. تحقيق القاضي محمد علي الأكوع. الرياض .

المقدسي-البشاري، ابو عبدالله محمد بن احمد

١٩٥٧ **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**. السلسلة

الجغرافية. بيروت: دار احياء التراث.
عماره اليمني، نجم الدين ابي محمد
تاريخ اليمن. نشره حسن سليمان محمود. القاهرة .
ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله
١٩٧٩ **معجم البلدان**. بيروت : دار احياء التراث العربي.
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين
١٩٦٩-٧٢ **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان**. تحقيق احسان عباس. بيروت .
ابن الطقطقا، محمد بن علي
١٩٩٥ **الفخري في الآداب-السلطانيه**. بيروت : دار صادر.
الخزرجي، ابو الحسن موفق الدين
١٩٧٦ **اليمن في عهد الولاة**، مأخوذ من مخطوط كتاب الخزرجي الكفاية والاعلام في من ولي اليمن وسكنها من ملوك الاسلام. تحقيق راضي دغفوس. تونس .
القلقشندي، احمد بن علي
١٩٦٤ **صبح الاعشى في صناعة الانشا** . تحقيق عبدالستار فراج. الكويت .
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن
١٩٥٢ **تاريخ الخلفاء**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة : مطبعة السعادة.

المراجع

أمين، احمد
١٩٣٣ **ظهر الإسلام**. القاهرة.
بيضاني، ايمان احمد
٢٠٠٣ الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في اليمن. **مجلة اليمن** العدد١٧.
بروكلمان، كارل
تاريخ الأدب العربي، ج.٣ ترجمة عامر النجار.
حسن، ناجي
١٩٦٦ **ثورزيد بن علي**. بغداد.
الحضرمي، عبد الرحمن بن عبد الله
٢٠٠٠ **زبيد-مساجدها ومدارسها في التاريخ**. دمشق.
حلمي، احمد
١٩٥٩ **الخلافة والدولة في العصر العباسي**. القاهرة.
الحمارنه، صالح
١٩٨٢ معن بن زائدة الشيباني. **مجلة افكار** العدد ١. عمان.
٢٠٠٣ الحالة في حمص عشية سقوط الدولة الأموية. **مجلة البحث التاريخي** العدد ٧. سوريا: حمص.
الدوري، عبد العزيز
١٩٨١ الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الاول. ضمن الكتاب التذكاري للدكتور احسان عباس **دراسات عربية واسلامية**. بيروت.
١٩٨٨ العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية. بيروت.
زامباور، ادوار
١٩٥١-١٩٥٢ **معجم للأنساب والأسرات الحاكمة** ١-٢. ترجمة زكي محمد حسن وآخرون. القاهرة.
سيد، ايمن فؤاد
١٩٨٨ **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن**. بيروت.
١٩٧٤ **مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي**. القاهرة.
شكري، محمد سعيد
٢٠٠١ احداث الردّة في اليمن. **مجلة اليمن** عدد ١٧. جامعة عدن.
عبدالله، ماضي محمد
١٩٥٠ دولة اليمن الزيدية نشأتها- تطورها- علاقاتها. **المجلة التاريخيةالمصرية** عدد٣.
عطوان، حسين
١٩٨١ **الوليد بن يزيد**. بيروت.
العلي، صالح احمد
التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية في البصرة.
عمر، فاروق
١٩٨٨ **الخلافة العباسية**. دار الشروق.
العميد، صابر مفيد
١٩٧٠ بناء مدينة زبيد في اليمن. **مجلة كلية الآداب**- جامعة بغداد العدد ١٣.
محمد بن صالح
١٩٧٨ دولة الخوارج في اليمن بنو مهدي في زبيد. **المجلة التاريخية المصرية** عدد ٢٥. القاهرة.
محمود، حسن سليمان
١٩٦٩ **تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي**. بغداد.
النجار، عامر
١٩٨٨ **الخوارج**. القاهرة.

كنيسة البازيليكا الغربية في خربة ياجوز [1]

لطفي خليل

المقدمة

تقع خربة ياجوز حوالي (١١كم) شمال مدينة عمان وعلى بعد (٤كم) شمال شرق الجامعة الأردنية بالقرب من طريق شفا بدران المتفرعة من طريق صويلح - الزرقاء، ويحتل الموقع الأثري السفح الجنوبي لوادي ياجوز بمساحة (٦٢٥ × ٤٧٠م)، ويحيط بالموقع التلال والأراضي الزراعية، كما يوجد على طرفه الجنوبي الغربي عين ياجوز التي تتدفق مياهها الغزيرة على مدار السنة.

وقد سجل الموقع في برنامج معلومات الآثار الأردنية المحوسب الجاديس (JADIS) تحت رقم ٢٣١٥,١٦٦ في الخارطة رقم ٣١٥٤,٢ وبالإحداثيات SE; UTM Zone:36; UTME: 7757, UTMN: 35477; PGE: 236.900; PGN: 159.900; Elev. + 860 (Palumbo 1994: 2.143)

يطلق على خربة ياجوز اسم "تلعة نمر" نسبة إلى الشاعر المعروف في التراث الأردني "نمر العدوان" والمتوفى عام ١٢٣٨ هجري الموافق ١٨٢٣م، وتوجد رفاته في المقبرة التي تقع إلى الغرب من الموقع الأثري، كما يطلق السكان المحليين على الخربة اسم "المدرج" وهذه التسمية اكتسبها الموقع بسبب طبيعته الطبوغرافية المتدرجة والمنحدرة من الشمال باتجاه وادي ياجوز (Khalil 1998: 457).

وقد اعتقد بعض الرحالة خطأ بأن ياجوز هي "Jahaz" التوراتية (Oliphant 1880: 266)، لكن (Merril) ينفي هذا الاعتقاد ويرجح أن ياجوز هي البلدة الرومانية (Gadda) الواقعة على بعد ١٣ ميلاً من عمان و١١ ميلاً من قلعة الزرقاء (Merril 1881: 277)، وعلى أية حال فليس هناك أي دليل يثبت أن هناك علاقة بين خربة ياجوز والموقعين السالفين الذكر.

لقد جعلت المميزات الطبيعية والمتمثلة في المناخ الجيد والمياه وتوفر الأراضي الزراعية الخصبة من خربة ياجوز موقعاً هاماً، مما جعلها محطة وسوقاً للقوافل التجارية ما بين مدينتي فيلادلفيا (عمان) وجيراسا (جرش) على الطريق المعروف بالطريق الجديد (Via Nova) والذي أمر بإنشائه الإمبراطور الروماني تراجان وكان يمتد من بصرى الشام شمالاً وحتى العقبة جنوباً، وقد أنجز العمل به في سنة ١١٤م (Parker 1997: 21) ويستدل على ذلك من وجود حجارة المسافات (Mile Stones) المنتشرة في منطقة شفا بدران، حيث عثر على اثنين من هذه الحجارة تم نقلها إلى متحف الآثار في الجامعة الأردنية.

تاريخ البحث العلمي في موقع ياجوز

لقد زار خربة ياجوز والمناطق الأثرية المحيطة بها العديد من الرحالة والباحثين الغربيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وقاموا بوصف ما شاهدوا من بقايا معمارية ومظاهر طبيعية في المنطقة، ويمكن تلخيص أهم هذه الأعمال مرتبة حسب تاريخ زيارة كل رحالة للموقع مع إبداء بعض الملاحظات كالتالي

يعتبر (Merril) أول من قام بزيارة خربة ياجوز عام ١٨٧٦م، ثم عاد وزارها مرة أخرى عام ١٨٨٣م، وقام بوصف العديد من المظاهر المعمارية مثل العوارض الحجرية الضخمة والتاجيات والأعمدة الكورنثيه والعتبات المنحوتة بشكل متقن، ومما يثير الانتباه، أنه كان قد سجل وجود تماثيل آدمية مشوهه الوجوه تم استبدال الوجوه برسم الصليب وهو بذلك يشير إلى تاجيات الأعمدة في كنيسة البازيليكا التي اكتشفت عام ١٩٩٣م، كذلك أشار إلى وجود تماثيل لأسدين ونسر وكذلك تمثال لإمرأة، ومن الجدير بالملاحظة أن الرحالة الذين لحقوا بـ (Merril) لم يذكروا شيئاً عن تلك التماثيل.

لقد وصف هذا الرحالة بيئة منطقة خربة ياجوز بأنها مغطاة بأشجار البلوط والصنوبر والبطم بكثافة وأن مياه عين ياجوز تتدفق بغزارة في وادي الحمام (Merril 1881: 273-277).

سجل الرحالة (Oliphant) وجود جدران اعتقد أنها لمعبد روماني بالقرب من نبع عين ياجوز (Oliphant 1880: 266).

لقد زار الكولونيل البريطاني (Conder) الموقع في عام ١٨٨١م أثناء المسح الذي قام به للأردن، ووصف النواحي الجغرافية وطبيعة المنطقة المحيطة بعين ياجوز فسجل وجود بلدة رومانية وبيزنطية ووصف المظاهر المعمارية من جدران وأقبية نصف برميلية خاصة في الجزء الغربي من الموقع (Conder 1889: 279)، ويبدو أن وصف (Conder) ينطبق على ما تم اكتشافه أثناء حفريات قسم الآثار في الجامعة

---

١ لقد تم إعداد هذا البحث أثناء سنة التفرغ العلمي ٢٠٠٤/٢٠٠٥ التي حصلت عليها من الجامعة الأردنية.

الأردنية في المنطقة (E).

كما قام الرحالة الألماني (Schumacher) بزيارة الموقع عام ١٨٨٤م ولم يهتم بتسجيل ما لاحظه من مظاهر أثرية فقط، بل وصف ما شاهده من بساتين وأشجار مثمرة من عنب ورمان إلى جانب أشجار البلوط الكثيفة (Schumacher 1886: 304-306).

وفي بداية القرن العشرين، قام (Dalman) بزيارة خربة ياجوز وتسجيلها أثناء رحلته من جرش إلى عمان (Dalman 1911: 28).

لقد شجع وصف (Merril) في الربع الأخير من القرن التاسع عشر لآثار وطبيعة خربة ياجوز أن يقوم ((McCown) عام ١٩٣٠م بزيارة الموقع، وسجل أنه لم يعثر على الكثير مما ذكره الرحالة الذين سبقوه، كما ذكر أنه لم يشاهد ما ذكره من سبقه عن كثافة أشجار البلوط وغيرها، بل سجل وجود أربع شجرات فقط وهي التي ما تزال قائمة إلى اليوم في داخل المقبرة الإسلامية. لقد وصف (McCown) وجود مظاهر معمارية متعددة وآبار ماء وبركة ماء ذات بناء جيد (McCown 1930: 14-15).

وصف (Glueck) الرحالة التوراتي خربة ياجوز بأنها تعود إلى العصرين الروماني والبيزنطي، كما وصف العديد من المواقع الأثرية المحيطة بخربة ياجوز مثل شفا بدران حيث شاهد عدداً من أحجار المسافات والتي تعود إلى القرن الثاني الميلادي، كما أنه وصف أم الرجوم وبرجها العموني وما حوله من مغاور وآبار وقبور، وأرخ موقع كوم ياجوز والواقع إلى الشرق من خربة ياجوز إلى العصر الحجري النحاسي وذلك من خلال تأريخ الكسر الفخارية التي عثر عليها على سطح الموقع (Glueck 1937-1939: 177).

قام (Thompson) عندما كان مديراً للمركز الأمريكي للأبحاث الشرقية في عمان بإجراء حفريات أثرية في قرية ياجوز على السطح المقابل للخربة الأثرية في عام ١٩٧٠م، حيث عثر على مقبرة رومانية داخل كهف أعيد استعماله في العصر البيزنطي كمعصرة للزيتون، وسجل ملاحظاته حول المباني وآثار القرية العثمانية الواقعة على السفح الشرقي للقرية (Thompson 1972: 38-40).

في عام ١٩٩٣م قام فريق من دائرة الآثار الأردنية بإجراء حفريات في الجزء الشرقي الجنوبي من الموقع حيث تم الكشف عن آثار كنيسة مبنية على الطراز البازيليكي وبداخلها بئر ماء، تبلغ أبعاد الكنيسة ٢٨ × ١٧م وتتكون من ثلاثة أروقة، ويقع المدخل الرئيسي للكنيسة في الجهة الجنوبية حيث توجد الأرضية المبلطة بالحجارة والتي تقود إلى المرفقات المعمارية الأخرى في الكنيسة، لقد أرخت الكنيسة إلى الفترة الواقعة ما بين منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن الثامن الميلادي.

إن أهم ما يميز هذه الكنيسة هي تاجيات الأعمدة التي عثر عليها في صحن الكنيسة والتي تتكون من مزيج من الطرازين الأيوني والكورنثي مع وجود بعض الوجوه الآدمية المشوهة (سليمان ١٩٩٨: ٥-١١) (Suleiman 1966: 457).

ومن الملاحظ وجود حجرين لمذبحين من العصر الروماني قد استعملا في بناء الكنيسة مما يؤكد أن هذين الحجرين قد جاءا من معبد روماني كان موجوداً في الموقع وأعيد استعمالها في بناء الكنيسة في العصر البيزنطي.

وبما أنه لم يكتشف نقش كتابي في كنيسة البازيليكا هذه ولا في كنيسة البازيليكا موضوع البحث، ومن أجل تمييزهما عن بعضهما، لذا سميت الكنيسة موضوع البحث بالغربية نسبة إلى موقعها الجغرافي في المنطقة (E) وعلى الحدود الغربية للموقع الأثري.

التنقيبات الأثرية في موقع ياجوز خلال الأعوام ١٩٩٥-٢٠٠٣

أنجز قسم الآثار في الجامعة الأردنية بإشراف المؤلف تسعة مواسم من العمل الأثري الميداني في خربة ياجوز من أجل تدريب طلبة البكالوريوس والماجستير في القسم على أعمال المسح والتنقيب الأثري والذي يشمل الحفر والتسجيل والوصف والرسم والتصوير وكتابة التقارير خلال الفصول الصيفية.

لقد تم الكشف عن العديد من العمائر الدينية والمدنية والصناعية في الموقع إلى جانب اكتشاف الكثير من اللقى الفخارية والزجاجية والمعدنية، ويمكن تلخيص أهم المكتشفات خلال المواسم التسعة (١٩٩٥-٢٠٠٣م) (**الشكل ١**) كما يلي

١- الكنيسة الصغيرة :(Chapel) اكتشفت الكنيسة في المنطقة (B) والتي وجدت بها العناصر المعمارية المختلفة من حنية، ومحرس المذخر وحاجز الهيكل، وقد رصفت أرضية الهيكل بفسيفساء ملونة، كما يوجد قاعة للعبادة تبلغ أبعادها (١٥ × ١٠م)، وهناك خمس غرف ملحقة بالكنيسة من الناحيتين الشمالية والغربية، أهمها الغرفة الواقعة في الجهة الغربية حيث عثر بالقرب من مدخلها على النقش الإهدائي المكتوب باللغة اليونانية في أرضية فسيفسائية ملونة، مما مكن من تأريخ بناء الكنيسة الصغيرة إلى سنة ٥٠٨م (Khalil 1998: 463)، لقد عثر أثناء الحفر في ركام تلك الغرفة فوق الأرضية الفسيفسائية على طبقة من الرماد بسمك حوالي ١٠سم تحتوي على كسر فخارية تعود للعصر الأموي، مما يرجح أن الكنيسة قد هدمت بفعل الزلزال الذي حدث سنة ٧٤٩م ولا يستبعد أن يكون قد حدث حريق مدمر بسبب حدوث الزلزال.

٢- المدفن: أكتشف تحت الكنيسة الصغيرة مباشرة، وهو مدفن محفور في الصخر الجيري، وقد عثر بداخله على ١٣٢ هيكلاً عظمياً لرجال ونساء من فئات عمرية مختلفة، يتكون المدفن من نوعين من القبور النوع الأول محفور في الصخر بشكل عموي (Loculli) وعدد قبور هذا النوع سبعة، بينما النوع الثاني مبني من الحجارة الجيرية المشذبة جيداً في صحن المدفن وعدد قبور هذا النوع ستة (Khalil 1998: figs.10,11). وقد احتوت الثلاثة عشر قبراً على عدد كبير من اللقى الأثرية الكاملة والتي كانت مرفقة مع جثث الموتى، فمثلاً عثر على ٣٠ شمعداناً فخارياً (Khalil 2001b: 617-627) و ١٠ أواني زجاجية

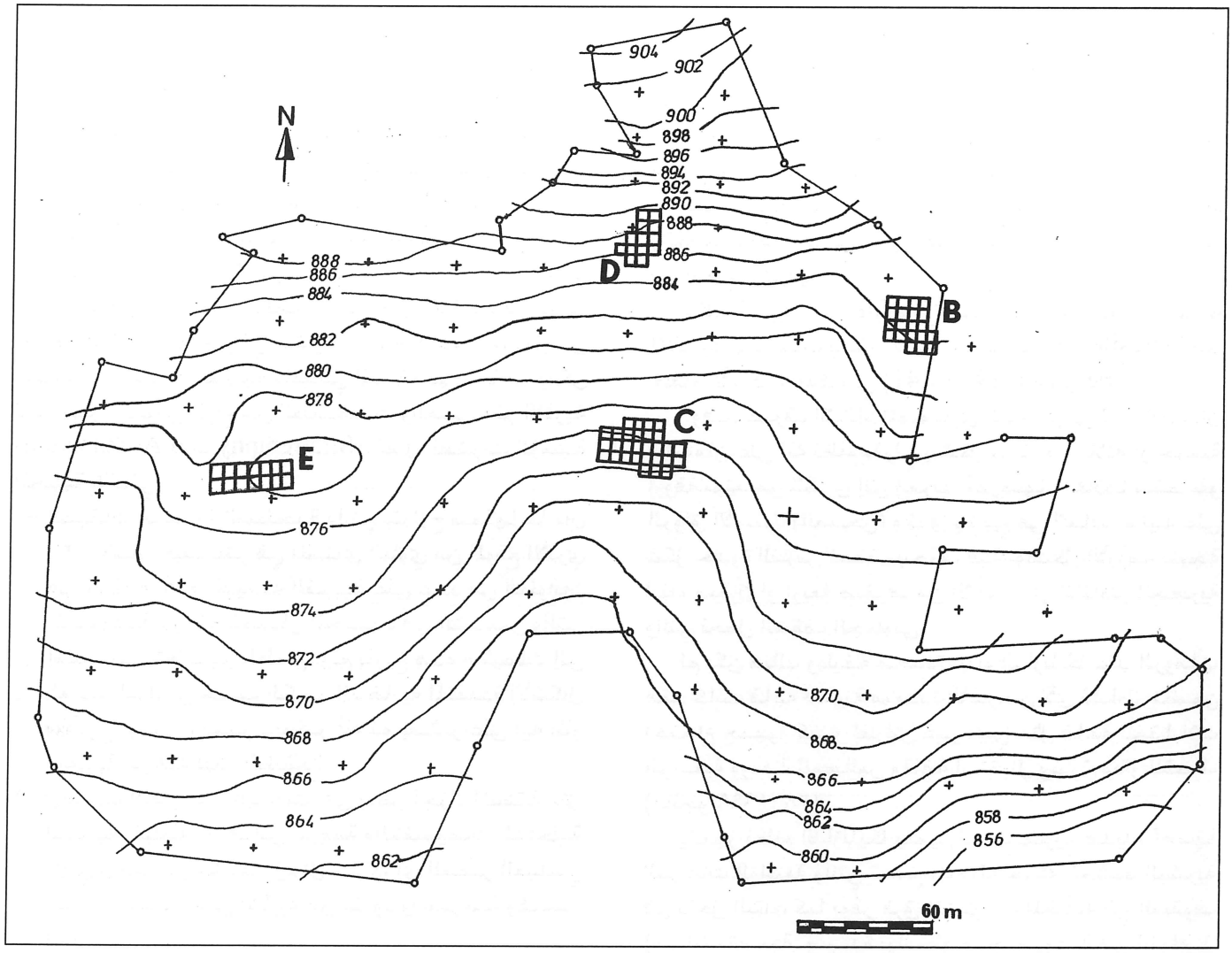

١. خارطة كنتورية لخربة ياجوز تبين المناطق المختلفة.

(Khalil 2001a: 127-138) و ٢٢ سراج فخاري وأدوات زينة متعددة الأشكال.

وبناءاً على اللقى المختلفة يمكن تأريخ المدفن إلى الفترة الواقعة ما بين القرن السادس ـ القرن الثامن الميلادي، ويتوافق هذا التاريخ مع فترة بناء ودمار الكنيسة الصغيرة.

٣- معصرتا عنب: تم الكشف عن معصرتي عنب في المنطقة (C)، تتكون كل معصرة من أحواض الهرس ونظام عصر ميكانيكي وحوض ترسيب وبئر لجمع العصير، وأرخت فترة استعمال المعصرتين من خلال التقنية المستعملة والكسر الفخارية التي تم العثور عليها في الطبقات الأثرية فبناء المعصرة الجنوبية يعود إلى القرن الثاني الميلادي، بينما يعود بناء المعصرة الشمالية إلى القرن الخامس الميلادي. وقد استمر استعمال المعصرتين حتى منتصف القرن السابع الميلادي تقريباً. كما استعملت ثلاثة أحواض في المعصرة الشمالية خلال العصر الأموي. ويشير وجود المعصرتين والوسائل الميكانيكية في عصر العنب على أن خربة ياجوز كانت مركزاً هاماً لصناعة النبيذ خلال الفترة ما بين العصر الروماني المتأخر والعصر البيزنطي خاصة إذا علمنا أن سعة بئري جمع العصير في المعصرتين حوالي ٦٥٠٠ لتر مكعب من عصير العنب (Khalil and Al Nammari 2000: 41-57).

٤- المنطقة السكنية في منطقة (D): توجد إلى الشمال من معصرتي العنب حيث تشكل وحدة سكنية يبلغ قياس أبعادها ٢٧ × ٢٠م، ويوجد مدخلها في الجهة الجنوبية من البناء وقد بنيت أساسات الجدران على الصخر مباشرة وبعرض متر تقريباً.

تتكون الوحدة السكنية من ١١ غرفة مبنية من الحجارة الجيرية المشذبة ومغارتين وبئر في الساحة المكشوفة الواقعة في وسط البناء، ويوجد نوعين من الغرف تختلف في مساحتها، فيبلغ أبعاد النوع الأول ٥ × ٥م، بينما أبعاد النوع الثاني ١١ × ٥م، ويبدو أن النوع الأول قد نتج عن تقسيم غرف النوع الثاني، وفي كلا الحالتين فهناك العديد من قواعد الأقواس التي كانت تحمل الكتل الحجرية المكونة لسقوف الغرف.

لقد تم تأريخ الوحدة السكنية بواسطة الأواني الفخارية والأسرجة والنقود النحاسية وغيرها من اللقى إلى الفترة الواقعة ما بين أواخر العصر الروماني إلى العصر البيزنطي.

٥- المنطقة السكنية في المنطقة (E): تقع في الجزء الغربي من الموقع حيث عثر على طبقات أثرية في المنطقة الواقعة

غرب وشمال غرب كنيسة البازيليكا الغربية موضوع البحث، وتشير الأدلة المعمارية والطبقات واللقى الأثرية أنه تم في فترة ما بعد زلزال ٧٤٩م استصلاح الغرف التي كانت ملحقة بالكنيسة والواقعة إلى الشمال والغرب من الساحة المبلطة بتقوية قواعد الأقواس وتغطية الساحة المبلطة بالحور المدكوك للسكن بها في العصر العباسي (Khalil and Kareem 2002: 111-150).

لقد أنجز حفر ٣٧ مربعاً في المنطقة (E) أي حوالي ٩٢٥م٢ خلال المواسم المختلفة، وقد وصل التنقيب في بعض المربعات إلى عمق حوالي مترين، ورغم عدم الوصول إلى أساسات الكنيسة الغربية والمباني الملحقة بها، إلا أنه يمكن تمييز خمس أنواع من الطبقات والعمائر الأثرية (Stratigraphy and Architecture)، تمثل الفترات الزمنية المختلفة كالتالي

١- الطبقات الرمادية السطحية والتي يتراوح سمكها ما بين ٢٠-٦٠سم، حيث عثر في المستوى العلوي من الموقع الأثري في منطقة E والكنيسة الغربية على عدد من الطوابين المصنوعة من الصلصال المجفف في الشمس والتي استعملت لتحضير الطعام، وتم تأريخ هذه الطبقات إلى العصر المملوكي حسب الكسر الفخارية المتعددة الأشكال والأنواع، ومن الجدير بالذكر أنه لم يعثر على أية آثار معمارية مرافقة لهذه الطبقات.

٢- أرضيات الحور المدكوك جيداً في بعض أجزاء المنطقة مثل الساحة المبلطة والأقواس المرممة والتقسيمات الداخلية والتي أرخت إلى ما بعد زلزال ٧٤٩م، أي العصر العباسي المبكر حسب اللقى الأثرية من نقود وأسرجة وكسر فخارية.

لقد دمر الزلزال معظم عمائر جنوب بلاد الشام (Russel 1985: 37-59)، وتظهر آثار التدمير واضحة في كنيسة البازيليكا الغربية والكنيسة الصغيرة ومنطقتي (D وC) في خربة ياجوز هناك مواقع أثرية أخرى تظهر فيها آثار التدمير بفعل هذا الزلزال واضحة خاصة في طبقة فحل (Smith 1973: 165-166) وجرش (Zayadine 1986: 19).

٣- الطبقات الواقعة تحت الرماد وهي ذات ألوان تتراوح ما بين البنى الفاتح والبني الغامق والممزوجة أحياناً بالحور الرخو والتي تحتوي على حطام الأقواس المتهدمة وكسر القرميد الفخاري الذي استعمل في سقف الكنيسة الجملوني وغيرها مما نتج من كارثة زلزال ٧٤٩م، وتتراوح سمك هذه الطبقات من ٣٠-١٢٠سم.

٤- الجدران والقناطر الحجرية القائمة: وهي ما تبقى من آثار كنيسة البازيليكا الغربية بعد الزلزال، كذلك الأرضيات الفسيفسائية والأرضيات المكونة من الشحف والملاط المرتبطة بالجدران والقناطر الحجرية.

الكنيسة الغربية

المخطط والبناء

بنيت الكنيسة الغربية على النظام البازيليكي حيث يبلغ طولها من الجدار الخارجي حتى الجدار الغربي للرواق الأوسط ٢٧,٧٠ متراً بينما يبلغ عرض الكنيسة مع الجدران حوالي ١٢,٦٠ متراً (**الشكل ٢ و٣**).

تتكون الكنيسة من جزئين رئيسيين هما منطقة الهيكل والقاعة الرئيسية للمتعبدين والتي تتكون من ثلاثة أروقة، ممشيان جانبيان هما شمالي وجنوبي والرواق الأوسط (الصحن) وهو أعرضها، وينتهي الصحن بحنية نصف دائرية في الجهة الشرقية.

وكلمة بازيليكا (Basilike) كلمة يونانية ومعناها صالة الملك وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى (Basileus) أحد خلفاء الأسكندر المكدوني (Ferguson 1990: 141).

وقد عرف النظام المعماري البازيليكي لدى اليونان والرومان على أنه نظام طولي يتشكل البناء من ثلاثة أو خمسة أروقة تمتد من الشرق إلى الغرب، أعرضها وأعلاها سقفاً هو الرواق الأوسط (الصحن) والذي ينتهي في العادة بحنية على شكل حذوة الفرس تسقف بنصف قبة، وتشكل الأروقة نتيجة لبناء صفين أو أربعة صفوف من الأعمدة أو القناطر الحجرية والتي تحمل السقف الجملوني.

لم يكن هناك وظيفة محددة لبناء البازيليكا عند الرومان، فقد كانت قاعة المدينة متعددة الأغراض لأي نشاط يتضمن اجتماع جمهور كبير لغرض غير ديني مثل قاعة للمقابلات الرسمية وردهة للمجالس وقاعة استقبال وسوق ودار للقضاء (مانجو ١٩٩٩: ٣٨).

يتميز نظام البازيليكا بمميزات معمارية عديدة أهمها الفراغات الواسعة والتي تسمح بسهولة حركة الحشود البشرية في داخل البناء، كما يوفر فرق المستويات المختلفة في السقوف إضاءة وتهوية جيدة بواسطة مجموعة من النوافذ (Ferguson 1990: 141).

لقد ورثت العمارة البيزنطية الكثير من الأساليب والطرز المعمارية الرومانية، ولكن ارتبط طراز البناء البازيليكي ارتباطاً وثيقاً بالديانة المسيحية واعتبر بناء ملائم من حيث الطراز المعماري والعقيدة، خاصة أنه لم يرتبط في العصر الروماني بأية دلالات وثنية (Fletcher 1992: 208).

واستعمل طراز البازيليكا المعماري بشكل واسع في بناء الكنائس في الأردن وفلسطين خلال الربع الثاني من القرن الرابع الميلادي وتواصل استعمال هذا الطراز مع بعض التعديلات الطفيفة حتى القرن السادس الميلادي حيث شكل هذا النظام المعماري النموذج الرئيسي لكنائس الأسقفية والأبرشية وكنائس الأديرة (Smith 1973: 154).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هناك طرز معمارية أخرى قد اتبعت في بناء الكنائس في العصر البيزنطي مثل الكنائس المركزية والتي يمكن أن تكون مربعة أو دائرية أو مضلعة، كما ظهر تخطيط البازيليكا على شكل الصليب (مانجو ١٩٩٩: ٤٤-٥٨).

يتكون مخطط كنيسة ياجوز الغربية من جزئين رئيسيين هما منطقة الهيكل (Sanctuary) وتشمل الحنية والغرفتين الجنوبيتين (Diaconicon) ومحرس المذخر (Reliquary)

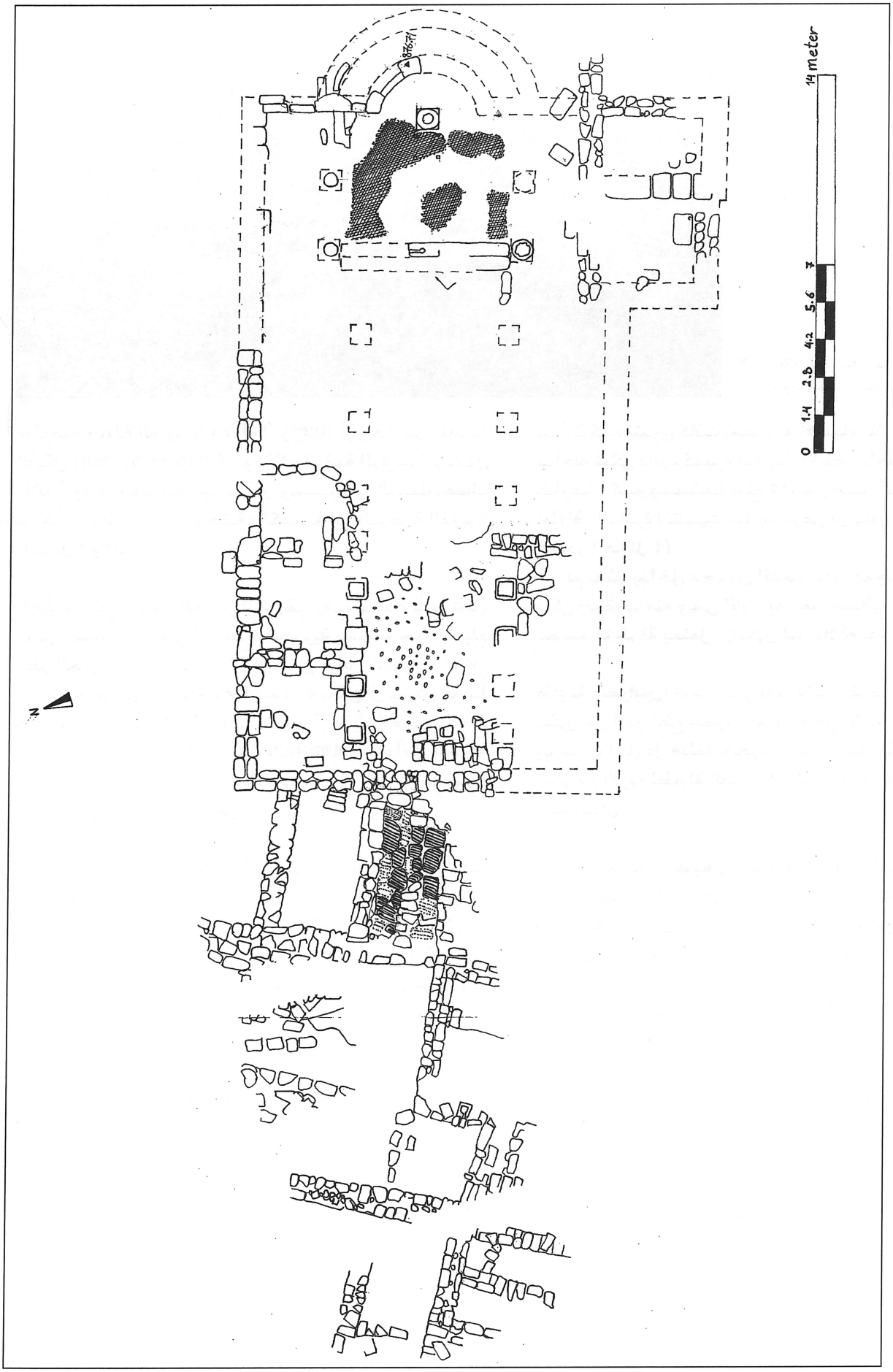

٢. مخطط كنيسة البازيليكا الغربية في خربة ياجوز.

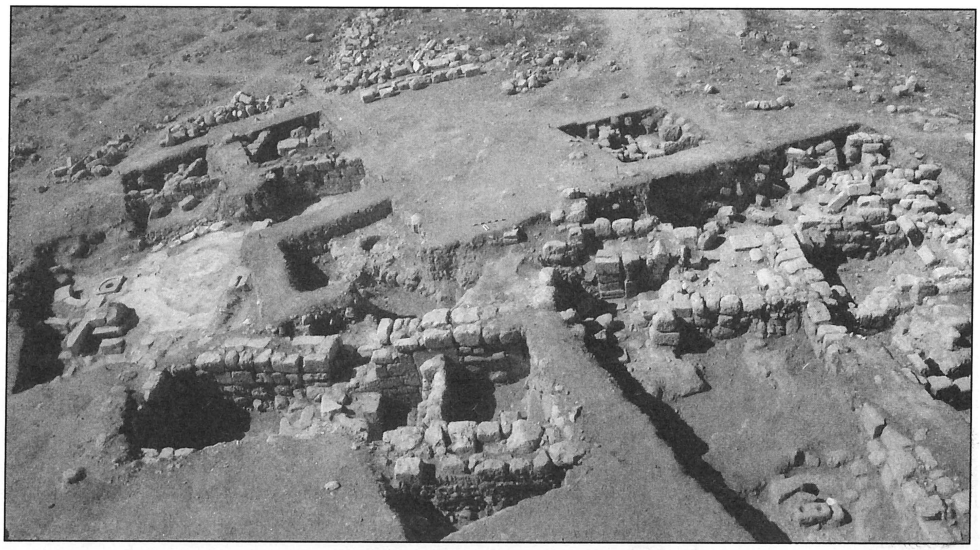

٣. منظر الكنيسة الغربية من الأعلى يبين أجزاء الكنيسة المختلفة.

وموضع طاولة القرابين (Liturgy Table) وحاجز منطقة الهيكل (Chancel Screen). وكذلك القاعة الرئيسية وتشمل ثلاثة أروقة: ممشيان جانبيان وصحن في الوسط وهناك ساحة مبلطة وغرف ملحقة بالكنيسة في الناحية الغربية (**الشكل ٢ و٣**).

الحنية: تقع ضمن الجدار الشرقي وهي مبنية على شكل قوس نصف دائري من الحجارة الجيرية المشذبة جيداً ويبلغ قطر الحنية من الداخل ٣,٥م بينما يبلغ من الخارج ٤,٦٠م، ويوجد حجران في الناحية الشمالية يمكن أن تشكل قوساً خارجياً بقطر مقداره ٨م، ومن المرجح أن هذه الحجارة كانت جزءاً من مقاعد رجال الدين (Synthronon) داخل الحنية والتي تكون في العادة عنصراً طقسياً هاماً، ويبدو أن معظمها قد دمر في كنيسة ياجوز الغربية.

الهيكل: هي المنطقة الواقعة ما بين الحنية والحاجز وهي مخصصة لرجال الدين حيث كانت تقام الطقوس الدينية المختلفة فيها وتبلغ مساحتها في كنيسة ياجوز الغربية ٧,٥٠م × ٥,١٠م وتوجد بها أرضية فسيفسائية ملونة وقد ثبت في الأرضية الفسيفسائية محرس المذخر وموضع أرجل طاولة القرابين وتقع منطقة الهيكل في المربعين ذات الأرقام (٤٤ و٤٥).

الغرفتان الجنوبيتان: وهما على يسار الحنية ويعتقد أنهما كانتا تستعملان لحفظ ملابس الكهنة والهدايا والأدوات التي كانت تستعمل في الطقوس الدينية وتبلغ مساحة الغرفة الشرقية ٣,٥ × ٢م، بينما مساحة الغرفة الغربية حوالي ٣,٥ × ٣م ويتم الوصول ما بين الغرفة الغربية ومنطقة الهيكل بواسطة درجتين تقعان في المربعين (٤٨ و٤٩).

محرس المذخر: يقع على بعد ١,٢٥م غرب الحنية وهو عبارة عن حجر جيري مشذب جداً شبه مربع الشكل تبلغ أبعاده ٨٠ × ٨٦سم وبارتفاع ١٠سم فوق سطح الأرضية الفسيفسائية، على شكل صندوق كانت تحفظ به الأشياء المقدسة، وقد حفر بداخله شكل دائرة كبيرة قطرها ٧٨سم بداخلها دائرة أخرى قطرها ٣٠سم وعمقها يبلغ ١٥سم وحفر أيضاً إطار حول أطراف الدائرة لتثبيت ما يفترض أن يكون غطاءاً لمحرس المذخر (**الشكل ٤**).

لم يعثر بداخل محرس المذخر على موجودات مقدسة، ولكن وبالقرب منه وعلى الأرضية الفسيفسائية عثر على قطعة عظمية مزخرفة يحتمل أن يكون لها علاقة به.

طاولة القرابين: توجد على بعد ٢٥سم غرب محرس المذخر تتكون من أربع قطع حجرية مغروسة في الأرضية الفسيفسائية ويوجد بداخل كل قطعة حجرية حفرة تشكل مكاناً لوضع أحد القوائم الأربع لطاولة القرابين التي توضع عليها الأناجيل والشمعدان.

حاجز منطقة الهيكل: هناك فصل في داخل الكنيسة بين منطقة الهيكل والغرفتين الجنوبيتين المخصصتين لرجال الدين وبين القاعة الرئيسية والمخصصة لعبادة الجمهور، ويحدد الهيكل بواسطة الحاجز المكون من أعمدة قصيرة وألواح رخامية.

لقد عثر أثناء الحفريات في منطقة الهيكل في الكنيسة الغربية على ثلاث قواعد لأعمدة الحاجز ويعتقد أن قاعدة العمود الرابع قد دمرت بفعل لصوص الآثار. ويوجد بين قواعد الأعمدة صف من الحجارة المشذبة جداً والتي تشكل مع قواعد الأعمدة أساسات الحاجز، ويظهر أحد هذه الحجارة بطول ٣,٧٥م على شكل عتبة بداخلها حفرة تثبت المزلاج لإغلاق باب الحاجز عند الضرورة، ويبلغ قطر قواعد الأعمدة في الحاجز حوالي ٤٥سم، وقد عثر على بعد ١٠م شمال الحاجز على حطام عمودين في الردم ويتناسب قياس قطر تلك الأعمدة مع قواعد الأعمدة المذكورة أعلاه.

ومما يؤسف له، أن الجزء الجنوبي من منطقة الهيكل والحاجز وما تحتويه من أرضية فسيفسائية مدمر كلياً بفعل عبث لصوص الآثار.

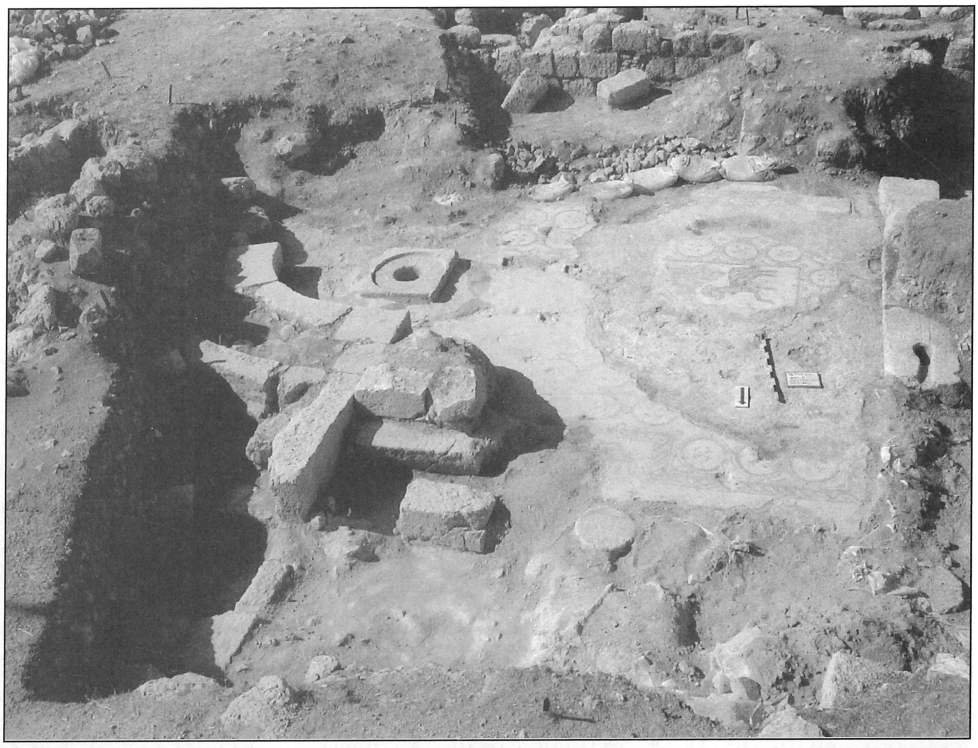

٤. منظر من الشمال لمنطقة الهيكل تظهر فيه الحنية ومحرس المذخر وموضع أرجل طاولة القرابين والحاجز والأرضية الفسيفسائية.

القاعة الرئيسية: لقد كشفت الحفريات الأثرية في المربعات (٢٦و٣٠ و٣٦ و٣٧ و٤٦ و٤٧ و٥٧) أثناء موسمي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ عن معظم العناصر المعمارية في القاعة الرئيسية حيث يبلغ طولها من الحاجز حتى الجدار الغربي ١٨,٥م ويبلغ اتساعها ١١,٦٠م، وتتكون من ثلاثة أروقة تمتد من الشرق إلى الغرب، يبلغ عرض كل رواق جانبي ٣,٢٥م بينما يبلغ عرض الرواق الأوسط (الصحن) ٤,٧٥م.

لم تستعمل الأعمدة في تقسيم الأروقة ورفع السقف الجملوني للكنيسة، بل يوجد صفين من القناطر الحجرية، واكتشفت سبع قناطر حجرية في صف واحد لفصل الرواق الشمالي عن الصحن، بينما تم الكشف في الموسم الأخير (عام ٢٠٠٣) عن قنطرتين على الجهة الجنوبية والمقابلة للصف الأول من القناطر وبهذا أصبح بالإمكان تصور الملامح الرئيسية للقاعة الرئيسية دون أية صعوبة. لقد وجدت هذه القناطر الحجرية لإقامة العقود عليها ولارتكاز دعائم السقف الجملوني للقاعة الرئيسية، إن البعد بين كل قنطرتين في كل صف بعد ثابت ويبلغ ١م، ما عدا البعد ما بين القنطرتين الأولى والثانية من ناحية منطقة الهيكل فيبلغ ١,٧٥م.

ومن الجدير بالذكر أن هناك عدداً من القناطر الحجرية لا تزال تحتفظ بعدد من المداميك وتميل إلى الداخل لتشكل قوس العقد مع القنطرة في الصف المقابل، كما كشفت الحفريات في ركام صحن الكنيسة عن عدد من الأقواس المهدمة بفعل زلزال ٧٤٩م والتي لا تزال حجارتها مرصوصة بجانب بعضها فوق الأرضية.

يعتقد أن المدخل الرئيسي للكنيسة يقع في الجهة الجنوبية ولم تكشف الحفريات عنه بعد، وقد بني هذا الاعتقاد على المقارنة مع الكنيستين البازيليكا الشرقية والصغيرة والوحدة السكنية في المنطقة (D) حيث يقع المدخل الرئيسي لتلك العمائر في الناحية الجنوبية، كما عثر على العتبة السفلى لباب يوجد في الجهة الغربية من القاعة الرئيسية والذي يتم الوصول إليه من الساحة المبلطة، ومن المعروف أن البلاط الحجري قد استخدم في الساحات العامة والممرات ومداخل المباني مما يرجح الاعتقاد بوجود المدخل الرئيسي جنوب هذه الساحة، ويبلغ معدل أبعاد البلاطة الحجرية بـ ٣,٥ × ٢,٥×٣,٥م ويتراوح سمكها ما بين ٣٠×٤٠سم وكانت توضع فوق رصفه من الدبش وتثبت بالملاط.

هناك عدد من الغرف التي تقع شمال وغرب الساحة المبلطة، ويعتقد أن هذه الغرف الملحقة بالكنيسة كانت تستعمل لسكن رجال الدين أثناء استعمال الكنيسة وهي نفس الغرف التي تم ترميمها وإعادة تأهيلها للسكن في العصر العباسي (Khalil and Kareem 2002: 113-116).

لقد رصفت أرضية المنطقة المحاذية للهيكل بالفسيفساء ولكنها قد دمرت بفعل الزلزال تدميراً كاملاً أما باقي الأروقة الثلاثة فقد رصفت أرضيتها بشحف من الحجارة الصغيرة والمثبتة بالملاط.

تعرف تقنية البناء بشكل عام بأنها الاستخدام الفعال للمواد الخام المتوفرة محلياً والإبداع في خلق الفراغات المعمارية التي يمكن للإنسان استخدامها في حياته اليومية، وتشتمل تقنية البناء على الأساسات والجدران والأسقف والأرضيات والنظم المعمارية المتبعة في البناء.

بقيت تقنيات البناء في الفترة البيزنطية ثابتة منذ العصر الروماني، ويعود ذلك إلى اعتماد هذه التقنيات على مواد البناء المتوفرة محلياً وعلى التقاليد المعمارية الموروثة وعلى الأيدي الفنية العاملة في العمارة (مانجو ١٩٩٩: ٩).

وقد استخدم المعماري البيزنطي الحجارة بأنواعها المختلفة كمادة خام أساسية في إنشاء الكنائس في الأردن وفلسطين لتوفر الحجارة كما تدل على ذلك المحاجر الكثيرة والمنتشرة في المنطقة، هذا إلى جانب أن الحجارة تتميز بتحملها للأوزان في الإنشاء ومقاومتها الجيدة للعوامل الطبيعية (Wright 1983: 337).

لقد تم بناء العمائر الدينية والمدنية والصناعية في خربة ياجوز بالحجارة الجيرية، ويبدو أن المصدر الرئيسي لتلك الحجارة هو محلياً حيث وجد أن تكوين الحمّر الجيولوجي وهو عبارة عن طبقة سميكة من الحجر الجيري الصلب الملائم للتحجير متوفر على السطح في مناطق خربة ياجوز وشفا بدران والمضبعة. وتم مسح هذه المناطق حيث سجل ١٩ مقلعاً في المناطق الثلاث والتي استغلت في العصر الروماني المتأخر والعصر البيزنطي، وتختلف هذه المقالع إختلافاً كبيراً من حيث الشكل والحجم (Khalil and Ronza 2005).

أما الجدران الخارجية لكنيسة ياجوز الغربية فقد بنيت بالحجارة الجيرية المشذبة جيداً واختلفت قياسات الحجارة في الجدار الواحد، واستعمل الملاط لملئ الحلول والفراغات بين الحجارة، واستعملت الحجارة المشذبة قليلاً أو غير المشذبة أحياناً في بناء الواجهات الداخلية ولم يهتموا بنوعية هذه الحجارة لأنها كانت تغطى بطبقات عديدة من الملاط، وظهرت جدران الكنيسة الرئيسية من صفين من الحجارة بعرض حوالي ٩٠سم وقد ملئ الفراغ في وسط الجدار بالدبش والمونة.

وتم الكشف في الحفريات عن معظم العناصر المعمارية الرئيسية في كنيسة البازيليكا الغربية في خربة ياجوز مثل الأرضيات ومستوياتها والجدران والأبواب والقناطر الحجرية والأقواس المتهدمة والأبعاد بينها، إلى جانب كميات كبيرة من كسر القرميد الفخاري والذي استعمل في تغطية السقف الجملوني للكنيسة.

يمتاز القرميد الفخاري بأنه خفيف الوزن ويقاوم تسرب المياه والعوامل الجوية الأخرى، وكان يصنع من الصلصال المتوفر بكميات كبيرة ويصبح بعد حرقه على درجات حرارة عالية صلب جداً وذو ألوان جميلة لا تتغير بمرور الزمن، ولذلك استعمل القرميد الفخاري في سقف المباني منذ القرنين الثاني والأول قبل الميلاد وكانت ترتب البلاطات بوضعها جنباً إلى جنب بشكل طولي، بحيث يتم تتبع ميلان السقف الجملوني، وقد استخدم في تثبيتها وإغلاق نقاط الاتصال بين البلاطات مادة الملاط (Adam 1994: 213).

كذلك عثر على كميات كبيرة من كسر القرميد الفخاري في ركام سقف الكنيسة الغربية، ويمكن تمييز نوعين من القرميد الأول ذو أشكال مستوية ويبلغ معدل أبعاد البلاطات ٤٥ × ٣٥سم، ويتراوح سمكها ما بين ٢-٣سم، وهذا النوع الأكثر شيوعاً.

أما الثاني فهو ذو أشكال نصف أسطوانية ويتراوح أقطار البلاطات بين ٧-١٠سم، وقد استخدم هذا النوع لتغطية الفراغات الناتجة عن التقاء زوايا البلاطات من النوع الأول والتي لا يمكن تغطيتها بالأشكال المستوية.

لقد تم تمثيل استخدام القرميد في تغطية سقوف الكنائس والمباني في العصر البيزنطي في الأرضيات الفسيفسائية للكنائس المكتشفة في الأردن فمثلاً الأرضية الفسيفسائية في كنيسة الخارطة في مأدبا والتي تعود إلى القرن السادس الميلادي، ظهر فيها ٢٧ صورة لأسماء المدن والمواقع والكنائس من بينها مدينة عمان (بتشريللو ١٩٩٣: ٩١-٩٢ و٩٦).

بناءاً على ما تم اكتشافه أثناء الحفريات في موقع الكنيسة من عناصر معمارية متنوعة وبالدراسة المقارنة للعديد من الكنائس في الأردن يمكن تصور الملامح الأصلية لكنيسة البازيليكا الغربية في خربة ياجوز دون عناء، حيث أمكن إعادة بناء أو تخيل ثلاثي الأبعاد افتراضي لأجزاء الكنيسة المختلفة (**الشكل ٥**).

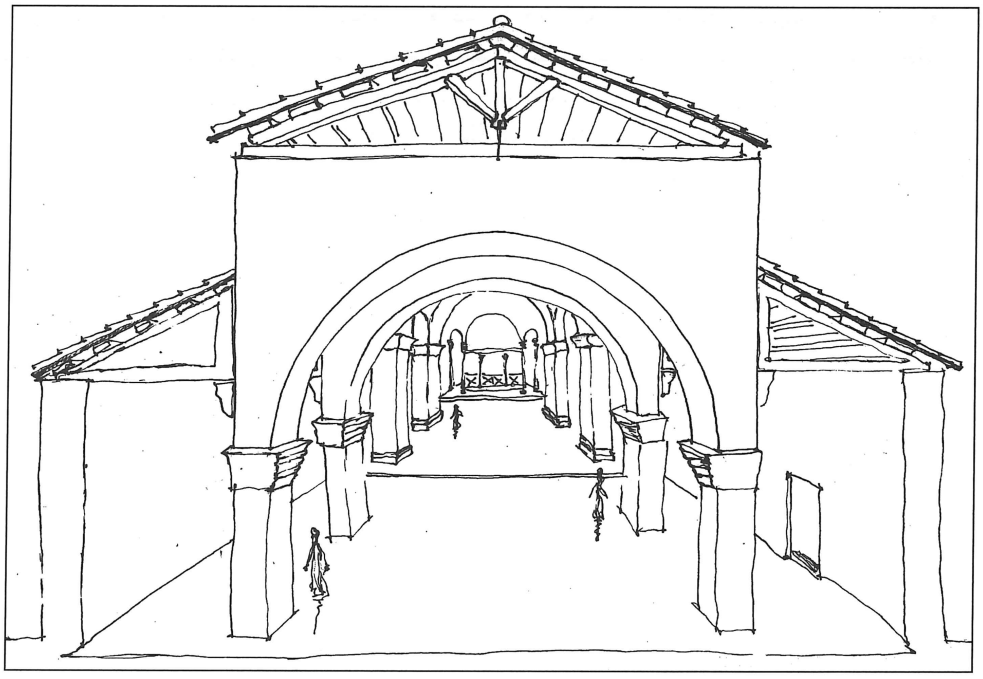

٥. إعادة بناء أفتراضي ثلاثي الأبعاد لكنيسة البازيليكا الغربية في خربة ياجوز.

الأرضيات الفسيفسائية

كشفت الحفريات الأثرية بقايا أرضيات فسيفسائية في منطقة الكنيسة الغربية كالتالي

١- في الغرفة الغربية المحاذية لمنطقة الهيكل من الجنوب الواقعة في المربع (٤٦) عثر على أرضية فسيفسائية ذات مكعبات كبيرة (٢ × ٢ × ٢سم^{٣}) بيضاء اللون بدون أي زخارف وقد دمرت معظم أجزائها بفعل الزلزال عام ٧٤٩م، ما عدا أجزاء بسيطة بالقرب من الجدار الشمالي للغرفة، ويغطي باقي أجزاء الغرفة طبقة من الملاط تحت الأرضية الفسيفسائية.

٢- المنطقة الواقعة ما بين الهيكل وصحن الكنيسة حيث يظهر بقايا أرضية فسيفسائية ملونة ومن الواضح أن الزلزال قد دمرها كلياً بحيث أصبح لا يمكن التعرف على أية معالم للأرضية.

٣- منطقة الهيكل (**الشكل ٤**) وهي أرضية ملونة تقع في المربعين (٤٤ و٤٥) وتشتمل على الألوان البيضاء والحمراء والوردية والخضراء والزرقاء، مكعباتها صغيرة الحجم (١ × ١ × ١سم^{٣}).

ومما يؤسف له أن جزءاً كبيراً من منطقة الهيكل بما فيها قسم كبير من هذه الأرضية الهامة والتي يعتقد أنها كانت تحتوي على نقش كتابي دمره لصوص الآثار.

وقد تبين من خلال دراسة هذه الأجزاء المدمرة أن تقنية رصف الأرضية الفسيفسائية يمكن تلخيصها بالمراحل التالية حيث يتم اولاً وضع طبقة سميكة من الدبش المتوسط والصغير الحجم مخلوطة مع تراب لونه بني مصفر، تليها طبقة من الحصى والتراب المدكوك لتسوية الأرض. ثم وضع طبقة ملاط تأسيسية يبلغ سمكها حوالي ٢سم وطبقة ملاط ثانية لتثبيت وترتيب المكعبات الفسيفسائية فوقها ويبلغ سمكها ١,٥سم ومن ثم المكعبات الفسيفسائية (**الشكل ٦**).

يتكون موضوع العمل الفني الرئيسي في هذه الأرضية الفسيفسائية من كبش يقف تحت شجرة مثمرة ويحيط بهذا العمل إطارين مزخرفين، الإطار الخارجي عبارة عن جدلة على شكل شريط لولبي، أما الإطار الداخلي فهو مكون من حلقات مترابطة مع بعضها البعض على شكل عقدة، ويظهر في وسط كل دائرة من الدوائر صليب تنتهي أطرافه بشكل زهرة ثلاثية الأوراق. ويظهر الكبش بقرنين طويلين معقوفين إلى الخلف وبذنب طويل كثيف نهايته ملتوية وينظر إلى الأمام يقف تحت شجرة مثمرة كثيفة ومتراصة الأوراق في حالة حركة حيث يخطو برجله الأمامية اليمنى إلى الأمام.

لقد ظهر مثالان مشابهان جداً لهذا المشهد، أحدهما في أرضية كنيسة القديس سيرجيوس في أم الرصاص ويعود تاريخها إلى ٥٧٨/٥٨٨م، كبشان متقابلان تحت شجرتين مثمرتين ويحرك كل منهما أحدى يديه ينظران إلى الأمام وبينهما النقش الإهدائي (Piccirillo 1993: 234, fig. 331) أما المثال الآخر فهو في الأرضية الفسيفسائية في كنيسة الرسل في مدينة مأدبا والمؤرخة إلى سنة ٥٧٨م، حيث يشاهد كبشان متقابلان تحت شجرة واحدة في مشهد يشبه ما تم ذكره سابقاً (Ibid: 106, fig. 92).

إن توافق المشهدين في كنيستي مأدبا مع المشهد في كنيسة خربة ياجوز يدعو إلى الاعتقاد أن الجزء المدمر من أرضية كنيسة ياجوز كان يحتوي على كبش آخر ونقش إهدائي.

لقد ظهر رسم الكبش في مشاهد عديدة أخرى في أرضيات كنائس في الأردن وخاصة في مدينة مأدبا فمثلاً يظهر كبشان متقابلان تحت شجرتين مثمرتين أحدهما واقف والآخر راقد، وذلك في الأرضية الفسيفسائية المعروفة بـ "فسيفساء الجنة" (Ibid: fig. 139)، كما يظهر كبش يقف تحت شجرة مثمرة وقد ربط من قرنيه بحبل لونه أحمر في الأرضية الفسيفسائية في كنيسة التعميد الصغيرة والتي تؤرخ إلى ٥٢٦م (Ibid: 118, fig.117)، وكذلك يظهر كبشان متقابلان بينهما وعاء في أرضية كنيسة مريم العذراء وفسيفساء "القصر المحروق" وكلتا الأرضيتين تؤرخان إلى النصف الأول من القرن السادس الميلادي (Ibid: 77, fig.

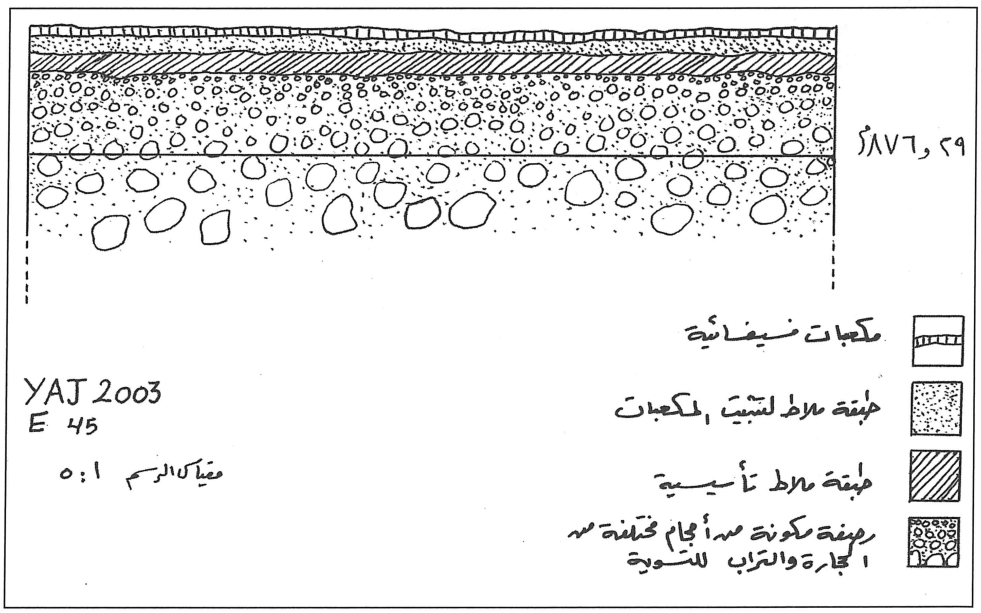

٦. مقطع يبين الطبقات الموجودة تحت الأرضية الفسيفسائية في منطقة الهيكل.

.43, 80)

ومن الجدير بالملاحظة أن معظم الأرضيات الفسيفسائية المذكورة أعلاه بما فيها أرضية الكنيسة الغربية في خربة ياجوز هي أرضيات موجودة في منطقة الهيكل وهي المنطقة المقدسة في الكنيسة، ويمكن الاستدلال على ذلك أن تمثيل الكبش تحت الشجرة المثمرة له دلالات رمزية مقدسة في الديانة المسيحية حيث يمثل "الكبش" رمزاً للتضحية منذ القرن الخامس الميلادي (Urech 1985: 249)، ويرى دارسي اللاهوت برمزية التضحية بالكبش وموت السيد المسيح عليه السلام (Ibid: 249-250).

تاريخ الكنيسة

هناك عدة اعتبارات تجعل الجزم يوضح تاريخ محدد لبناء كنيسة البازيليكا الغربية في خربة ياجوز أمر غير ممكن وذلك بسبب انتشار بناء الكنائس على الطراز البازيليكي في الأردن انتشاراً واسعاً في عمارة الكنيسة المبكرة خاصة خلال الفترة ما بين القرن الرابع - القرن السادس (مانجو ١٩٩٩: ٣٨). وعليه لا فائدة من مقارنة بناء الكنيسة الغربية في ياجوز مع كنائس أخرى معروف تاريخ بناءها في الأردن لأن هناك عشرات الكنائس المبنية على الطراز البازيليكي. كذلك لم يعثر على أي نقش يحدد سنة أو فترة بناء الكنيسة في الأرضية الفسيفسائية. ولم يتم الوصول أثناء الحفريات إلى أساسات الكنيسة لتحديد تاريخ تقريبي اعتماداً على تأريخ الفخار. بالاعتماد على موضوع الأرضية الفسيفسائية في منطقة الهيكل والمتمثل في استخدام رسم الكبش كرمز للتضحية والذي بدأ بالظهور في بداية القرن الخامس الميلادي (Urech 1985: 249)). وعند مقارنة هذا الموضوع مع الأمثلة المشابهة من حيث الشكل والمضمون في كنيسة سيرجيوس في أم الرصاص وكنيسة الرسل في مأدبا واللتان تعودان إلى الربع الأخير من القرن السادس، يمكن القول أن بناء الكنيسة تم خلال القرن السادس الميلادي واستمر استعمالهما حتى زلزال ٧٤٩م.

الخلاصة

استغل سكان خربة ياجوز المصادر الطبيعية المتوفرة لديهم خير استغلال، خاصة وأن النشاط المعماري في بداية العصر البيزنطي قد أنصب بشكل كبير على بناء الكنائس، ولم يكتفي المعماري البيزنطي بالحصول على الحجارة الجيرية الجيدة من المحاجر المنتشرة في الموقع والمناطق المحيطة به من أجل بناء الكنائس الثلاثة بل أعاد استعمال حجارة المعابد الرومانية المهدمة خاصة في بناء كنيسة البازيليكا الشرقية والكنيسة الصغيرة، ويمكن إرجاع السبب في استعمال هذه الحجارة إلى هدم المعابد الرومانية الوثنية في الموقع والرغبة في سرعة إنجاز بناء الكنيستين.

إن اكتشاف ثلاث كنائس في خربة ياجوز ليس بالأمر المستغرب خاصة عندما نعلم أن مدينة جرش تحتوي على ١٢ كنيسة وأن مدينة مأدبا وضواحيها يوجد بها أكثر من ٢٠ كنيسة، ومهما اختلفت الآراء حول تعدد الكنائس في الموقع الواحد فإنه دليل واضح على توفر مصادر مالية لتمويل مثل هذه المشاريع المعمارية الضخمة، ويشار في هذا المجال إلى تضافر جهود ثلاث جهات في تمويل بناء الكنائس في الفترة البيزنطية المبكرة وهي الدولة والكنيسة المحلية والمتبرعون (مانجو ١٩٩٩: ١٨).

يستدل من الإنجازات المعمارية الدينية والمدنية واللقى المكتشفة في الموقع على الازدهار الاقتصادي الذي عاشته خربة ياجوز خاصة خلال العصر البيزنطي. كما دلت المكتشفات ذات العلاقة بالتصنيع الغذائي مثل طواحين الحبوب البازلتية ومعاصر العنب والزيتون على أن هناك مساحات زراعية شاسعة مخصصة لإنتاج الحبوب وكروم العنب والزيتون، مما يؤكد أن خربة ياجوز كانت من المراكز الريفية الهامة خلال العصر البيزنطي.

لطفي خليل
الجامعة الأردنية

المراجع

بتشريللو، ميشيل
١٩٩٣ **مادبا، كنائس وفسيفساء**. ترجمة ميشيل صباح وأخرون. القدس: معهد الأباء الفرنسيسكان.

مانجو، سيريل
١٩٩٩ **العمارة البيزنطية**. ترجمة رندة قاقيش. دمشق: دار مشرق - مغرب للخدمات الثقافية والطباعة والنشر.

سليمان، امصيطف
١٩٩٩ نتائج أعمال مشروع الحفريات الأثرية في خربة ياجوز للأعوام ١٩٩٤-١٩٩٦. **حولية دائرة الآثار العامة** ٤٣: ٥-٢٥.

Adam, J.
1994 *Roman Building Materials and Techniques*. London: Bats Ford Ltd.

Conder, C.
1889 *The Survey of Eastern Palestine*. London: Palestine Exploration Fund.

Dalman, G.
1911 Bei Ben Ummonitern and Jurud nach Jerusalem. *Palastinajahrbuch* 31: 135-138.

Ferguson, E.
1990 Basilica. Pp. 141-146 in *Encyclopedia of Early Christianity*. New York and London: Garland Publishing Inc.

Fletcher, B.
1992 *A History of Architecture,* Delhi-India: Butter worths.

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والتقدير إلى السيدة ماريا ايلينا رونزا لقيامها برسم إعادة البناء الافتراضي للكنيسة (الشكل ٥)

Glueck, N.
1937/1939 Exploration in Eastern Palestine, III. *Annual of the American Schools of Oriental Research*: 14-18.
Khalil, L.
1998 University of Jordan Excavation at Khirbet Yajuz. *ADAJ* 42: 457-472.
2001a Glass Vessels and Miniature Jugs form Khirbet Yajuz Cemetery, Jordan. *Levant 33*:127-138.
2001b Pottery Candlesticks form the Byzantine Period at Yajuz. *SHAJ 7*: 617-629.
Khalil, L. and Al-Nammari, F.
2000 Two Large Wine Presses at Khirbet Yajuz, Jordan. *BASOR* 318: 41-57.
Khalil, L. and Kareem, J.
2002 Abbasid Pottery form Area E at Khirbat Yajuz, Jordan. *Levant 34*: 111-150.
Khalil. L. and Ronza, M.E.
2005 Roman Quarries at Khirbet Yajuz and Surrounding Areas: Archaeological Evidence. *Forthcoming issue of Levant.*
McCown, C.
1930 Spring Field Trip. *BASOR* 39: 10-27.
Merril, S.
1881 *East of the Jordan, A Record of Travel and Observation in the Countries of Moab, Gilead and Bashar.* London: Richard Bently and Son.
Oliphant, L.
1880 *The Land of Gilead with Excursions in the Lebanon.* Edinburgh and London: William Blackwood and Sons.
Palumbo, G. (ed.)
1994 *Jordan Antiquities Database and Information System.* Amman: Department of Antiquities and American Center of Oriental Research.
Parker, S.
1997 The 1994 Season of the Roman 'Aqaba Project. *BASOR 305*: 19-44.
Piccirillo, M.
1985 Rural Settlements in Byzantine Jordan. Pp. 257-262 in A. Hadidi (ed.), *SHAJ 2*: 251-262. Amman: Department of Antiquities of Jordan.
1993 *The Mosaics of Jordan.* Amman: American Center of Oriental Research.
Russel, K.
1985 The Earthquake Chronology of Palestine and Northwest Arabia from the Second through the Mid-Eight Centuries AD. *BASOR* 260: 37-59.
Schumacher, G.
1986 *Across the Jordan: Being an Exploration and Survey of Part of Huaran and Julan.* London: Richard Bently and Son.
Smith, R.H.
1973 *Pella of the Decapolis I, The 1967 Season of the Season of the College of Wooster Expedition to Pella.* Wooster, Ohio: The College of Wooster.
Suleiman, E.
1996 A Short Note on the Excavation of Yajuz, 1994-1995. *ADAJ* 40: 457-462.
Thompson, H.
1972 A Tomb at Khirbet Yajuz. *ADAJ* 17: 37-41.
Urech, E.
1985 Lexikon Christlicher Symbole. Germany: Christliche Verlagsanstalt, Konstanz.
Wright, G.R.
1985 *Ancient Buildings in Syria and Palestine*, Vol.I. Brill, Leiden-Koln.
Zayadine, F. (ed.)
1986 *Jerash Archaeoloical Project*, 1981-1983,Vol. I. Amman: Department of Antiquities of Jordan.

تواصل حركة بناء المساجد في العصر الأيوبي في ضوء المساجد الباقية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية

(دراسة أثرية مقارنة)

عبد العزيز صلاح سالم

تكمن أهمية موضوع تواصل حركة بناء المساجد في العصر الأيوبي في ضوء المساجد الباقية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية، دراسة أثرية مقارنة في محاولة لتوضيح الغموض المحيط باستمرارية بناء المساجد في العصر الأيوبي، ورغم أن الشواهد الأثرية الباقية تؤكد تواصل حركة بناء المساجد في تلك الفترة الهامة من تاريخ الدولة العربية الإسلامية إلا أن بعض الدراسات والأبحاث السابقة تشير إلى توقف بناء المساجد خلال هذا العصر، واستبدالها بإنشاء المدارس التي قامت بنفس الدور الديني والتعليمي معا. ولذا تقوم الدراسة بتتبع المساجد الأثرية الباقية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية مثل مسجد عجلون، مسجد ريمون، مسجد كفرنجة، مسجد إربد، مسجد طبقة فحل ومسجدي حبراص وبيت راس، ومحاولة حصر أجزائها الأيوبية، والتعرف على ظروف إنشائها، وتحليل عناصرها المعمارية والفنية، وعقد الدراسة المقارنة لتحديد الأصول الأيوبية المشتركة في تلك المساجد، بالإضافة إلى تكوين صورة شبه متكاملة حول تخطيط المسجد في العصر الأيوبي، ومواد وأسلوب بنائه، والتجديدات والتغييرات التي طرأت عليه خلال العصرين المملوكي والعثماني.

كما تتناول الدراسة بالشرح والتحليل النقوش الكتابية الموجودة في المساجد الأثرية الباقية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية، للاستفادة منها في تحديد تواريخ الإضافات المعمارية في هذه الأبنية واستكمال رسم مخططاتها ومتابعة تطورها الأثري والفني، وتصحيح بعض من القراءات السابقة وذلك من خلال ربطها بنقوش كتابية أخرى مرتبطة بنفس الشخصيات، مع الاستفادة من بعض كتب التراجم والمصادر التاريخية في تتبع تراجم الشخصيات المتعلقة بالمساجد الأيوبية في منطقة شمال الأردن.[1]

وإذا كان الشائع أن الدولة الأيوبية دولة عسكرية، عُنيت في المقام الأول ببناء العمارة الحربية والاستحكامات العسكرية، فإنها أيضا أقامت الأضرحة لأولياء الله الصالحين الذين ساعدوها على نشر الوعي الديني، كما اهتمت ببناء المدارس[2] التي ساعدت على نشر مذهبها السني بدلا من مذهب الفاطمين الشيعي (ماهر ١٩٧٦: ٩). وعلى الرغم من أن بعض الدراسات تشير إلى اختفاء عنصر المسجد كمنشأة معمارية ودينية خلال العصر الأيوبي، وأنه استعاض عن بناء المساجد بتأسيس المدارس كمنشآت دينية تعليمية تجمع بين وظيفة المسجد الدينية، ووظيفة المدرسة التعليمية (El-Basha 1999: 39). وإذا اتفقنا وصحة هذا الرأي خاصة مع ظهور المدارس في مصر[3] ذات الطراز المعماري الخاص سواء المكونة من إيوانين كما يتضح في المدرسة الكاملية ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، أو الجمع بين زوجين بكل منهما إيوانان كما في المدرسة الصالحية، ثم تعددها في العصر الأيوبي بحيث آربت على عشرين مدرسة في مدينة القاهرة (الباشا ١٩٩٩: ٣١٤)[4] فإنه ينبغي الإشارة إلى الظروف السياسية والحربية التي ساعدت على التوسع في تشييد المنشآت الدينية التعليمية وبخاصة في القاهرة، وربما يرجع سبب ذلك إلى أن القاهرة كانت مزدانة بالعديد من المساجد الجامعة الكبيرة، كجامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط، وجامع العسكر بمدينة العسكر (Shiha 2001: 59-80) وجامع أحمد بن طولون بمدينة القطائع (Garaudy 1985: 148-155) وجامعي الأزهر والحاكم بمدينة القاهرة (Stierlin 2002: 139-157)، وغيرها من المساجد

---

١. قام الباحث بالزيارات الميدانية للمساجد الباقية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية مثل مسجد عجلون وكفرنجه وريمون وجرش وإربد وبيت راس وحبراص وسحم وأم قيس وغيرها من الأماكن لمحاولة الوقوف على البقايا الأيوبية وحصرها وتحديد الإضافات التي طرأت عليها وذلك خلال الفترات التالية: من ٢٥ إلى ٣٠ ايار، ومن ١٧ إلى ٢٠ حزيران ٢٠٠٣م، ومن ٩ إلى ١٥ تموز ٢٠٠٤م، والفترة من ٣ إلى ١٠ آب ٢٠٠٥م.

٢. استحدث السلاجقة نظام المدارس، وهي منشآت علمية سنية لمحاربة المذهب الإسماعيلي الشيعي، وتهيئة العقول لفكرة الجهاد ضد الصليبيين، وصار على هذه السياسة نور الدين محمود زنكي في الشام ثم صلاح الدين الأيوبي في مصر للقضاء على الدعوة الفاطمية.

٣. عرفت مدينة الأسكندرية نظام المدارس السنية منذ أواخر أيام الفاطميين قبل قدوم صلاح الدين إلى مصر، وأول مدرسة أنشئت في الاسكندرية هي المدرسة الحافظية التي أسسها رضوان بن ولخشي وزير الخليفة الفاطمي ٥٣٣هـ، وأسند التدريس فيها إلى الفقيه المالكي أبي الطاهر بن عوف، وفي سنة ٥٤٤هـ بنى العادل بن السلار وزير الخليفة الظافر الفاطمي مدرسة سنية أخري، وأسند التدريس فيها إلى الفقيه الشافعي أبي الطاهر أحمد السلفي (العبادي١٩٩٥: ٤١).

٤. تحولت المدرسة ذات الأربعة أواوين إلى الطراز المتعامد في العصر المملوكي الذي ظهر في أول الأمر في المدرسة الظاهرية (الباشا ١٩٩٩: ٣١٤).

التي رأي الأيوبيون أنها كافية لتأدية الغرض الديني حينذاك، في حين دعت الحاجة السياسية والتعليمية إلى تشييد المدارس كمنشآت دينية تعليمية تهدف إلى تحويل مذهب مصر من مذهب الفاطمين الشيعي إلى المذهب الشافعي السني (المقريزي ٢٠٠١: ٣٣٢-٣٣٣) [٥]، كما كان انشغال الأيوبيين بالجهاد ضد الصليبين سببا آخر في التوسع في بناء الأبنية الدفاعية والتحصينية العسكرية في تلك الفترة الهامة من تاريخ الأمة الإسلامية (نويصر ١٩٩٦: ١) [٦].

ولا يمكن التسليم بالقول بتوقف حركة بناء المساجد خلال العصر الأيوبي خصوصا في بلاد الشام، كمنشأة دينية واجتماعية وتعليمية لها دورها المعروف في الإسلام، فلم تؤد سياسة سلاطين بني أيوب بدءاً من عصر الناصر صلاح الدين (ابن شداد ١٩٦٢: ٢٥) [٧] إلى آخر سلاطين بني أيوب، إلى إهمال بناء المساجد، كما لم يَعمّد الأيوبيون إلى توقف حركتها كمنشآت دينية وتعليمية هامة (الهرني ٢٠٠٤: ٥٦) [٨]، وفقا لما ورد من إشارات تاريخية ونقوش أثرية تفيد تعمير الأيوبيين للمساجد في منطقة شمال المملكة الأردنية الهاشمية، بالإضافة إلى تشييدهم بعض من المساجد التي لا تزال باقية شاهدة على اهتمام بني أيوب ومواصلتهم لحركة بناء المساجد، وموضحة بجلاء سمات الطراز المعماري والفني لعمارة المساجد في هذا العصر. وتشير المصادر التاريخية إلى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب (ابن تغري بردي ١٩٩٧: ١٦-١٧) [٩] قد أمر بإنشاء المسجد الجامع في مدينة عجلون (الدلالعة ١٩٩٧: ٤) [١٠] في سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م، الذي يعد من أقدم المساجد الأيوبية الجامعة الباقية في بلاد الشام، ولقد نالت مدينة عجلون (غوانمة ١٩٨٦: ٤٥) [١١] اهتمام الخلفاء والسلاطين منذ

١. النص التأسيسي في مسجد عجلون.

العصور الإسلامية الأولى حتى أصبحت من المدن الهامة في منطقة الأردن، ثم ازدادت أهميتها خلال العصر الأيوبي (الرشدان ١٩٩٨: ٤٤) [١٢]. وبعد أن استقرت عجلون (المقريزي ١٩٩٧: ٤٢٧) [١٣] في يد الملك الصالح نجم الدين أيوب (النويري ١٩٩٢: ٣١٢) [١٤]، أمر ببناء مسجدها الجامع (غوانمة ١٩٨٦: ٤٥)، كما يثبت ذلك اللوحة التأسيسية المثبتة (الشكل ١) فوق عتب المدخل الشمالي الحالي للمسجد، ويمكن قراءة نقوشها الكتابية على النحو التالي

١- بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا

٢- الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين هذا ما أنشأ وأعمر العبد الفقير إلى رحمته الراجي عفوه وغفرانه

---

٥. سلك الناصر صلاح الدين الأيوبي لتحقيق ذلك عدة طرق منها نقل الصلاة الجامعة من معقل الشيعة بجامع الأزهر إلى جامع الحاكم بأمر الله، كما أبطل في سنة خمس وستين وخمسمائه الأذان "بحي على خير العمل محمد وعلى خير البشر، ثم أمر أن يذكر في خطبة يوم الجمعة الخلفاء الراشدون، ثم عزل صلاح الدين قضاة مصر من الشيعة وولى قاضي القضاة صدر الدين عين الملك بن درباس الهذباني الشافعي وجعل إليه الحكم في جميع بلاد مصر.

٦. وجهت الدولة الأيوبية كل قوتها إلى النواحي الحربية حيث كان هناك صراع دائم بينها وبين الصليبيين في الشام، وعلى الرغم من ضراوة القتال الذي دار في هذه الفترة إلا أن ذلك لم يمنع الاتصال الحضاري بين الصليبيين والمسلمين وذلك الاتصال الذي كان له أثره الواضح على عمارة وفنون الشرق الأوسط (نويصر ١٩٩٦: ١).

٧. هو السلطان الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مراون، أقيم في وزارة الخليفة العاضد بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه في يوم الثلاثاء الخامس عشر من جمادي الأولى سنة أربع وستين وخمسمائه، ولقب بالملك الناصر (ابن شداد ١٩٦٢: ٢٥)، (ابن واصل ١٩٥٣: ٣-٥٠).

٨. من ذلك أن الناصر صلاح الدين الأيوبي استهل عهده بعد فتح بيت المقدس بعملين جليلين هما إنشاء المدارس والعمل على تزويد المسجد الأقصى بالكتب العلمية.

٩. هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن الأمير نجم الدين أيوب، مات وهو على المنصورة في ليلة النصف من شعبان، فأخفت زوجته أم خليل شجر الدر موته خوفا على المسلمين إلى أن حضر ولده المعظم توران شاه من كيفا.

١٠. عجلون تعني الاستدارة، والناظر إلى قمم جبال عجلون يرى أن كثيراً منها يأخذ شكلا مستديراً، كما تعني أيضا اسم صغير البقر (عجل) والواو والنون للتصغير على الطريقة الآرامية. ومن الأسباب التي جعلت بعض المؤرخين يطلقون عليها اسم عجلون هو وجود راهب اسمه عجلون كان يسكن في دير قديم مكان القلعة فسميت القلعة باسمه ثم المدينة ثم انتقلت إلى المناطق المجاورة لمدينة عجلون. ولقد انطلق منها صلاح الدين الأيوبي في كل هجماته ضد الصليبين.

١١. عجلون: اسم علم، فأحد ملوك مؤاب اسمه عجلون، وقد حارب هذا الملك الإسرائيليين وانتصر عليهم وخضعوا له مدة ثمانية عشر عاما. وتقع مدينة عجلون في أحضان منطقة جبلية غير بعيدة عن قمة جبل عوف وتبعد مدينة عجلون عن عمان مسافة ٧٣كم.

١٢. في عام ٦٢٨هـ/١٢٢٩م، تشكلت إمارة الكرك الأيوبية المستقلة بزعامة الملك الناصر داود، وكانت تشمل كلا من الكرك، السلط، عجلون، البلقاء، الأغوار، نابلس، القدس، الخليل وبيت جبريل، كما أصبحت عمان إحدى مدن الكرك الأيوبية.

١٣. كانت مدينة عجلون تحت حكم السلطان الأيوبي الملك الناصر داود ضمن إمارة الكرك الأيوبية، وظلت كذلك حتى أواخر سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٦م، حيث أتى سيف الدين على بن قليج صاحب قلعتها إلى دمشق بعد أن شق عصا الطاعة على الناصر داود، وأعلن دخوله في طاعة الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، فسلم القلعة لنوابه، وبذلك تسلم الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة أربع وأربعين وستماية عجلون بوصية صاحبها سيف الدين بن قليج عند موته، عندئذ رتب الملك الصالح بقلعة عجلون الأمير علاء الدين ايدكين بن عبد الله البندقدار الصالحي.

١٤. تذكر حوادث سنة ٦٤٣هـ وصول سيف الدين بن قليج من عجلون منفصلا عن خدمة الملك الناصر داود، وأوصى بعجلون وما له بها من الأموال للملك الصالح، ونزل بدمشق بدار فلوس.

٣- عمر بن دعماش بن يوسف الحميدي الملكي الصالحي النجمي في أيام مولانا السلطان الملك الصالح أبو المكارم نجم الدنيا والدين أيوب بن

٤- السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل[١٥] أبو بكر بن أيوب خليل [١٦] أمير المؤمنين جمع الله له خير الدنيا والآخرة

٥- وذلك في العشر الأخير من شهر جماد الأخير المبارك سنة خمس وأربعين وستماية أثابه الله تعالى[١٧].

ويقع هذا الجامع في منتصف مدينة عجلون الحالية على يسار الصاعد إلى قلعة عجلون، ويتبع تخطيط الجامع النظام القديم للمساجد الجامعة، ويتكون من بيت للصلاة وصحن مستطيل يدور حوله ثلاث مجنبات إلى جهاته الشرقية والجنوبية والشمالية، ومدخله الرئيسي يقع في الجهة الشرقية (غوانمة ١٩٧٩: ١٧٥)[١٨].

وتتكون الواجهات الخارجية لمسجد عجلون من ثلاثة واجهات حرة، أما الرابعة فملاصقة للأبنية الحديثة، وتشتمل الواجهة الشمالية الآن على محلات تجارية (**الشكل ٢أ، ٢ب**)، أما الواجهة الجنوبية فتشتمل على حائط خالي من الزخرفة فتح فيه باب يؤدي إلى دورات مياه حديثة، ويفتح الآن على سوق بجوار المسجد (**الشكل ٣**)، والواجهة الغربية ملاصقة لأبنية حديثة (**الشكل ٤**). أما الواجهة الرئيسية وهي الواجهة الشرقية فتشتمل على مدخل حديث وعدد من المخازن التجارية التي يعلوها مكاتب هيئة الأوقاف في المملكة الأردنية الهاشمية (**الشكل ٥**)، وهذا المدخل يفضي إلى ردهة تؤدي إلى الصحن المكشوف الذي ينتهي إلى ثلاثة أبواب أثرية أوسعها أوسطها[١٩]. كما يعتبر الباب الأوسط المدخل الرئيسي لبيت الصلاة، ويعلوه عقد على شكل حذوة الفرس ويرتفع هذا

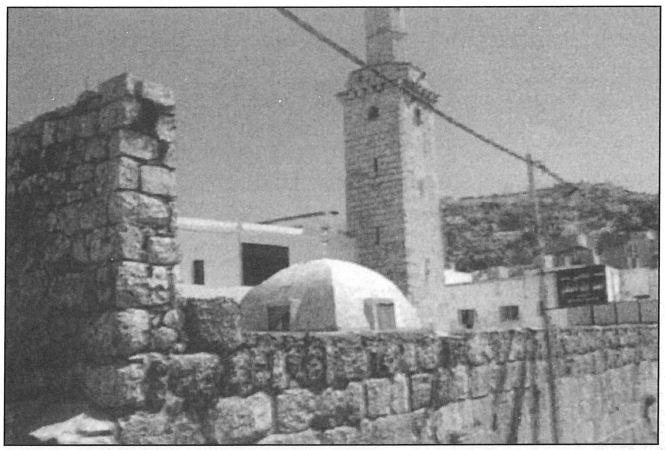

٣. الواجهة الجنوبية لمسجد عجلون.

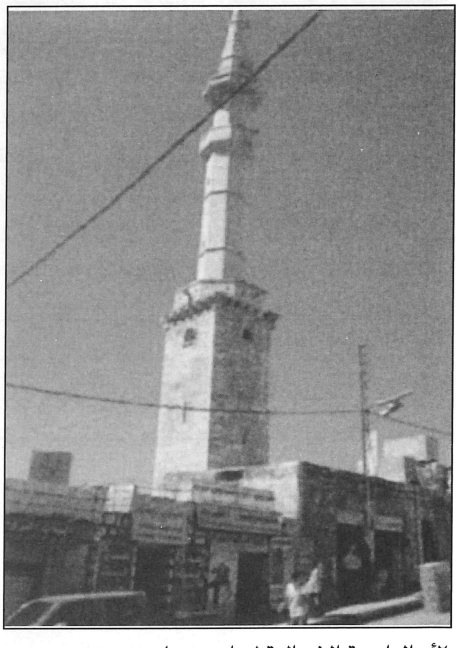

٢أ. الواجهة الشمالية لجامع عجلون.

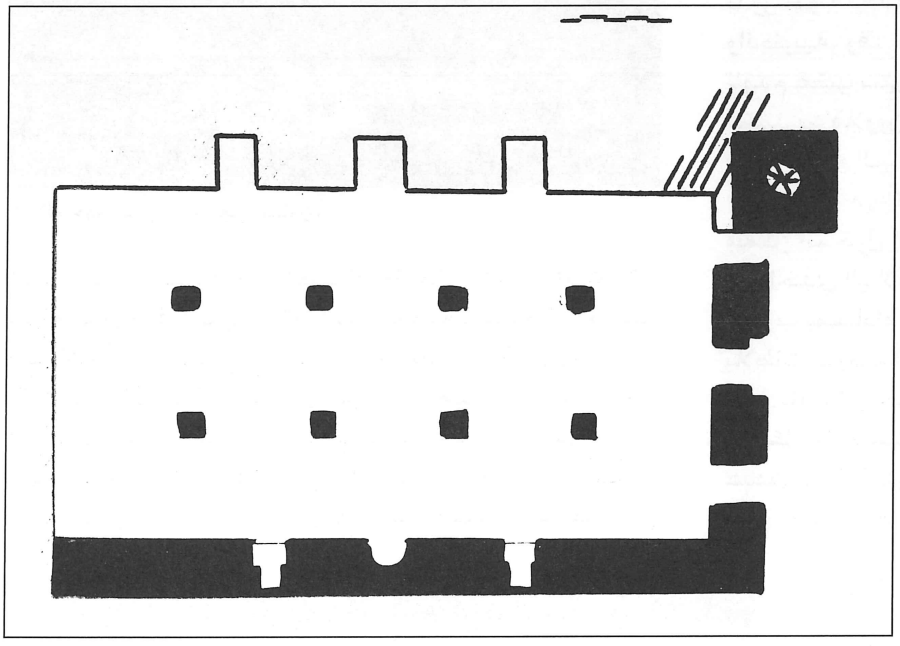

٢ب. مخطط مسجد عجلون.

١٥. هو السلطان الملك العادل أبو بكر بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن الأمير نجم الدين أيوب، مات الملك العادل في يوم الخميس سابع جمادي الآخرة سنة خمس عشرة وستماية للهجرة (ابن واصل ١٩٥٣: ٣١٣) (ابن تغري بردي ١٩٣٠: ٢-٣١) (المقريزي ٢٣٦).

١٦. خليل أمير المؤمنين: عرف هذا اللقب في مصر منذ عهد الدولة الفاطمية ثم استعمله الملوك الأيوبيون، فاستعمله صلاح الدين، فبعد أن خطب للعباسيين أرسل إليه الخليفة المستضئ الخلع والأولوية ولقبه بخليل، وكان الملك العادل يستعمله في سلطنة صلاح الدين ولما تسلطن في سنة ٦٠٤هـ أرسل إليه الخليفة العباسي الناصر يقلده جميع البلاد التي فتحها ويخاطبه "بشاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين"، وأطلق اللقب على الملك الصالح نجم الدين أيوب وابنه من شجر الدر "خليل"، كما أطلق هذا اللقب بصفة دائمة على أولاد الملوك في عهد المماليك (الباشا ١٩٥٧: ٢٠٠).

١٧. يذكر بن واصل أن سنة خمس وأربعين وستماية دخلت والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بالشام ونائبه بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو علي بن محمد بن أبي على.

١٨. تعرض هذا المدخل للهدم سنة ٧٢٨هـ فأعاد الملك الناصر محمد بن قلاوون المدخل.

١٩. الثابت أن هذه الواجهة قد تعرضت للهدم مرتين الأولي سنة ٧٢٨هـ وأعادها الملك الناصر محمد بن قلاوون وجدد الباب الرئيس لها، أما المرة الثانية فقد تمت في العصر الحديث حيث ازيلت الأجزاء القديمة وحل محلها الأبنية القائمة.

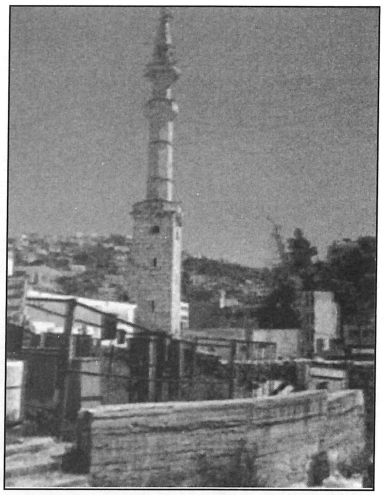

٤. الواجهة الغربية لمسجد عجلون.

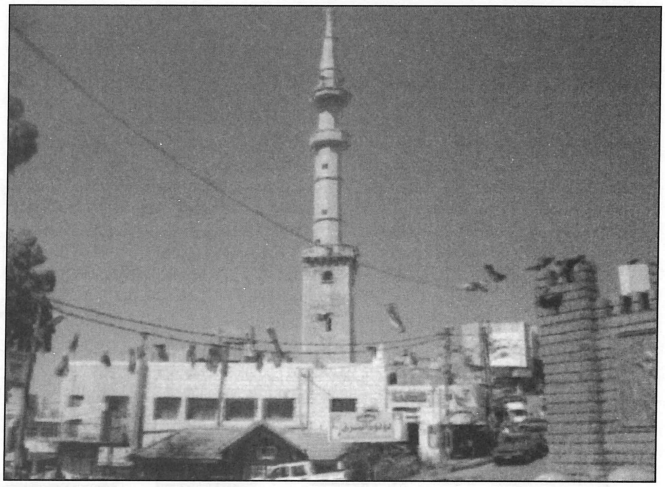

٥. الواجهة الشرقية لمسجد عجلون.

المدخل عن أرضية بيت الصلاة بمقدار ١٠سم (**الشكل** ٦)، ويبلغ طول هذا الباب ٢,٨م، أما عرضه فيبلغ ١,٦م، أما البابان الآخران فيقعان إلى شمال هذا المدخل وإلى جنوبه، وكلاهما على شكل مستطيل يعلوه عتب مستقيم. أما الباب الشمالي فيبلغ ارتفاعه ٣,٧٥م وعرضه ١,٤م بعمق ٢,٢ م، ولهذا المدخل عتبة خارجية من الحجارة بعلو ١٠سم تتساوى مع صحن بيت الصلاة، ويحمل هذا الباب فوق عتبه المستقيم

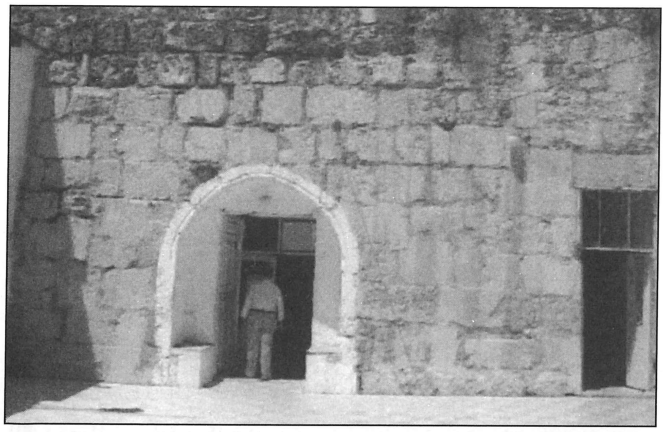

٦. المدخل الرئيسي لمسجد عجلون.

النص التأسيسي على حجر طوله ١,٢٨م وعرضه ٦٠ سم. أما الباب الجنوبي فطوله ٢,٧م، وعرضه ١,٦٣م بعمق ٢,١م يعلوه عقد متجاوز على شكل حذوة الفرس، ويرتفع عن أرضية بيت الصلاة ٣٣سم خمس درجات، ويفضي هذا الباب إلى غرفة صغيرة ملاصقة للجدار الجنوبي من المسجد، كما يوجد في هذه الغرفة باب آخر في الجهة الجنوبية يؤدي إلى خارج المسجد وباب آخر يؤدي إلى غرفة من الجهة الشرقية لها باب يفضي إلى الشارع العام. ويتألف صحن المسجد من مستطيل يدور حوله ثلاث مجنبات إلى جهاته الشرقية والشمالية والجنوبية. وقد تعرضت المجنبة الشرقية والجنوبية والميضأة للهدم عقب سيل سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، وأعاد تجديده الناصر محمد بن قلاوون (غوانمة ١٩٨٦: ٤٥-٥٠).

أما بيت الصلاة فهو مستطيل الشكل يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ٢٧,٨ م وعرضه من الشمال إلى الجنوب ١٤,٨م ويمكن الدخول إليه من ثلاثة أبواب حيث يؤدي كل باب منها إلى إحدى البلاطات الثلاثة الممتدة عرضا من الشرق إلى الغرب بمحاذاة جدار القبلة. ويتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات عرضية متوازية مع جدار القبلة، حيث تنقسم هذه البلاطات إلى خمسة عشر اسطوانة تعلوها قبب متقاطعة (**الشكل** ٧)، فيما بينها صفوف من الدعائم المربعة الضخمة عددها ثمانية طول ضلع الواحدة ٨٠سم وارتفاعها نحو مترين تشكل صفوفا موازية لجدار القبلة، ذات عقود مدببة (**الشكل**

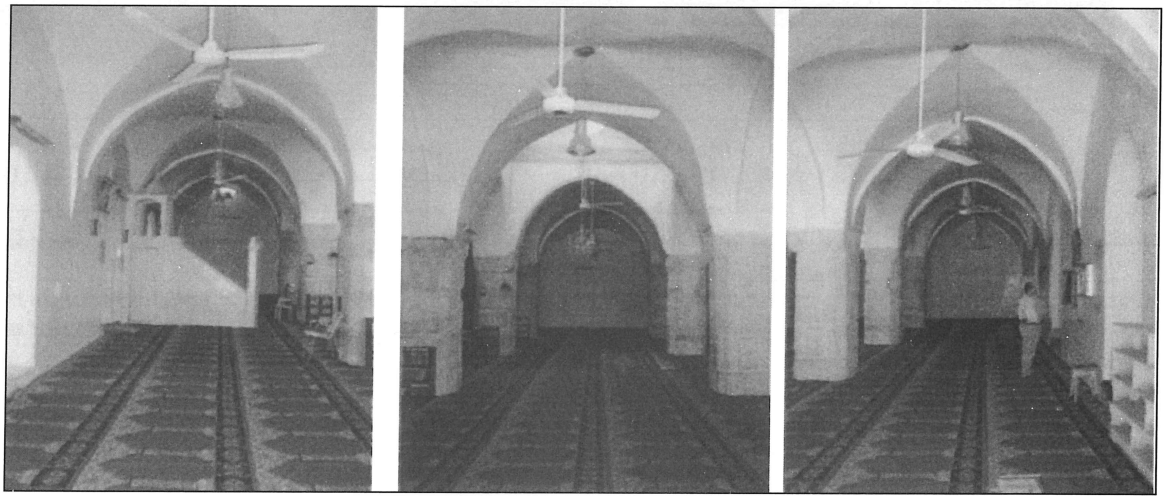

٧. التقسيمات الداخلية لمسجد عجلون.

٨)، وترتفع أرجل هذه العقود عن الأرض بمقدار ٤,٦٥م، ويلاحظ أن العقود الواقعة في الجهة الشرقية والغربية من البلاطات الثلاثة أكثر اتساعا من العقود الثلاثة الوسطى، كما يستند العقد الأخير في كل الجهات الأربعة على دعامة ملتصقة بالجدار. وتتصدر بلاطة المحراب قبة مربعة مضلعة ترتكز على مقرنصات قائمة في أركان الدعائم الضخمة التي تكون قاعدة القبة (**الشكل ٩**)، ويفتح في رقبة القبة أربع نوافذ صغيرة، ويشغل رقبة القبة إفريز من الزخارف النباتية تتكون

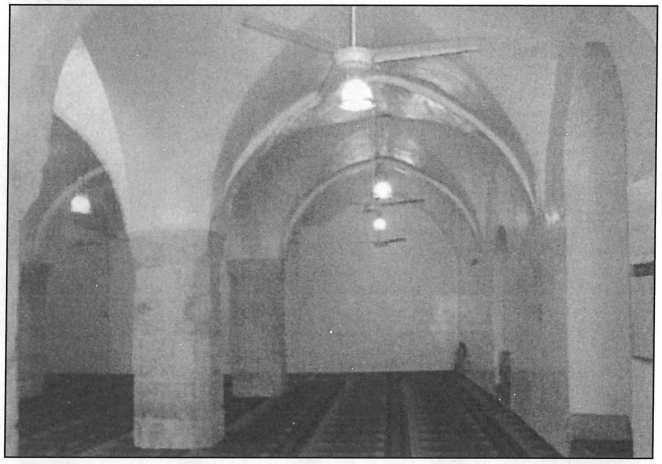

٨. نظام العقود المتبع داخل مسجد عجلون.

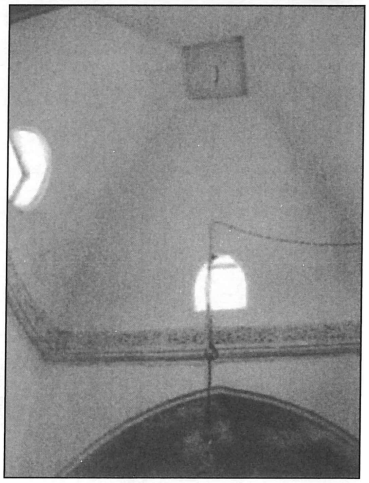

٩. القبة من الداخل.

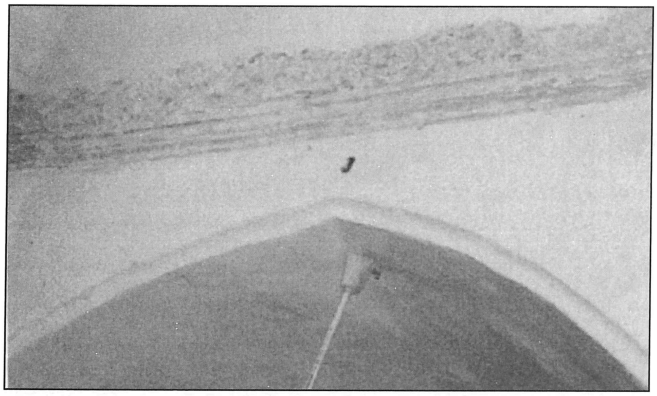

١٠. الزخارف النباتية الموجودة على القبة.

من فروع نباتية وأوراق ودوائر تحيط بصرر وردية ذات أشكال جميلة (**الشكل ١٠**). كما يتوسط جدار القبلة المحراب وهو مجوف يبلغ طوله ٢,٩م، وعرضه ١,٧٥م، وعمق تجويفه ١,٢م، ويرتكز على عمودين صغيرين طولهما ١,٨٥م، ويتوج كل منهما تاج تزينه زخارف هندسية بسيطة الشكل (غوانمة ١٩٨٦: ١٩-٢٠) (**الشكل ١١**).

ويتشابه مسجد ريمون القديم الذي يقع في وسط بلدة ريمون، الواقعة بين مدينتي جرش وعجلون، سواء في تخطيطه أو في بعض عناصره المعمارية مع مسجد عجلون مما يؤكد عودة أصوله المعمارية الأولى إلى العصر الأيوبي (**الشكل ١٢أ**،

١١. تاجية أحد عمودي المحراب.

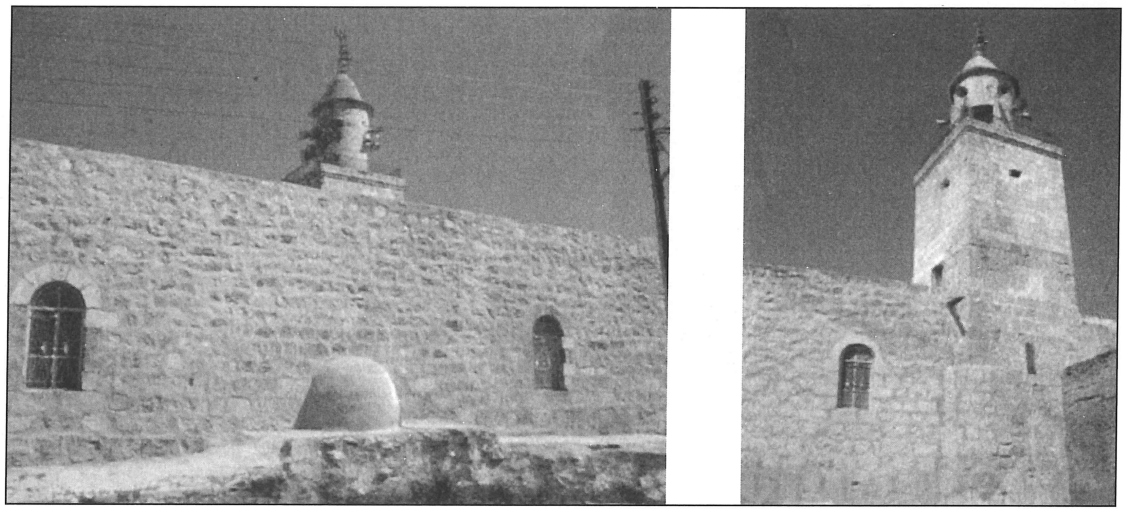

١٢أ. مسجد ريمون.

١٢ب)، حيث يحتوي على بيت للصلاة ومئذنة، وبيت الصلاة مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع، ويبلغ طول ضلعه الغربي ١٤,٧م، والجنوبي ١٧,٣م أما طول ضلعه الشرقي ١٧م، والشمالي ١٩م. وسماكة الجدران تتراوح من متر في الضلعين الشرقي والجنوبي إلى مترين في الضلع الشمالي. ومدخل بيت الصلاة في الجهة الشمالية في مواجهة جدار القبلة والمحراب، وهو مدخل مزدوج بعقود مدببة، فالخارجي عرضه ٢,٤٥م، وارتفاعه ٣,٦٥م أما الداخلي فعرضه ١,٥٥م، وطوله ٢,٦٥م. كما يتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات ممتدة من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، وتنقسم البلاطات الثلاثة في بيت الصلاة إلى ست أساطين، وتعلو هذه الأساطين أقبية متقاطعة، وبيت الصلاة محمول على اثنتي عشر دعامة، عشرة منها قائمة في الجدران الأربعة، وتوجد الدعامتان الباقيتان في وسط بيت الصلاة. ويفتح في المسجد ست نوافذ في الجهات الغربية والجنوبية والشرقية، اثنتان في كل جهة، وتنتهي النافذتان القبليتان بعقد مدبب لكل منهما، ويقع المحراب في منتصف جدار القبلة في مواجهة المدخل الرئيسي (**الشكل ١٣**)، ولا يوجد في المسجد قبة للمحراب كما هو الحال في المساجد الأيوبية (الدلالعة ١٩٩٧: ٤٩).

كما يتشابه تخطيط مسجد إربد الكائن في المنطقة القديمة من مدينة إربد (**الشكل ١٤أ، ١٤ب**)، مع مسجدي

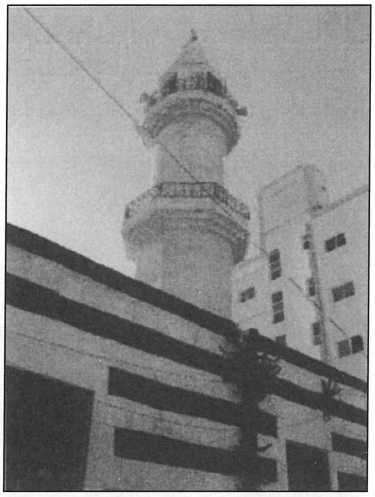

١٤أ. مسجد أربد من الخارج.

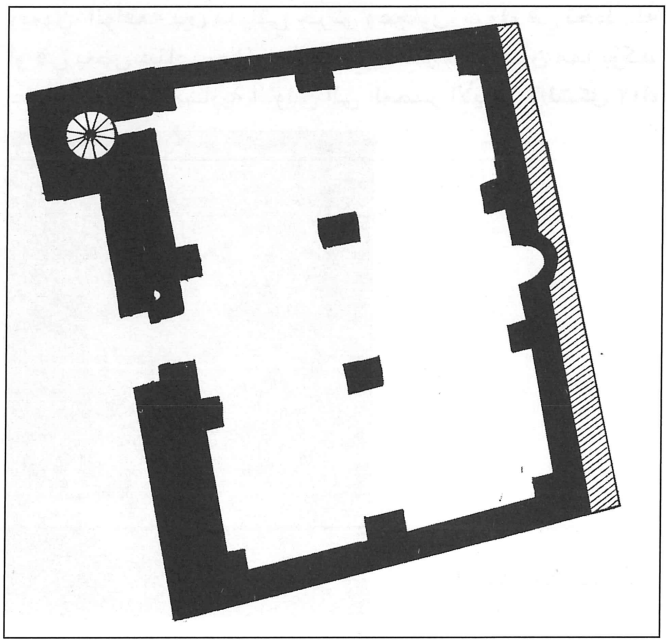

١٢ب. مخطط مسجد ريمون.

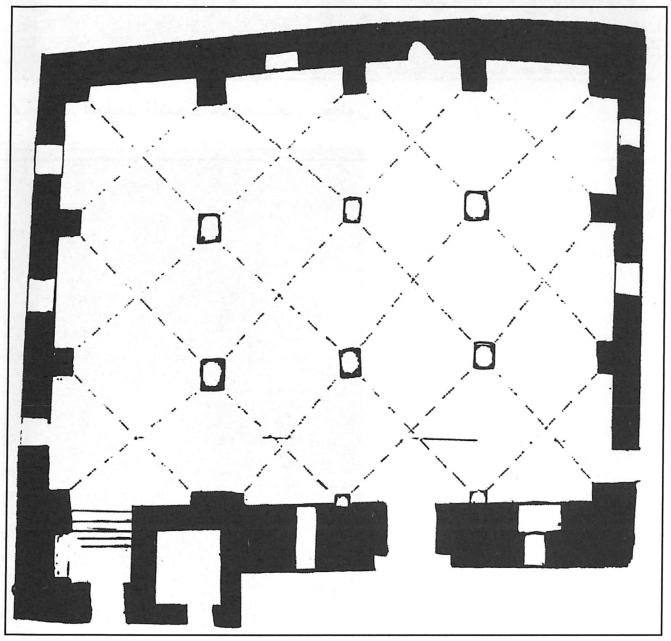

١٤ب. مخطط مسجد أربد.

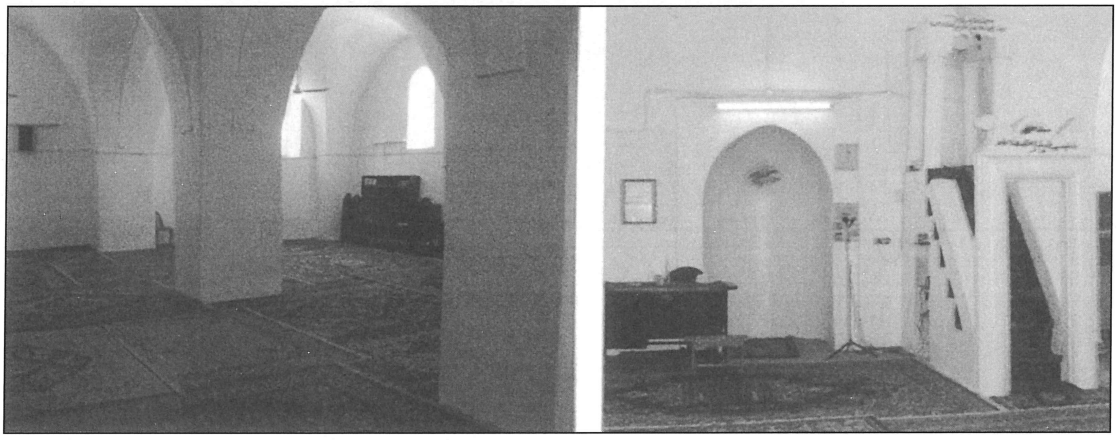

١٣. بيت الصلاة والمحراب في مسجد ريمون.

عجلون وريمون، حيث يتكون هذا المسجد من بيت للصلاة ومئذنة، وثلاث مجنبات لم يبق منها سوى جزء بسيط، فقد أدخلت عليه العديد من التعديلات والتجديدات، وبيت الصلاة مستطيل الشكل مساحته الداخلية ١٨ × ١١,٥٠م، ويتكون من أربع بلاطات ممتدة من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، وتنقسم هذه البلاطات الأربعة إلى اثنتي عشر أسطونة، وتعلو هذه الأساطين قباب متقاطعة (**الشكل ١٥**) ويقوم بيت الصلاة على أربعة صفوف من الأعمدة عددها ٢٠ عموداً، ستة منها في وسط المسجد، يقابلها ١٤ عموداً تمثل دعامات وقواعد ملاصقة لجدران المسجد الأربعة الداخلية، وتنبت من هذه الدعامات والأعمدة أقواس تلتقي فيما بينها مكونة من ١٢ قبة، وترتفع هذه الأقواس عن أرضية المسجد مسافة ٥ أمتار تقريبا. ويلاحظ أن الأعمدة الستة التي يقوم عليها بيت الصلاة جلبت من مواقع مختلفة (غوانمة ١٩٨٩: ٣٥).

وتقع مئذنة مسجد إربد في الزاوية الشمالية الشرقية من المسجد، وهي مبنية بشكل دائري وبداخلها درج حلزوني يتكون من ٢٤ درجة، وتحتوي المئذنة على ثلاث نوافذ اثنتان في الواجهة الشرقية والثالثة في الواجهة الغربية. ويلاحظ أن نفس النمط المعماري المستخدم في الدرج اللولبي الداخلي في مئذنة ريمون، بالإضافة إلى الكوابيل الحجرية قد ظهر أيضا في مئذنتي عجلون وإربد، وهو ما يؤكد وحدة العناصر المعمارية في المساجد الأيوبية (الدلالعة ١٩٩٧: ٥٠).

ويتفق تخطيط مسجد طبقة فحل الذي يعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي مع التخطيط العام للمساجد الأيوبية (**الشكل ١٦أ، ١٦ب**)، ورغم أنه متهدم تماما، إلا أن الأجزاء الباقية منه تؤكد التشابه بينه وبين تخطيط كل من مساجد عجلون وريمون وإربد، فالمسجد عبارة عن شكل مستطيل طول واجهته الشمالية ١٩,١٠م، ويتوسطها المدخل الرئيسي، كما تضم بقايا فتحات مستطيلة الشكل بنيت بأحجار كبيرة ومتوسطة غير منتظمة وبقايا لامتداد صحن المسجد، يبلغ طول الواجهة الشرقية ٩,٣٠م والجنوبية ١٨,٥٠م، حيث يتوسطها المحراب الذي يبرز عن سمت الجدار، كما تدل البقايا الموجودة على أن الواجهات كانت مغطاة بطبقة من الملاط (الدويكات ٢٠٠٤: ٩١) [٢٠].

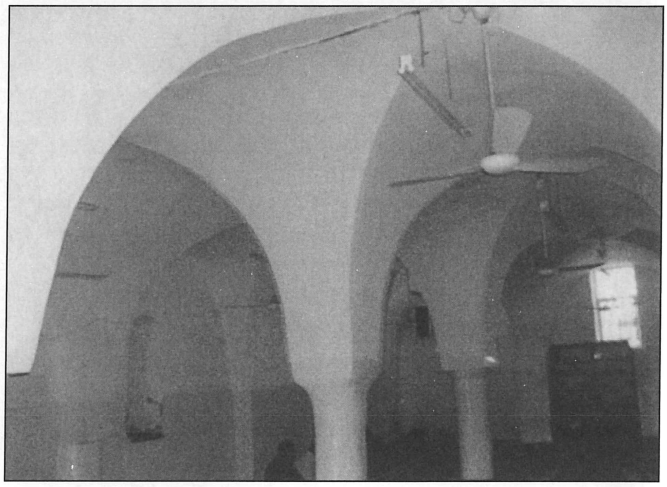

١٥. مسجد أربد من الداخل.

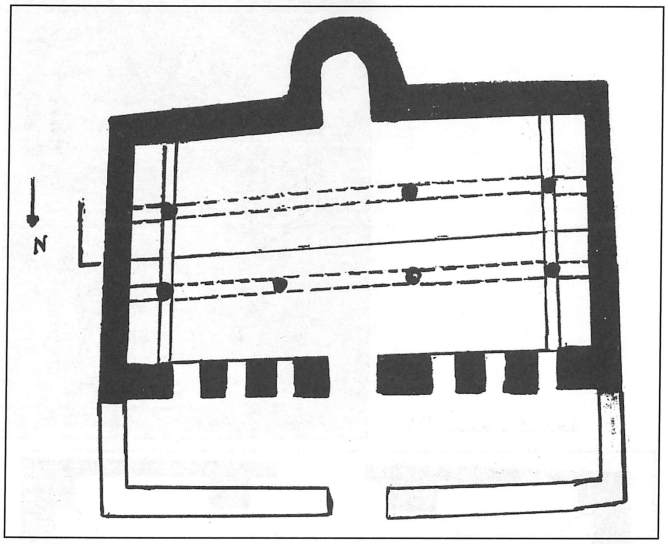

١٦ب. مخطط مسجد طبقة فحل.

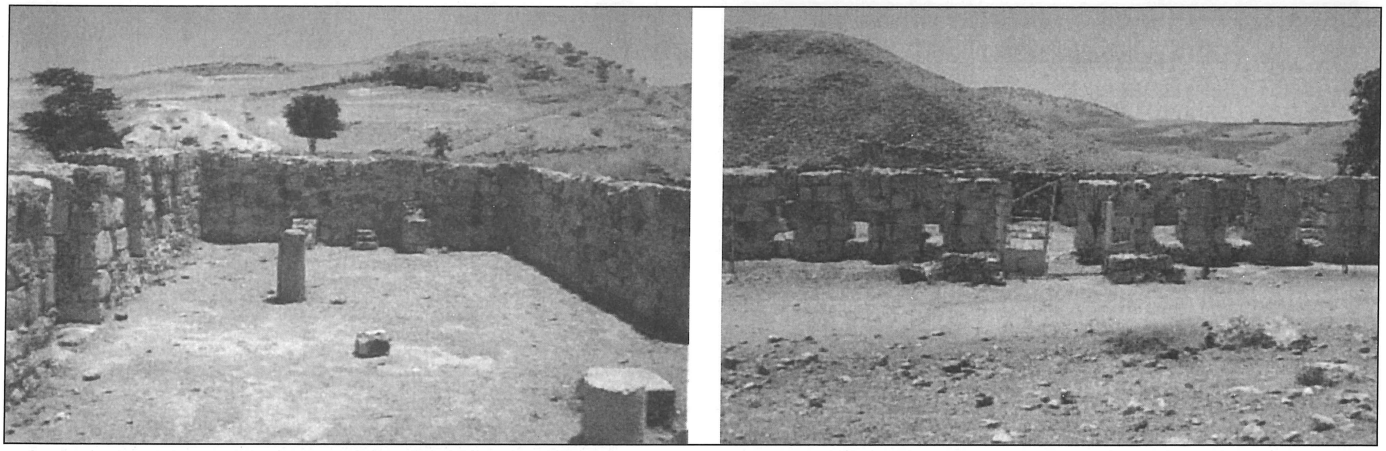

١٦أ. مسجد طبقة فحل.

٢٠. تعتبر طبقة فحل واحدة من المدن العشر التي ازدهرت واشتهرت في شمال الأردن، منذ مطلع القرن الأول الميلادي في العصور الإغريقية والرومانية، واستمرت في الازدهار والتطور عبر العصور البيزنطية والإسلامية، وكانت مركزا مهما للمواصلات والقوافل التجارية القادمة من اليمن والحجاز ثم العقبة إلى طبقة فحل وبيسان وموانئ البحر المتوسط.

أما بيت الصلاة فهو بناء مستطيل الشكل تبلغ مساحته ١٦,٨٠م×٢٥,٧م، ويتكون من ثلاثة أساكيب تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وينقسم عن هذه الأساكيب خمسة عشر بلاطة ممتدة من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، ويعتقد أن هذه البلاطات كان يعلوها مجموعة من العقود المتقاطعة كمثيلتها بمسجد عجلون وريمون وإربد، كما تتشابه الأرضية مع أرضية مسجدي حبراص وبيت رأس، ويعتقد بأنه كان لمسجد طبقة فحل مئذنة تقع في الجهة الشمالية الشرقية، ولم يتبق منها الآن شيئا (الدويكات ٢٠٠٤: ٩١-١٠٧).

كذلك نجد التشابه واضحا بين المساجد السابق الإشارة إليها والأصول القديمة في المسجد القديم الذي يقع في وسط بلدة كفرنجة التي تبعد ١٢كم جنوب غرب مدينة عجلون، والمعروف أن البناء الحالي يرجع إلى العصر العثماني (**الشكل** ١٧أ، ١٧ب)، لكنه يقوم على أصول أيوبية، يتألف المسجد من بيت للصلاة ومحراب ومنبر وأما أعمدته الداخلية فهي مربعة الشكل تشبه الأعمدة الموجودة في مسجدي عجلون وريمون التي تعود إلى العصر الأيوبي (**الشكل** ١٨)، ومن هنا يبدو التشابه واضحا بين تخطيط مسجدي عجلون وريمون وتخطيط مسجد كفرنجة (الدلالعة ١٩٩٧: ٤٩).

ويتضح أيضا التشابه بين تخطيط المساجد الأيوبية وتخطيط مسجد حبراص المتهدم [٢١] (الدويكات ٢٠٠٤: ٨٠-٩٠)، التي تدل الأجزاء المتبقية منه على أنه بني على النمط الأيوبي (**الشكل** ١٩)، خاصة في تخطيط بيت الصلاة المستطيل الشكل الذي يبلغ طول جدار القبلة والجدار الشمالي ٢٦,٥م والجدار الشرقي ١٠,٥م، والغربي ١١,٥م، ويتكون بيت الصلاة من ست بلاطات و١٨ أسكوبا، إحدى هذه البلاطات تمتد من الباب الرئيسي للمسجد عمودية على المحراب، وهناك ثلاث بلاطات على يمين هذه البلاطة واثنتان على يسارها (**الشكل** ٢٠)، كما ويقوم السقف على عشرة أعمدة بازلتية بتيجان تعود للفترة البيزنطية المتأخرة، والملاحظ أن هذا المسجد كان كبيراً

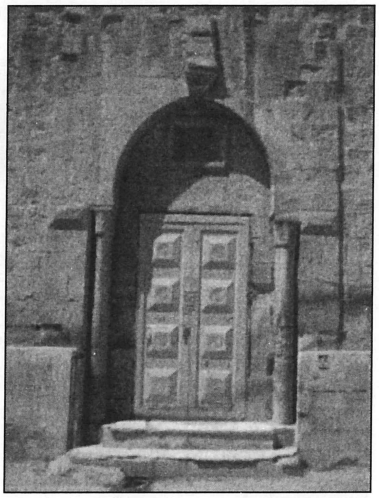

١٧أ. مسجد كفرنجة.

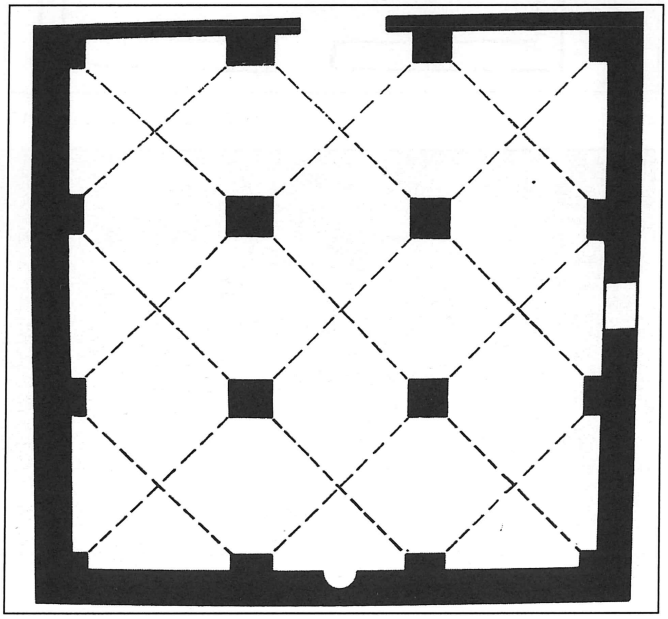

١٧ب. مخطط مسجد كفرنجة.

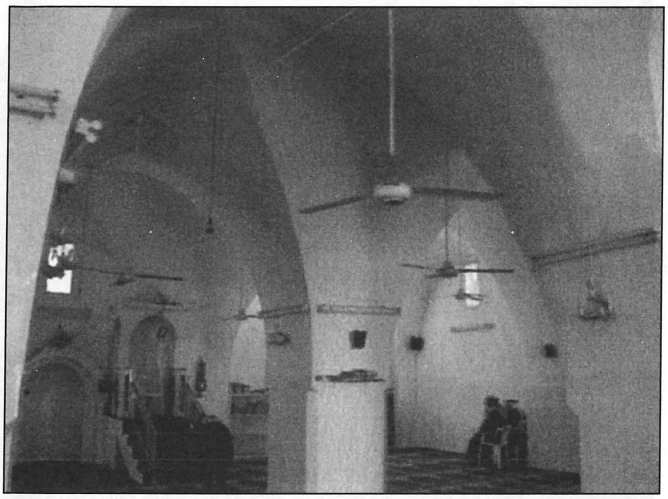

١٨. مسجد كفرنجة من الداخل.

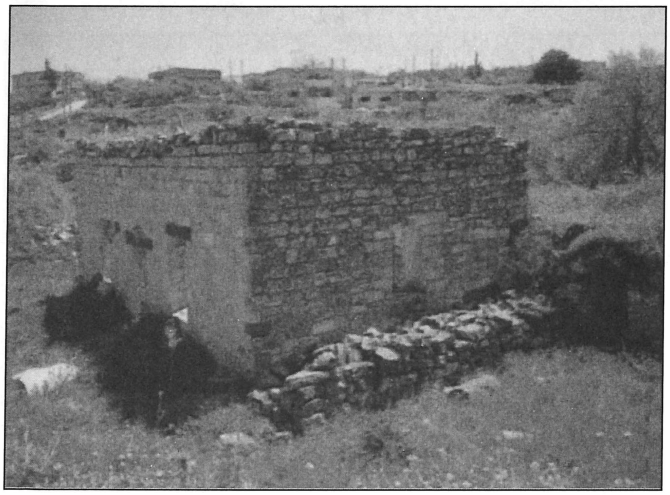

١٩. مسجد حبراص من الخارج.

٢١. تدل المخلفات الأثرية الباقية في بلدة حبراص على أنها تعود إلى فترات زمنية بعيدة، حيث تشكل الآثار الرومانية والبيزنطية جزء كبيراً من بقايا هذه البلدة بدليل وجود كثير من الأعمدة الرومانية والبيزنطية في التل الذي يطل على مسجد حبراص، ونقلت بعض منه لاستخدامها في بناء المسجد، وقد بقيت البلدة خلال العصور الإسلامية عامرة بالسكان.

٢٠. مسجد حبراص المتهدم من الداخل.

بحيث تقدر مساحته بنفس مساحة مسجد عجلون، ولكنه يزيد عنه في عدد البلاطات والأساكيب. بالإضافة إلى أن مسجد عجلون لم تستخدم فيه الأعمدة البازلتية المجلوبة من مخلفات بيزنطية، وإن كنا نجد أن حجارة جدار القبلة في مسجد عجلون قد تم جلب بعضها من أبنية رومانية وبيزنطية، ولبيت الصلاة بابان، الأول عمودي على بلاطة المحراب، والثاني في الجدار الشرقي (غوانمة ١٩٨٩: ٤٩-٦٤).

ويتشابه بيت الصلاة في مسجد بيت راس [٢٢] مع المساجد السابقة، فالمسجد مستطيل الشكل تبلغ أبعاده ١٩,١٠م×١٠,٣٠م، ويتكون من أسكوبين كانا يمتدان من الشمال إلى الجنوب بشكل عمودي على جدار القبلة، يعلو هذه البلاطات مجموعة من العقود المتقاطعة التي تشكل قبابا داخلية غير بارزة عن السطح (ابن العربي ٢٠٠٢: ٢٢٠) ويقوم بيت الصلاة على صف واحد من الأعمدة عددها أربعة أعمدة بازلتية بتيجان رومانية وبيزنطية في وسط بيت الصلاة، وكانت هذه الأعمدة بشكل مزدوج يقابلها عشرة أكتاف ملاصقة لجدران المسجد الأربعة الداخلية (الدويكات ٢٠٠٤: ٧٠) (**الشكل ٢١**).

التجديدات المملوكية على عمارة المساجد الأيوبية

لعبت منطقة شرق الأردن دوراً هاماً خلال العصر المملوكي، حيث كان الجزء الشمالي منها يشكل أحد النيابات المهمة في بلاد الشام، مثل: نيابة دمشق، حلب، طرابلس، صفد وعجلون، أما الجزء الجنوبي فكان يضم نيابة الكرك. وقد بدأ اهتمام المماليك بمنطقة شرق الأردن على نحو واضح خاصة مع تزامن الخطر المغولي على مصر وبلاد الشام، وكان الظاهر بيبرس [٢٣] أول من لفت النظر للموقع الاستراتيجي والعسكري الذي تتمتع به منطقة الأردن كملتقى للطرق المؤدية إلى بلاد الشرق الأدنى الإسلامي، وأنه خط الدفاع الأمامي لمصر في وجه الفرنج والمغول. كما كان الظاهر بيبرس على علم بأهمية منطقة شرق الأردن كجزء متمم لمملكته، لذا قام ببناء جسر على نهر الأردن لكي يربط مواصلاته بين سوريا والشرق (الدويكات ٢٠٠٤:

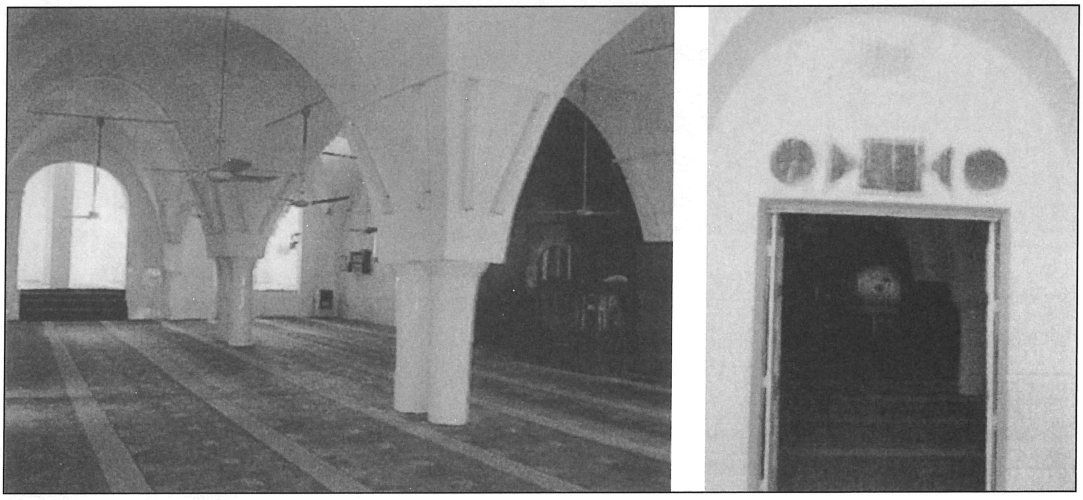

٢١. المدخل وبيت الصلاة في مسجد بيت راس.

٢٢. بيت راس: تبعد عن مدينة إربد بضعة كيلومترات شمالاً، وهي قرية أثرية قديمة.

٢٣. هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي وهو أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب تولي المملكة بعد قتل الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبدالله المعزي في سنة ثمان وخمسين وستماية (ابن خلكان ١٥٥).

٣٦). أدخل الظاهر بيبرس العديد من التجديدات والإضافات على المساجد الأيوبية بمنطقة شمال المملكة الأردنية الهاشمية موضوع الدراسة، منها ما يلي:

أولا: تجديدات الظاهر بيبرس البندقداري في مسجد عجلون

عندما اعتلى الظاهر بيبرس عرش دولة المماليك في مصر والشام (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)، أدرك ما تمتاز به منطقة شرق الأردن [٢٤] من أهمية وذلك لموقعها الاستراتيجي الهام ولتوسطها بين مصر والشام والعراق والحجاز، فقام بإعادة بناء قلعة الربض التي هدمها التتار وقام بترميم قلعة السلط (الرشدان ١٩٩٨: ٤٤)، واهتم السلطان الظاهر بيبرس بمدينة عجلون، فبني صومعة في سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م في مسجدها، وثبت ذلك في اللوحة التأسيسية فوق الباب الغربي للمئذنة (اليونيني ١٩٩٢: ٢٣١) [٢٥]، وقد أقيمت هذه المئذنة بعد بناء الجامع بسبع عشرة سنة تكريما لأهالي مدينة عجلون الذين أقام بينهم الظاهر بيبرس مع أستاذه علاء الدين ايدكين البندقدار (اليونيني ١٩٩٢: ٥٥٣) [٢٦]. تقع هذه المئذنة في الركن الشمالي الشرقي من واجهة بيت الصلاة، بالقرب من الباب الشمالي، وبنيت من الحجر الأحمر المشهر، وهي مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٤,٥ م وارتفاعها ٢٢م، وسمك الجدران من الخارج ١,٣٧م، وقطرها من الداخل ١,٦٠م (الحمصي ١٩٨٢: ١٧-٢١) [٢٧] (**الشكل ٢٢**).

وقد بني جسم المئذنة السفلي من ستة عشر مدماكاً، يبدأ البناء عريضا ثم يستدق في مرحلتين بشكل تجميلي، ويمكن الصعود إلى أعلى المئذنة بواسطة درج من الحجر قطع بشكل مروحي، وعدد تلك الدراجات ٥٠ درجة، وللمئذنة ثلاث نوافذ من الجهة الشرقية والسفلى والوسطى طولية على شكل المزاغل، فهي ضيقة من الخارج وواسعة من الداخل، ومهمتها هنا إدخال الضوء إلى الدرج [٢٨] والنافذة الثالثة تقع في نهاية المئذنة وهي واسعة بقوس مدبب ونافذتان من الجهة الشمالية السفلى طوليتان كاللتين في الواجهة الشرقية والعلوية واسعتان بقوس مدبب، وللمئذنة باب صغير مستطيل الشكل طوله ١,٣٥م، وعرضه ٧٢سم، يقع في الجهة الغربية من المئذنة، يعلوه لوحة تأسيسية على حجر طوله ٢,١٧م وعرضه ٤٥سم، ويتألف النص من ثلاثة أسطر يمكن قراءته على النحو التالي

١- بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى

٢- اولئك أن يكونوا من المهتدين أنشأ هذه المنارة المباركة في أيام السلطان الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس قسيم أمير المؤمنين

٣- بنظر الفقير إلى الله الراجي رحمة ربه عز الدين بن عبد الله الشوري تغمده الله واسكنه بحبوحة جنته ورحم الله من ترحم عليه سنة اثنين وستين وستماية (**الشكل ٢٣**).

وينتهي الدرج إلى شرفة بارزة عن بناء المئذنة، وترتكز على كوابل حجرية تقوم مقام المقرنصات، خمسة كوابل من كل جهة، وهناك في كل ركن كابول على شكل زاوية (غوانمة ١٩٨٦: ٦٩) [٢٩].

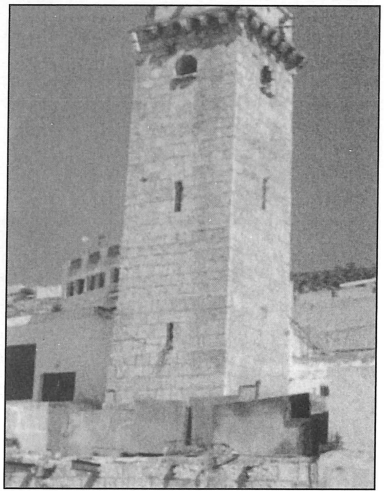

٢٢. مئذنة مسجد عجلون.

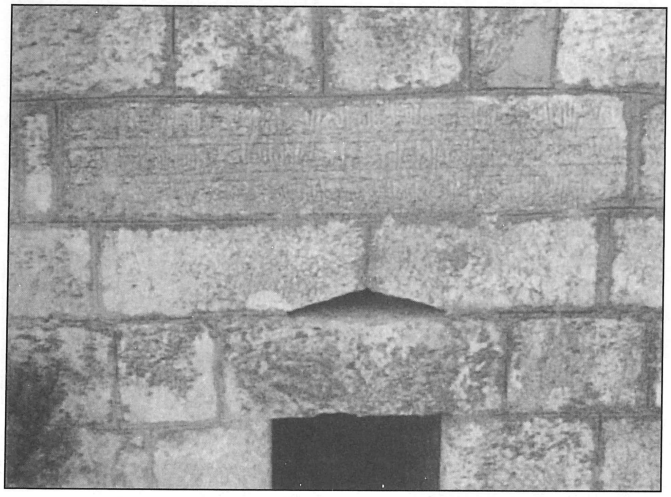

٢٣. النص التأسيسي لمئذنة عجلون.

٢٤. بعد هزيمة المغول في عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م أولى السلطان الظاهر بيبرس منطقة الأردن اهتمامه الخاص (غوانمة ١٩٩٧: ٢٠٢).

٢٥. في هذه السنة أمر الملك الظاهر بإنشاء خان بالقدس الشريف لابن السبيل وفوض في بناؤه ونظره جمال الدين محمد بن نهار ونقل إليه من القاهرة باباً كان على دهليز بعض قصور الخلفاء (اليونيني ١٩٩٢: ٢٣١).

٢٦. استمر علاء الدين ايدكين نائبا حتي حوادث سنة ٦٦٢هـ عندما استدعاه الملك الظاهر بيبرس وأمره أن يستنيب عنه الأمير نور الدين على بن محلي (مجلي)، ولما وصل علاء الدين إلى القاهرة عزله عن حلب وأقر الأمير نور الدين في نيابة السلطنة، فأحسن السيرة وعمر البلاد وأعاد الفلاحين إلى مواطنهم وأفرد الخاص ما كان عليه في الأيام الناصرية (اليونيني ١٩٩٢: ٢٣١)، (النويري ١٩٩٢: ٣١٢).

٢٧. تعد هذه المئذنة من أقدم المآذن الباقية في المملكة الأردنية الهاشمية، وهي لا تختلف في شكلها العام عن الشكل المربع الشائع في مآذن بلاد الشام حيث استمدت هذا الطابع من العصر الأموي. (الحمصي ١٩٨٢: ١٧-٢١).

٢٨. نظراً لطبيعة مدينة عجلون ربما استخدمت هذه المزاغل لأعمال المراقبة والاستطلاع لمقدمة قلعة عجلون الرابضة بالقرب من المسجد.

٢٩. كانت المئذنة تنتهي بخوذة أو مبخرة إلا أنها هدمت حديثا وأقيم محلها زيادة أسطوانية الشكل.

ثانيا: تجديدات الظاهر بيبرس البندقداري في مسجد ريمون

قام الملك الظاهر بيبرس بإدخال زيادات في مسجد ريمون، أهمها إعادة بناء مئذنته الباقية (**الشكل ٢٤**) التي تولى بناءها الأمير أيدمر الظاهري نائب دمشق (المقريزي ١٩٧٩: ٣٤٢) [٣٠]، ونفذ البناء وأشرف عليه الأمير ناصر الدين منكلي في سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م كما هو مثبت في النقش الموجود في واجهة المئذنة الغربية الذي يتكون من أربعة أسطر يمكن قراءته على النحو التالي

١- بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه
٢- المنارة المباركة الأمير عز الدين
٣- أيدمر الطاهر(ي) [٣١] بنظر الأمير ناصر الدين
٤- منكلي [٣٢] في سنة ست وسبعين وستماية محمد ايدمر

والنص السابق يشير إلى أن البناء تم في أواخر عهد الظاهر بيبرس وأوائل حكم ابنه الملك السعيد ٦٧٦-٦٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٩م، وهذا ما يثبته النقش التالي الموجود الآن داخل المسجد أمام الباب الذي يؤدي إلى المئذنة (غوانمة ١٩٨٦: ١٩-٢٠)، ويقرأ على النحو التالي

١- رسم بعمارة هذه المنارة
٢- مولانا السلطان الملك
٣- الظاهر رحمه الله ونصر
٤- السلطان الملك السعيد
٥- خلد الله ملكه [٣٣] رحمه الله (**الشكل ٢٥**)
٦- ونستعين

ويقع مدخل المئذنة في الجدار الشمالي لبيت الصلاة في الركن الشمالي الشرقي، يتصدره نقش كتابي يشير إلى أن البناء تم في أواخر عهد الظاهر بيبرس وأوائل حكم ابنه الملك السعيد ٦٧٦-٦٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٩م. طول مدخل المنارة ١٥٠سم، وعرضه ٧٠ سم، ويصعد إليها من خلال درج لولبي الشكل مكون من قطع حجرية منحوتة، وهو دائري ضيق في الوسط، عريض من الخارج. ويشكل التقاء هذه الدرجات عاموداً دائرياً في الوسط، وشكلاً مروحياً في الأطراف. ويبلغ طول المئذنة ١٦م، فالجزء السفلي قديم طوله ٨,٥٠م، أما الجزء العلوي فقد بني في العصر الحديث ويبلغ طوله ٧,٥٠م (غوانمة ١٩٨٩: ٣٥) والجدير بالذكر أن ثلاثة من القضاة قاموا بتجديد وترميم مسجد ريمون ويبدو ذلك واضحا من خلال النقش المثبت في واجهة المنارة الشمالية [٣٤] الذي يقرأ على النحو التالي

١- بسم الله الرحمن الرحيم عز
٢- يدوم للموالي السادة
٣- عز الدين [٣٥] قاضي القضاة ال
٤- جمال الدين والقاضي
٥- صفي الدين رضي الله عنهم (غوانمة ١٩٨٦: ٢٣) (**الشكل ٢٦**).

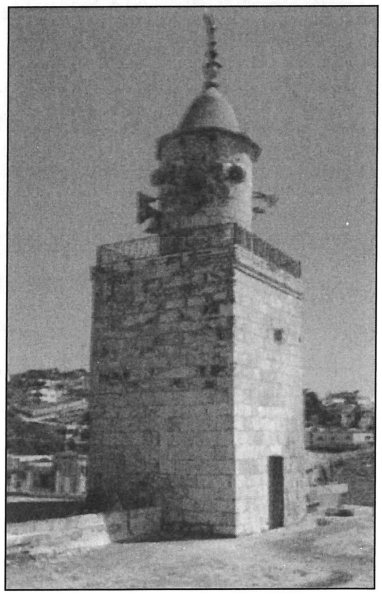

٢٤. مئذنة مسجد ريمون.

٢٥. النقش التأسيسي للمئذنة.

٣٠. الأمير عز الدين أيدمر نائب دمشق حتى سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، تولي نيابة الكرك والشوبك، ومات في يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول من سنة ٧٠٠هـ (المقريزي ١٩٧٩: ٣٤٢).

٣١. يعد الأمير عز الدين ايدمر من خواص الملك الظاهر بيبرس، وهو الوحيد الذي حضر دفنه (ابن تغري بردي ١٩٤٠: ٢٦٣).

٣٢. الأمير ناصر الدين بن منكلي الظاهري السعدي حكم منطقة عجلون في زمن الظاهر بيبرس، وعثر على نقش في مقام الصحابي الجليل أبي عبيدة يشير إلى أن القبة المباركة المبنية على الضريح بأمر السلطان بيبرس، وفي نهاية النقش كتب "وذلك بنظر الأمير الأجل الأعز اللبيب ناصر الدين بن منكلي الظاهري السعدي نائب مملكة عجلون المحرر في شهر ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستماية" (القضاة ١٩٨٨: ٦٦).

٣٣. قرأ يوسف غوانمه هذه الكلمة على نحو "خلد الله ماله" ومن الدراسة الميدانية للأثر في الفترة من ٣ إلى ١٠ نيسان ٢٠٠٥م، أمكن تصحيح القراءة السابقة فالصحيح هو "خلد الله ملكه" (غوانمة ١٩٨٦: ٢١).

٣٤. يلاحظ أن السطرين الرابع والخامس قد اختفيا أسفل السقف الأسمنتي الحديث الملاصق لجدار المئذنة من الناحية الشمالية وذلك من خلال الدراسة الميدانية للمسجد في الفترة من ٣ إلى ١٠ نيسان ٢٠٠٥م.

٣٥. عز الدين: لقب قاضي قضاة الشافعية وهو محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصاري المعروف بابن الصائغ، تولي منصب القضاة بدمشق في عهد الظاهر بيبرس وابنه السعيد، وتوفي القاضي عز الدين بدمشق في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣هـ، وجمال الدين: قاضي القضاة المالكي (ابن تغري بردي ١٩٤٠: ٢٧٢-٢٦٤).

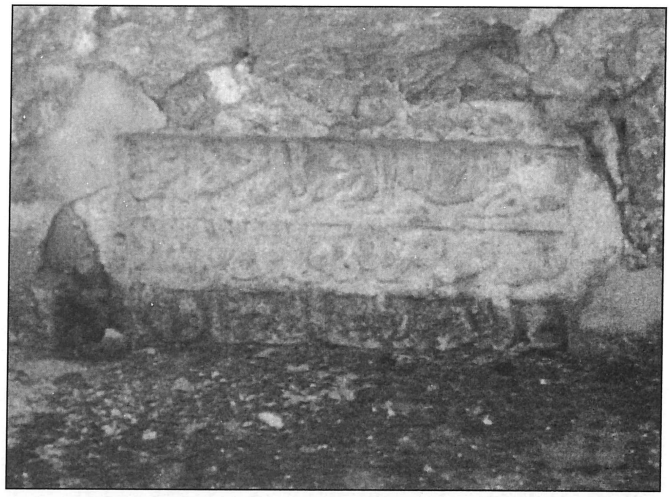

٢٦. تجديدات القضاة في جامع عجلون.

ثالثاً: تجديدات السلطان المنصور قلاوون في مسجد حبراص

المعروف أن مسجد حبراص بني في بداية الأمر بدون مئذنة مثل مسجد عجلون، وبقي كذلك حتى أمر السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)، الأمير الأشرف الحسامي طرنطاي ببناء المئذنة في سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م (ابن تغري بردي١٩٣٠: ٣١٩) [٣٦]، وأناط مهمة الإشراف على البناء إلى الأمير لؤلؤ المنصوري الحسامي، وكانت هذه المئذنة مربعة الشكل على نسق مئذنة مسجدي عجلون وريمون، متصلة في الجزء الشرقي من الجدار الشمالي للمسجد على يسار الداخل إلى بيت الصلاة، يبلغ طولها ٤,٤م، وظلت موجودة حتى عام ١٩٧٠م، حيث قرأ يوسف غوانمة النص الموجود في هذا المسجد على النحو التالي

١- بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
٢- الآخر أمر بعمارت هاذه المأذنة المقر الأشرف الحسامي طر
٣- نطاي المنصوري (نايب) السلطنة بتولي العبد الفقير إلى الله
٤- لولو المنصوري الحسامي في شهر صفر سنة ست وثمانين وستماية (غوانمة ١٩٨٩: ٥٩). [٣٧]

رابعاً: تجديدات الناصر محمد بن قلاوون في مسجد عجلون

يعد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من أبرز سلاطين المماليك الذين حكموا بلاد الشام وإمارة الشام، وإمارة الكرك، وقد ظهرت له بصمات واضحة في تاريخ شمال شرق الأردن، وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون يولي أهالي عجلون عناية خاصة فقد وقفوا بجانبه وقفة قوية أثناء خروجه من دمشق إلى الكرك، ولم ينس الملك الناصر ذلك فلما دانت له البلاد وتمكن له السلطان أرسل إلى نوابه في دمشق وعلى فترات، وأمرهم بإلغاء الجبايات، ففي أعوام ٧١٠هـ، ٧١٦هـ، ٧٢٤هـ، ثارت فتن في حوران وعجلون والبلقاء بسبب المظالم وكثرة المكوس، ولما وصلت الأنباء للملك الناصر في القاهرة كتب إلى نائب دمشق يلومه على ظلمه ويأمره برفع الجباية عن الأهالي، وفي زمن الملك الناصر تطورت منطقة عجلون تطوراً عظيماً اتسمت بمظاهر حضارية، فازدهرت بالعمران، وكثرت الأسواق، وزرعت البساتين، واستغلت المياه، ووجدت الطواحين والمعاصر والحوانيت، وقام الملك الناصر بإعادة بناء المدخل الرئيسي [٣٨] في مسجد عجلون عقب تعرضه للهدم نتيجة السيل الذي حدث في عام ٧٢٨هـ [٣٩]، وقد أشرف على إعادة البناء تاج الدين محمد الأخنائي قاضي عجلون، وثبت ذلك في النقش المثبت الآن في صحن هذا المسجد والذي يقرأ كالتالي

١- بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتي الزكاة
٢- ولم يخش الا الله فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين جدد هذا الباب المبارك في أيام سيدنا قاضي القضاة علم الدين الا
٣- خنائي بالشام المحروس بأمر مولانا القاضي تاج الدين محمد الاخنائي الحاكم بعجلون في شعبان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة من الهجرة النبوية المحمدية (**الشكل ٢٧**).

ولا يستبعد أن يكون الناصر محمد بن قلاوون قام في نفس العام ٧٣٢هـ بإدخال التجديدات والإضافات في مسجد بيت راس، كما نستدل على ذلك من النقش الكتابي المدون بخط الثلث المملوكي والذي يعلو المدخل الرئيسي في مسجد بيت راس، ويمكن قراءته على النحو التالي

١- بسم الله الرحمان
٢- الرحيم نصرا من
٣- الله وفتح قريب
٤- في ٢ محرم سنة ٧٣٢هـ (الدويكات ٢٠٠٤: ٧٠) (**الشكل ٢٨**).

---

٣٦. خرج الأمير حسام الدين طرنطاي في سنة ٦٨٦هـ إلى حصار قلعة صهيون وبرزية في شمال الشام وانتزعهما من الأمير سنقر الأشقر نائب دمشق المتمرد على السلطة والمعتصم بهاتين القلعتين. واسطحب الأمير طرنطاي معه الأمير حسام الدين لاجين نائب دمشق وتمكنا من سنقر الأشقر واحضراه إلى دمشق (ابن تغري بردي١٩٣٠: ٣١٩).

٣٧. لم أتمكن من الوقوف على هذا النص التأسيسي أثناء زياراتي المتكررة في عين المكان، نظرا لتهدم المسجد تماما وعدم استخدامه ونمو الأعشاب الكبيرة التي تغطي مساحة المسجد الداخلية والخارجية، ولقراءة نقوشه (غوانمة ١٩٨٩: ٥٩).

٣٨. شيدت واجهة مسجد عجلون في بداية الأمر على نسق الواجهات ذات المدخل الكبير الذي يعلوه عقد ويتألف من صنجات حجرية متعشقة يتناوب فيها اللونان الأبيض والأسود في شكل زخرفي جميل وباب خشبي تكسوه صفائح من النحاس المخرم بنقوش نباتية وهندسية.

٣٩. في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أتى سيل جارف على مدينة عجلون ومنشأتها وذلك في عام ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، وقد سبب هذا السيل هدم أجزاء من المسجد الجامع شمل الباب الشرقي والرواق القبلي والمطهرة والأوقاف التابعة للمسجد مع الأمتعة والبضائع التي فيها، وقد دخلت المياه وهي تحمل معها الحجارة والطين والأخشاب إلى قلب المسجد حتى بلغ الماء داخله إلى القناديل المعلقة في السقف.

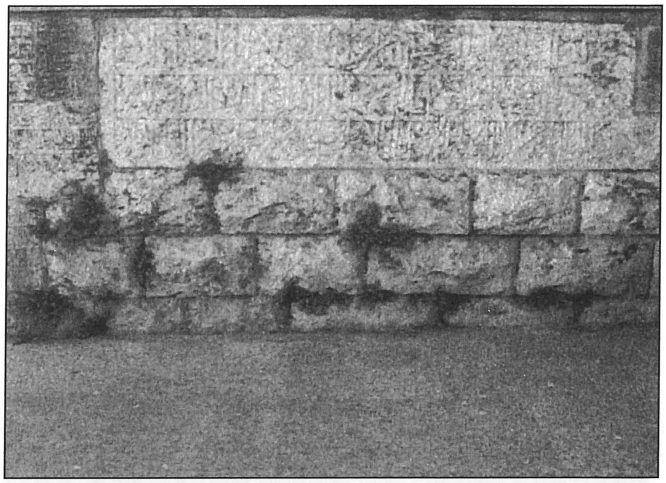

٢٧. نقش الناصر محمد بن قلاوون بمسجد عجلون.

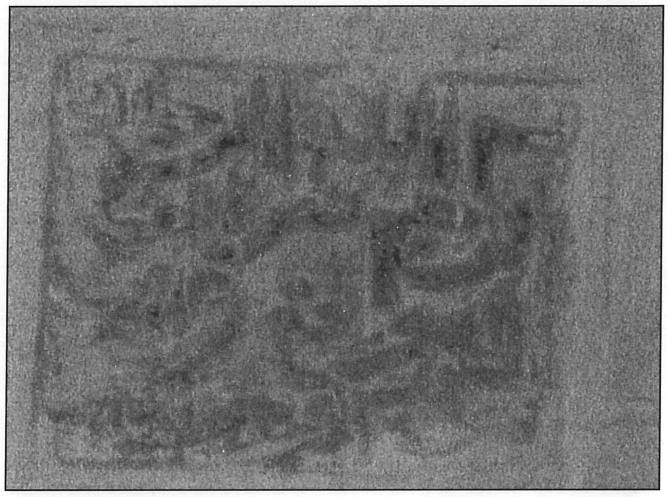

٢٨. نقش الناصر محمد بن قلاوون بمسجد بيت راس.

خامساً: تجديدات السلطان خشقدم [٤٠] في مسجد عجلون (٨٦٥-٨٧٢ هـ/١٤٦١-١٤٦٧م)

صار السلطان خشقدم على منوال السلطان الناصر محمد بن قلاوون في اهتمامه بأهالي منطقة عجلون، وتؤكد النقوش الأثرية هذا الاهتمام، حين أصدر السلطان خشقدم مرسوم سلطاني يأمر فيه بإلغاء بعض المظالم التي أحدثت فيها وأدت إلى مصادرة بعض القطع والبساتين، فقام السلطان بردها إلى أصحابها (غوانمة ١٩٨٢: ١٠٤-١٠٥) [٤١]. ويحتفظ مسجد عجلون بنقشين حجرين طول الأول منهما ٥٥ سم وعرضه ٣٥ سم، ومثبت الآن في أسفل الجدار الشرقي من صحن المسجد، ويحتوي على ثلاثة أسطر يمكن قراءته على النحو التالي

١- .....الملكي الظاهري خشقدم خلد الله ملكه وجميع أنظار (هـ) [٤٢]

٢- ..لعزله ورد القطعة التي بقرب الخان والبساتين والجبايات والمظالم

٣- ..... رد له المعز الحسامي خرج بالأمر الملكي بتاريخ أربع (وسبعين وثمانه) (**الشكل ٢٩**).

ويتعلق النقش الآخر بإلغاء بعض الضمانات التي كانت ترهق كاهل المواطنين في مدينة عجلون، وأمر السلطان خشقدم بإلغائها، وهو مكون من ثلاث أسطر على حجر طوله ٥٦سم وعرضه ٣٦سم، يمكن قراءته على النحو التالي

١- بسم الله الرحمن الرحيم المرسوم بالأمر الشريف العالي

٢- .... الذين بعجلون من ضمانات

٣- جميعا حسب المربع الشريف وملعون ابن ملعون من جدده (غوانمة ١٩٨٦: ٦٤) (**الشكل ٣٠**).

كما يوجد جزء من نقش كتابي ربما يعود لعصر السلطان خشقدم، يمكن إعادة قراءته على النحو التالي

١- (بسم الله ا) لرحمن الرحيم ....

٢- .....(ال) سلطان الملكي الظاهري

٣- ..... وهذا لمنفعة الذين .....

٢٩. نقش السلطان خشقدم بإلغاء المظالم.

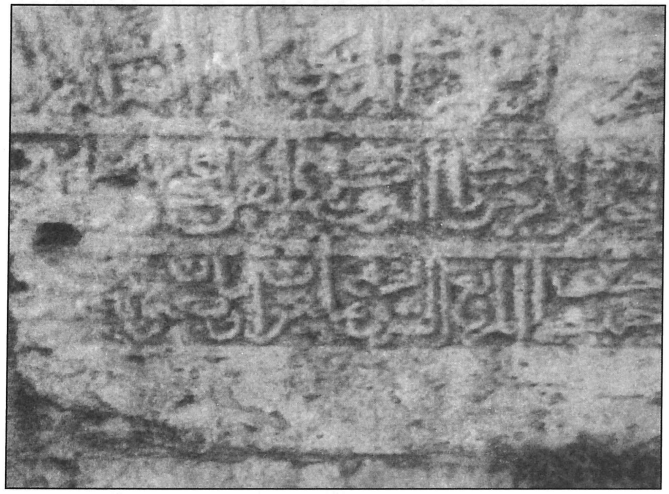

٣٠. نقش السلطان خشقدم بإلغاء الضمانات.

٤٠. هو السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد خُشقدم الناصري المؤيدي.

٤١. يشبه المرسوم الذي أصدره السلطان جقمق سنة ٨٥٧/٨٤٢هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م، بشأن إلغاء المظالم عن نصارى بيت المقدس، وأثبته عل سور المسجد الأقصى بالقدس (غوانمة ١٩٨٢: ١٠٤-١٠٥).

٤٢. قرأت هذا العبارة في السابق على النحو التالي "لا يضار جميع" ومن خلال الدراسة الميدانية يمكن قراءتها كالتالي" وجميع نظاره" (القضاة ١٩٨٨: ٧٦).

٤- ..... لعنه و .. و ..
٥- .....(ر) دها ورسم ان ..... (**الشكل ٣١**).

التجديدات العثمانية في عمارة المساجد الأيوبية

أهتم العثمانيون بالمساجد الباقية في شمال الأردن (ماتزان ١٩٩٣)، وقاموا بتعميرها وإدخال بعض التجديدات عليها، كإعادة بناء مسجد كفرنجه في سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م وذلك في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م)، والذي عهد ببنائه إلى فوزي باشا، وتمت إعادة البناء وفق الأسس الأيوبية المملوكية التي كان عليها المسجد، كما قاموا بتثبيت ذلك في اللوحة التأسيسية للمسجد التي يمكن قراءتها كالتالي

١- تم بواسطة بسم الله الرحمن الرحيم فوزي باشا
٢- انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
٣- هذا جامع الفاروق من جعل باحيائه للطاعات بابا مشرعا
٤- وبعد اندراس جددته عصبة تصدت لفعل الخير والبر أجمعين
٥- بأيام سلطان الانام مليكنا حميد المزايا من به الفضل جمعا
٦- (و) قربة للرحمن ارخ ما أزهى به نبي الله في الفردوس لمن سعى بيننا
٧- ١٣٢٠ هـ (غوانمة ١٩٨٦: ٣٨) (**الشكل ٣٢**).

أدخل العثمانيون التعديلات والتجديدات في مسجد بيت راس، حيث يوجد أعلى المدخل نقش كتابي يتضمن كتابة قرآنية من سورة التوبة، وشارات عبارة عن الرايات المتقاطعة وهي شعار الدولة العثمانية، وشارة النجمة مع الهلال، ويمكن قراءة النقش على النحو التالي

١- انما يعمر مساجد الله من آمن
٢- بالله
٣- من أعان على بناء مسجد بني الله
٤- له بيت في الجنة سنة١٣٤٢هـ (**الشكل ٣٣**).

ونخلص من دراسة المساجد الأيوبية الباقية في منطقة

٣١. نقش كتابي.

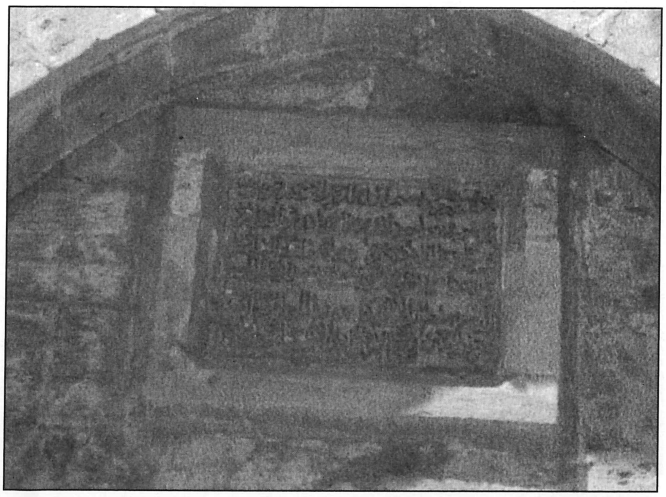

٣٢. نقش تجديد مسجد كفرنجة.

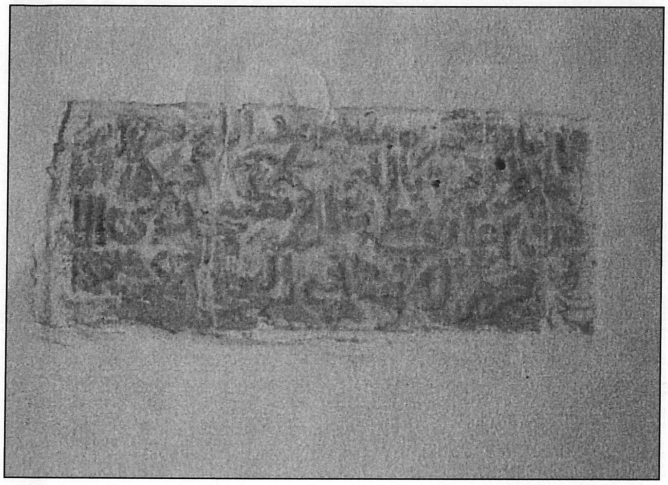

٣٣. نقش تجديد مسجد بيت راس.

شمال المملكة الأردنية الهاشمية، إلى أن العصر الأيوبي شهد تواصل حركة بناء المساجد جنبا إلى جانب تشييد المدارس، وكان من أهم مميزات عمارة المساجد الأيوبية فضلا عن التخطيط الشائع السائد في معظم المساجد الأيوبية الباقية في شمال الأردن، استخدام مادة الحجر التي حلت تدريجيا محل الآجر الذي شاع استعماله في العصور السابقة (أبو الشعر ١٩٩٥: ٢٩-٣٩).[٤٣]

كما يلاحظ تطور الزخارف الكتابية في المساجد الأيوبية، فالنص التأسيسي بمسجد عجلون المثبت فوق عتب المدخل الشمالي الحالي للمسجد كتب بخط النسخ الذي شاع استخدامه في العصر الأيوبي، وتضمن عدة معلومات هامة حول المنشأ، السلطان الصالح نجم الدين أيوب ونسبه إلى البيت الأيوبي وألقابه، واسم المشرف على البناء الأمير عمر بن دعماش بن يوسف الحميدي الصالحي، وتاريخ الإنشاء في شهر جمادى الأخر لسنة ٦٤٥هـ، ويعد هذا النص على درجة كبيرة من الأهمية لأنه النص الأيوبي الوحيد الذي وصلنا من مساجد المملكة الأردنية، ويتضح فيه تطور خط النسخ الذي

٤٣. تتكون منطقة عجلون من مواقع ذات تربة رملية وكلسية، وتميل إلى الاصفرار والبياض (أبو الشعر ١٩٩٥: ٢٩-٣٩).

نشأ وتطور خلال العصر الأيوبي، كما يتشابه مع النصوص الكتابية التي تعود لنفس العصر، نسوق منها نص تجديد المشهد الحسيني بالقاهرة في سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م، ومنارته الواقعة أعلى الباب الأخضر والتي أوصى بإنشائها أبو القاسم يحيي السكري، كما هو مثبت في نصين الأول منهما يقرأ كالتالي "الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيي المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه وكان تمامها على يد ولده محمد سنة ثلاث وثلاثين وستة مائه عفا الله عنه". أما الثاني فيقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم أوصى بإنشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسيني تقربا إلى الله ورفعا لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن ناصر السكري المعروف بالزرزور تقبل الله منه وكان المباشر لعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذي انفق عليها من ماله بغية عمارتها خارجا عما أوصى به والده المذكور وكان فراغها في شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة" (عبدالوهاب ١٩٤٦: ٨٤).

ونجد الأسلوب الكتابي نفسه الموجود في النص التأسيسي لمسجد عجلون يتشابه مع النقوش الكتابية بتابوت ضريح الخلفاء العباسيين التي تقرأ كالأتي "اللهم أعد بركات القرآن العظيم على عبدك الفقير إلى رحمة ربه أبو نادلة هاشم بن على المرتضى ابن الأمير السيد العلوي الحسني سفير الخلافة المعظمة العباسية شرفها الله تعالي وعظمها توفي يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الآخر من سنة أربعين وستماية إلى رحمة الله تعالى" (ماهر ١٩٧٦: ٢٢٨).

ومن جهة أخرى تطابق النص التأسيسي لمسجد عجلون مع النصوص الكتابية الموجودة في المدرسة الصالحية بالقاهرة، حيث يوجد نص كتابي يمكن قراءته داخل العقد الكبير على النحو التالي "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدارس المباركة مولانا السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدنيا والدين أبي الفتح أيوب خليل امير المؤمنين[٤٤] أعز الله نصره في سنة احدى واربعين وستماية". كما يوجد فوق العتب بالواجهة الرئيسية لوحة رخامية تحمل أربعة أسطر من الكتابات بخط النسخ الأيوبي تقرأ كالتالي

١- بسم الله الرحمن الرحيم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمعى المحسنين. هذه التربة المباركة بها ضريح مولانا السلطان الملك الصالح
٢- السيد العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر نجم الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين سيد ملوك المجاهدين وارث الملك عن ابائه الاكرمين ابي الفتح
٣- أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين ابي المعالي محمد بن ابي بكر بن ايوب توفى الى رحمة الله تعالى وهو بمنزلة المنصورة تجاه الفرنج المخذولين مصافحا للصفاح بنحره مواجها للكفاح
٤- بوجهه وصدره املا ثواب الله بمرابطته واجتهاده عاملا بقوله تعالى: وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده أوفده الله الجنة العالية وأورده انهارها الجارية وذلك في ليلة النصف من شعبان سنة سبع واربعين وستماية (نويصر ١٩٩٦: ٧٩-٨٠).

وقد حاول البعض ذكر أن مسجد عجلون بني على أنقاض كنيسة بيزنطية، وهذا القول ليس له دليل من الصحة لأن منطقة بناء المسجد كانت منطقة تتوسط الفضاء المحيط بقلعة عجلون، ولا توجد بقايا سواء في الأساس أو الجدران تؤكد هذا الزعم، بالإضافة إلى أن المصادر التاريخية تؤكد عدم تمركز الصليبيين في مدينة عجلون مدة طويلة[٤٥] كما نستنتج أن قباب المساجد الأيوبية تميزت بتصدرها بلاطة المحراب، وارتكاز خوذة قبتها المضلعة والمربعة الشكل على مقرنصات قائمة في أركان الدعائم الضخمة الأربعة، التي تكون قاعدة القبة، كما ينفتح في عنق القبة نوافذ صغيرة للإضاءة، ويتضح ذلك في قبة مسجد عجلون، فالقبة من الخارج لا تبرز كثيرا لقصر عنقها وقلة ارتفاعها (الدويكات ٢٠٠٤: ١٢٣-١٤٠)[٤٦] كما تحتفظ رقبة قبة مسجد عجلون بأفريز من الزخارف النباتية التي تتكون من فروع نباتية وأوراق الكرمة ودوائر تحيط بصرر وردية ذات أشكال جميلة، وتعد هذه الزخارف الوحيدة الباقية في مساجد شمال المملكة الأردنية، وتتميز بقربها من الطبيعة إلى حد كبير وأنها دقيقة ومليئة بالحركة، وتتشابه هذه الزخرفة مع الزخارف النباتية على الخزف المرسوم تحت الطلاء الذي ينسب إلى عجلون في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي (**الشكل ٣٤**). كما يتضح الشبه الكبير بين الزخارف النباتية الأيوبية في المساجد موضوع الدراسة، وزخارف القسم الأسفل من مئذنة الباب الأخضر بالمشهد الحسيني، وزخارف مئذنة المدرسة الصالحية، وقبة السادات الثعالبة، والزخارف الجصية في ضريح الخلفاء العباسيين بالقاهرة (نويصر ١٩٩٦: ١١٠) مما يدلل على تطور الأسلوب الزخرفي في استخدام الزخارف الحجرية والجصية[٤٧] في الزخارف المعمارية في العصر الأيوبي (ماهر

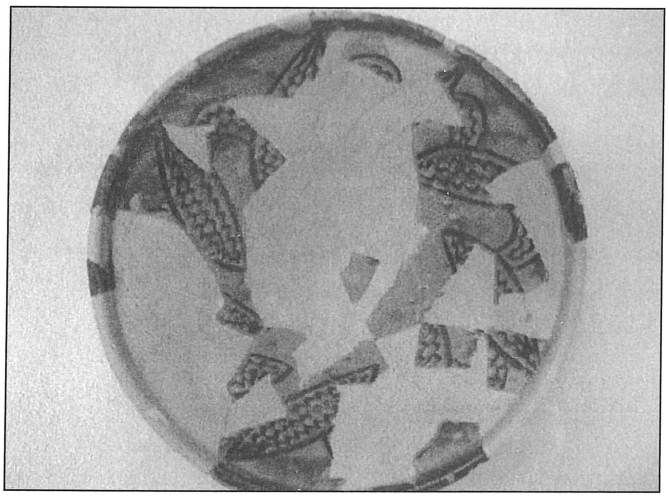

٣٤. صحن فخاري مزجج من عجلون يعود للقرن ٧هـ/١٣م

٤٤. ظهر هذا اللقب على التحف المعدنية الخاصة بالسلطان الملك العادل أبي بكر (سالم ١٩٩٩: ١٤٠).

٤٥. راجع (ا بن العربي ٢٠٠٢: ٢٢٠).

٤٦. يبدو أن هذه القبة هي نموذج من القباب الإسلامية الأولى التي تطورت في العصر المملوكي (الدويكات ٢٠٠٤: ١٢٣-١٤٠).

١٩٧٦: ١٢). كما يلاحظ من خلال بقايا المساجد الأيوبية في شمال الأردن التوسع في استخدام الزجاج [٤٨] المعشق في الجص المتعدد الألوان وخاصة اللون الأخضر والأصفر، وطليت زخارفه الجصية باللون الأسود الذهبي، وهو ما يتشابه مع زخارف خزف البريق المعدني في العصر الأيوبي (سالم ٢٠٠٠: ٢٤-٤٣) [٤٩].

وتنتهي الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها ما يلي

- ❖ إثبات حركة التواصل في بناء المساجد في العصر الأيوبي، وتصحيح الآراء السابقة في هذا الخصوص.
- ❖ حصر البقايا الأيوبية في المساجد الأثرية الباقية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية، مثل مسجد عجلون ومسجد ريمون ومسجد كفرنجة ومسجد إربد ومسجد طبقة فحل ومسجدي حبراص وبيت راس وغيرها من المساجد الباقية في المنطقة.
- ❖ رسم صورة شبه متكاملة حول المسجد في العصر الأيوبي، من حيث تخطيطه ومواد وأسلوب بنائه، والتعرف على الظروف المحيطة بالإنشاء وبعض الشخصيات المرتبطة بهذه الأعمال المعمارية الدينية.
- ❖ تحديد التجديدات والتغييرات التي طرأت على المساجد الأيوبية خلال العصرين المملوكي والعثماني، وتحليل عناصرها المعمارية والفنية.
- ❖ تأكيد اهتمام الأيوبيين بمنطقة شمال الأردن نظرا لموقعها الجغرافي المميز لمرور قوافل التجارة الدولية بالإضافة إلى مرور الحجيج من هذه المنطقة.
- ❖ إثبات وحدة المساجد الأيوبية في منطقة شمال الأردن سواء في العناصر المعمارية أو في وحدة مواد البناء والأساليب الزخرفية وفق المخططات المتشابهة.
- ❖ تحليل النقوش الكتابية الموجودة في المساجد الأثرية الباقية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية، وتصحيح بعض من القراءات السابقة.

عبد العزيز صلاح سالم
كلية الآثار/ جامعة القاهرة

المصادر المراجع

أولا: المصادر

ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف
١٩٩٧ **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة.** تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
١٩٤٠-٣٠ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج ٧ و٦. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس، مج ٤. بيروت: دار صادر.

ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع
١٩٦٢ **النوادر السلطانية واليوسفية في سيرة صلاح الدين الأيوبي.** حققه محمد محمود صبح. القاهرة: الدار القومية للطباعة.

المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي
١٩٩٧ **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج١، ط.١ تحقيق محمد عبدالقادر عطا. بيروت: منشورات دار الكتب العلمية.
بدون تاريخ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقريزية"** ج.٢ القاهرة: طبعة بولاق.
٢٠٠١ **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**،ج ٢، ط.١ تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب
١٩٩٢ نهاية الأرب في فنون الأدب، ج .٢٩ تحقيق محمد ضياء الدين الريس ومحمد مصطفى زيادة. الهيئة العامة للكتاب.
١٩٩٣ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط١، ج .٢٩ القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم
١٩٧٣.١٩٧٢ **مفرج الكروب في أخبار بني آيوب**، ج .١ تحقيق جمال الدين الشيال. القاهرة. وج٥ تحقيق حسنين ربيع ومراجعة سعيد عاشور.

اليونيني، قطب الدين بن موسي بن محمد
١٩٩٢ **ذيل مرآة الزمان**، مج ٢، ط.٢ القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

ثانيا: المراجع

الباشا، حسن
١٩٥٧ **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار.** مكتبة النهضة المصرية.
١٩٩٩ التأثيرات الفاطمية والسورية في العمارة الأيوبية، **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية**، مج١، ط.١ مطبعة أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع.

الحمصي، أحمد فائز وأخرون
١٩٨٢ **روائع من العمارة العربية في سورية.** دمشق: منشورات وزارة الأوقاف.

الدلالعة، عز الدين محمد عقلة
١٩٩٧ **عجلون في العصر الأيوبي والمملوكي.** رسالة

---

٤٧. كسيت معظم حنيات المحاريب بالزخارف الجصية في العصر الأيوبي، كما ظهر في هذه الزخارف تأثيرات أندلسية (سالم ١٩٩٩: ٢٣٧-٢٤٧).

٤٨. بلغت صناعة الزجاج في مصر والشام خلال العصر الأيوبي درجة كبيرة من الرقي والازدهار، حيث شهد العصر الأيوبي ظهور أساليب صناعية وزخرفية جديدة بدأت منذ العصر الأيوبي واكتمل نضوجها في العصر المملوكي (سالم ٢٠٠٠: ٦٥).

٤٩. بعد حريق الفسطاط في أواخر العصر الفاطمي رحل بعض الخزافين إلى بلاد الشام وساهموا في إنتاج خزف البريق المعدني (سالم ٢٠٠٠: ٢٤-٤٣).

ماجستير، قسم الآثار، معهد الآثار والإنثروبولوجيا. الأردن: جامعة اليرموك.

الدويكات، محمد فاتح عيد

٢٠٠٤ **المساجد المملوكية في منطقة إربد، دراسة أثرية مقارنة**. رسالة ماجستير، قسم الآثار، معهد الآثار والأنثروبولوجيا. الأردن: جامعة اليرموك.

الرشدان، وائل منير

١٩٩٨ عمان في العصر الإسلامي. **مجلة دراسات تاريخية** ٦٥-٦٦.

ماتزان، روبير

١٩٩٣ **تاريخ الدولة العثمانية**. ترجمة بشير السباعي. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

سالم، عبد العزيز صلاح

الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، الجزء الأول، التحف المعدنية. القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

٢٠٠٠ **الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي**، الجزء الثاني. القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

العبادي، احمد مختار

١٩٩٥ **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**. بيروت: دار النهضة العربية.

عبد الوهاب، حسن

١٩٤٦ **تاريخ المساجد الأثرية**. مكتبة الدار العربية للكتاب، جزآن، الطبعة الأولى.

العربي (حمزة بن العربي النظرتي)

٢٠٠٢ **جولة بين الآثار**، ج.٢ تحقيق زكي أحمد المغيص. دار الكندي.

غسان، هند أبو الشعر

١٩٩٥ **إربد وجوارها (ناحية بني عبيد)**. دائرة المكتبة الوطنية الأردنية.

غوانمة، يوسف حسن درويش

١٩٨٦ **المساجد الإسلامية في منطقة عجلون**. عمان: منشورات مركز الدراسات الأردنية، سلسلة الدراسات التاريخية والتراثية رقم ٢.

١٩٨٩ **مدينة إربد في العصر الإسلامي**. جامعة اليرموك: منشورات مركز الدراسات الأردنية.

١٩٧٩ تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولي. القسم الحضاري، وزارة الثقافة والشباب. عمان.

١٩٩٧ **مدينة عمان الأردنية في التاريخ الإسلامي الوسيط، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية**. مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية.

١٩٨٢ **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**. دار الحياة.

القضاة، أحمد مصطفى

١٩٨٨ **صفحات من جبال عجلون**. المملكة الأردنية الهاشمية.

ماهر، سعاد محمد

١٩٧٦ **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج.٢ مصر: مطابع الأهرام التجارية.

نويصر، حسني

١٩٩٦ **العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

الهرني، سلامة محمد

٢٠٠٤ مكتبات بيت المقدس من الفتح العربي إلى الاغتصاب الصهيوني. **مجلة التاريخ العربي** ٣٢. الدار البيضاء.

المراجع الأجنبية

El-Basha, Hassan.

1999 Ayyubid Architecture in Egypt, Encyclopedia of Islamic Architecture. *Arts and Archeology* I: 39. Awräq Sharqiya.

Stierlin, Henri.

2002 *Islam du Bagdad à Cordoue*. Taschen.

Shiha, Mostafa.

2001 *Islamic Architecture in Egypt.* Prism Publication Office.

Garaudy, Roger.

1985 *Mosquée Miroir de l'islam, Les Editions du Jaguar*, : 148-155